

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY

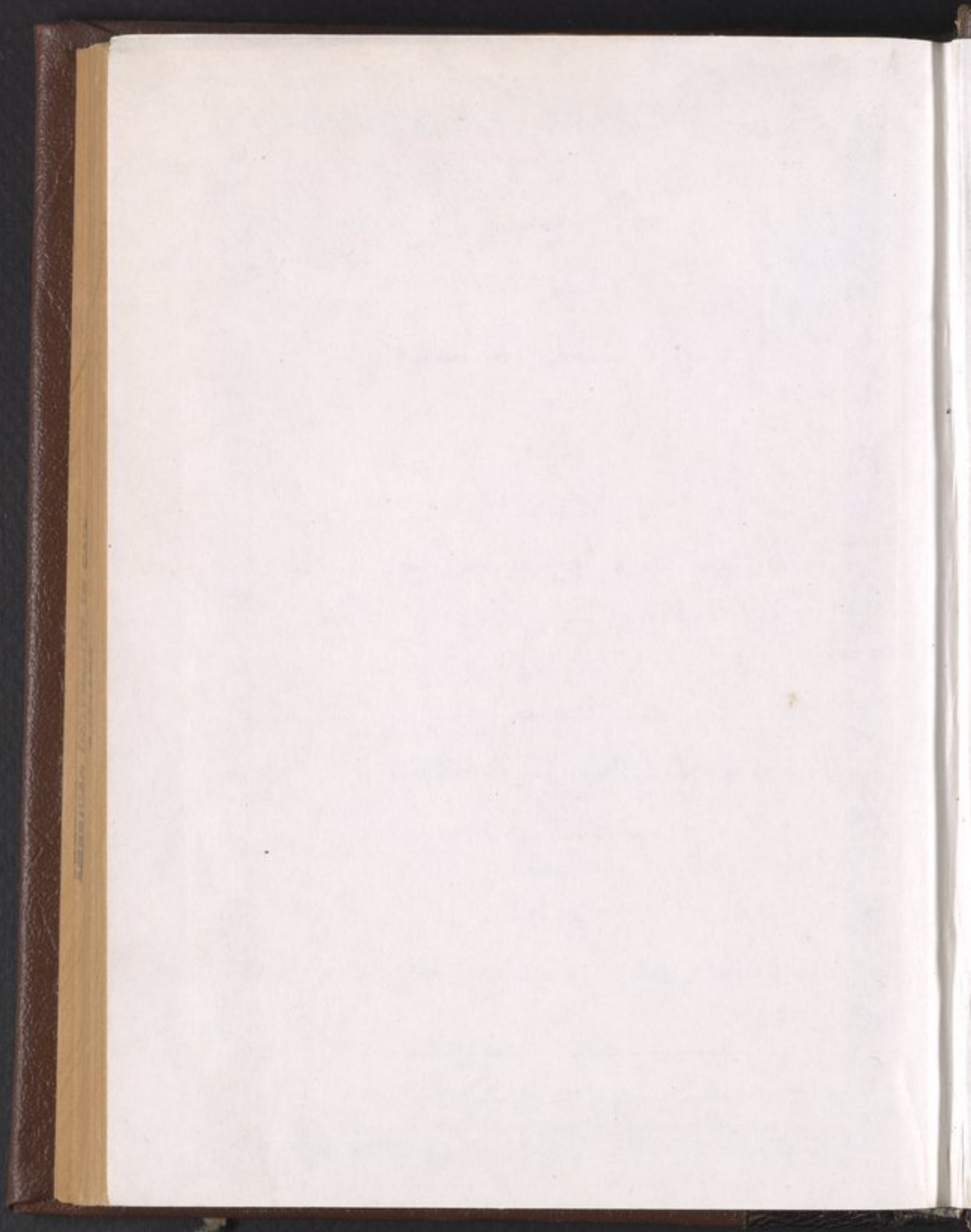


3 8534 01047 2680



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة



THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
WASHINGTON

Y

11

BP
75
K53
1920

al-Khudari, Muhammad

نور اليقين

Nūr al-Yaqīn
في

سيرة سيد المرسلين

—*—
لؤلفه

محمد الحضري

الحائز شهادة التدريس من مدرسة دار العلوم الخديوية
ووكيل مدرسة القضاء الشرعي وأستاذ التاريخ الاسلامي

بالجامعة المصرية سابقاً

The American University at Cairo

* حقوق الطبع محفوظة للمؤلف *

« طبعة سادسة سنة ١٣٣٩ »

—*—
على نفقة

عبد العزيز ومحمد ومحمود سيف الدين الحلبي أبناء عم
بمصر

—*—
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

B 14007064
OCLC 16151537
297.1 A 506337142 C19

M72K
Sqs

2.500

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
6011 23835

نحمدك يا من أوضحت لنا سبيل الهداية . وأزحت عن بصائرنا
غشاوة الغواية . ونصلي ونسلم على من أرسلته شاهداً ومبشراً ونذيراً .
وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً . وعلى الأصحاب الذين هجروا الأوطان .
يبتغون من الله الفضل والرضوان . والأئمة الذين آووا ونصروا .
وبذلوا لأعزاز الدين ما جمعوا وما ادخروا

(أما بعد) فيقول محمد الخضري ابن المرحوم الشيخ عفيفي
الباجوري كنت أجد من نفسي منذ النشأة الأولى ارتياحاً لقراءة
تواريخ السالفين وقصص الغابرين وأجد لها لعقل الانسان أحسن مهذب
وأصح معلم وكنت أرى في تاريخ نبينا عليه الصلاة والسلام وما لقيه
من أذى قومه حينما دعاهم إلى الحق وعظيم صبره حتى هجر أوطانه
وبلاده أعظم مرَبٍّ لأفكار المسلمين فانه يدلهم على ما يجب اتباعه وما
يلزم اجتنابه ليسودوا كما ساد سابقوهم وخصوصاً ما يتعلق بالحكام من
اجتذاب النفوس النافرة والتأليف بين القلوب المختلفة وما يتعلق بقواد
الجيوش من تأليف الرجال وإحكام المعدات حتى يتم لهم النصر على

أعدائهم وما يتعلق بالعمامة من اتحاد قلوبهم وصيرورتهم يداً على من سواهم فكنت أجد من قراءتها ارتياحاً عظيماً وكانت نفسي كثيراً ما تأسف على ترك المسلمين لها فقلما أجد من يشتغل بها ولكني كنت أقدم لهم العذر بتطويل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع فلما قدمت مدينة المنصورة جمعتي النوادي مع محمود بك سالم القاضي بمحكمة المنصورة المختلطة فوجدت منه عالماً بدينه تقف دونه فحول الرجال وتأخر عن مسابقته فيه الأبطال فقلما توضع مسألة دينية إلا وجدته مبرزاً فيها مفصلاً عن الجواب عنها . أما علمه بسيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم فعنده منها الخبر اليقين وكنت كثيراً ما أسمعه يتشوف لعمل سيرة خالية من الحشو والتعقيد تنتفع بها عامة المسلمين فقلت يا لله لقد وافق هذا السيد الكريم ما في نفسي ولكني كنت أرى في عزيمة قصوراً عن تنفيذ رغبته وتتميم أمنيته فإن المقام عظيم وصعوباته أعظم ولكن لم أر من الأمر بدءاً تلقاء ما كنت أسمعه من كبار رجال المنصورة فانهم أكثروا من الأمانى لعمل هذا الكتاب العميم النفع الجزيل الفائدة فقامت معتمداً على الله راجياً منه أن يوفقني لما فيه رضاه وواصلت السير بالسرى حتى بلغت المنى فحجاء بحمد الله سهل المنال عذب المورد تنتفع به العامة وترجع إليه الخاصة . وقد كان موردي في تأليفه القرآن الشريف وصحيح السنة مما رواه الامامان البخاري ومسلم ولم أخرج

عنهما إلا فيما لا بد منه من تفهيم العبارات فكان يساعدي الشفاء
 للقاضي عياض والسيرة الحلبية . والمواهب اللدنية للقسطلاني وإحياء علوم
 الدين للغزالي . هذا وأسأل الله من فيض فضله أن يوفق أمتنا وأمرأنا
 للاقتداء بسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإحياء معالم دينه
 حتى يؤيدوا بروح من عند الله

وقد آن أن نشرع فيما قصدناه . مستعينين بحول الله فنقول

﴿ النسب الشريف ﴾

السيد الأكرم الذي شرف الناس بوجوده هو (محمد بن عبد الله)
 من زوجه آمنة بنت وهب الزهرية (١) القرشية (ابن عبد المطلب)
 من زوجه فاطمة بنت عمرو المخزومية (٢) القرشية وكان عبد المطلب
 شيخاً معظماً في قريش يصدرون عن رأيه في مشكلاتهم ويقدمونه في
 مهماتهم (ابن هاشم) من زوجه سلمى بنت عمرو النجارية (٣)

(١) من بني زهرة بن كلاب من قريش

(٢) من بني مخزوم بن يقظة بن مرة من قريش

(٣) من بني النجار من الخزرج والحزرج احدي القبيلتين اللتين

كانتا تقيمان بالمدينة وهما الأوس والخزرج وهما اخوان وسمى رسول الله

صلى الله عليه وسلم كلا أنصارا

الخزرجية (ابن عبد مناف) من زوجه عاتكة بنت مرة السامية (١)
 (ابن قصي) من زوجه حبي بنت حليل الخزاعية (٢) وكان الى قصي
 في الجاهلية حجابة البيت وسقاية الحاج واطعامه المسمى بالرّفاة والندوة
 وهي الشوري لا يتم أمر الآ في بيته واللواء لا تعقد راية لحرب الا بيده
 ولما أشرف على الموت جعلها في يد أحد أولاده عبد الدار ولكن بنو
 عبد مناف أجمعوا رأيهم على أن لا يتركوا بني عمهم عبد الدار يستأثرون
 بهذه المفاخر وكاد يفضي الأمر الى القتال لولا أن تدارك الأمر عقلاء
 الفريقين فأعطوا بني عبد مناف السقاية والرّفاة فدامت فيهم الى أن
 انتهتا للعباس بن عبد المطلب ثم لبنيه من بعده . أما الحجابة فبقيت
 بيد بني عبد الدار وأقرها لهم الشرع فهي فيهم الى الآن وهم بنو
 شيبه بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار .
 وأما اللواء فدام فيهم حتى أبطله الاسلام وجعله حقاً للخليفة على المسلمين
 يضعه فيمن يراه صالحاً له وكذلك الندوة . وقصي (بن كلاب) من
 زوجه فاطمة بنت سعد وهي يمانية من أزدشنوءة (ابن مرة) من زوجه

(١) من بني سليم بن منصور احدى قبائل قيس عيلان بن مضر

(٢) من بني خزاعة بن عمرو احدى قبائل قعدة بن الياس بن

مضر وهم الذين كانوا يتولون البيت قبل قريش

هند بنت سرير من بني فهر بن مالك (ابن كعب) من زوجه وحشية
 بنت شيبان من بني فهر أيضاً (ابن لؤي) من زوجه أم كعب مارية
 بنت كعب من قضاة (ابن غالب) من زوجه أم لؤي سلمى بنت
 عمرو الخزاعي (ابن فهر) من زوجه أم غالب ليلى بنت سعد من
 هذيل وفهر هو قريش في قول الأَكْثَرين وكانت قريش اثنتي عشرة
 قبيلة بنو عبد مناف وبنو عبد الدار بن قصي وبنو أسد بن عبد العزى
 ابن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة وبنو تيم
 ابن مرة وبنو عدي بن كعب وبنو سهم بن هصيص بن عمرو بن كعب
 وبنو عامر بن لؤي وبنو تيم بن غالب وبنو الحارث بن فهر وبنو محارب
 ابن فهر والمقيمون منهم بمكة يسمون قريش البطاح والذين بضواحيها
 قريش الظواهر (ابن مالك) من زوجه جندلة بنت الحرث من جرهم
 (ابن النضر) من زوجه عاتكة بنت عدوان من قيس عيلان (ابن
 كنانة) من زوجه برة بنت مر بن أد (ابن خزيمة) من زوجه
 عوانة بنت سعد من قيس عيلان (ابن مدركة) من زوجه سلمى بنت
 أسلم من قضاة (ابن الياس) من زوجه خندف المضروب بها المثل
 في الشرف والمنعة (ابن مضر) من زوجه الرباب بنت جندة بن معد
 (ابن نزار) من زوجه سودة بنت عك (ابن معد) من زوجه معانة
 بنت جوشم من جرهم (ابن عدنان)

هذا هو النسب المتفق على صحته من علماء التاريخ والمحدثين أما
النسب فوق ذلك فلا يصح فيه طريق غاية الأمر أنهم أجمعوا على أن
نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ينتهي إلى اسماعيل بن إبراهيم أبي
العرب المستعربة . نسب شريف كما ترى آباء طاهرون وأمهات طاهرات
لم يزل عليه السلام ينتقل من أصلاب أولئك إلى أرحام هؤلاء حتى
اختاره الله هادياً مهدياً من أوسط العرب نسباً فهو من صميم قريش
التي لها القدم الأولى في الشرف وعلو المكانة بين العرب ولا تجدي في
سلسلة آبائه إلا كراماً ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وكذلك
أمهات آبائه من أرفع قبائلهن شأناً ولا شك أن شرف النسب وطهارة
المولد من شروط النبوة وكل اجتماع بين آبائه وأمهاته كان شرعياً بحسب
الأصول العربية ولم ينل نسبه شيء من سفاح الجاهلية بل طهره الله من
ذلك والحمد لله

﴿ زواج عبد الله بآمنة وحملها ﴾

كان عبد الله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه إليه فزوجه آمنة
بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وسنه ثماني عشرة سنة
وهي يومئذ من أفضل نساء قريش نسباً وموضفاً ولما دخل عليها حملت
برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلبث أبوه أن توفي بعد الحمل بشهرين

ودفن بالمدينة عند أخواله بني عدي بن النجار فإنه كان ذهب بتجارة إلى الشام فأدرسته منيته بالمدينة وهو راجع ولما تمت مدة حمل آمنة وضعت ولدها. فاستبشر العالم بهذا المولود الكريم الذي بث في أرجائه روح الآداب وتمم مكارم الأخلاق وقد حقق المرحوم محمود باشا الفلكي أن ذلك كان في صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الأول الموافق لليوم العشرين من إبريل سنة ٥٧١ من الميلاد وهو يوافق السنة الأولى من حادثة الفيل (١) وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم وكانت قابله الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ولما ولد أرسلت أمه لجدته تبشره فأقبل مسروراً وسماه محمداً ولم يكن هذا الاسم شائعاً قبل عند العرب ولكن أراد الله أن يحقق ما قدره وذكره في الكتب التي جاءت

(١) حادثة شهيرة حصلت بمكة فأرخت بها العرب كما دعتهم هم وكل أمة في التاريخ بالأمور المهمة وقد ذكر القرآن هذه الحادثة في سورة الفيل وحاصلها أن ملكاً من ملوك الحبشة الذين امتلكوا اليمن بعد حمير أغار على مكة وقصد هدم كعبتها وكان معه فيل عظيم لم يكن العرب رأوا مثله فأكراماً للنبي المنتظر وغيره على بيته الكريم جعل الله كيد الأعداء في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول وأراح قريشاً من عناء مقاومتهم اه

بها الأنبياء كالتوراة والانجيل فألهم جده أن يسميه بذلك انفاذا لأمره
وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه عبد الله وأول من أرضعه
نويبة أمة عمه أبي لهب

﴿ الرضاع ﴾

وكان من عادة العرب أن يلمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي
ليكون أنجب للولد وكانوا يقولون ان المرابي في المدن يكون كليل الذهن
فاتر العزيمة فجاءت نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن أطفالا يرضعهم
فكان الرضيع المحمود من نصيب حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية واسم
زوجها أبو كبشة وهو الذي كانت قريش تنسب له الرسول صلى الله
عليه وسلم حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون هذا ابن أبي كبشة يكلم
من السماء ودرت البركات على أهل ذلك البيت الذين أرضعوه مدة
وجوده بينهم وكانت تربو عن أربع سنوات (١)

﴿ حادثة شق الصدر ﴾

وحصل له وهو بينهم حادثة مهمة وهي شق صدره واخراج حظ
الشیطان منه فأحدث ذلك عند حليلة خوفاً فردته الى أمه وحدثها

قائلة بينما هو واخوته في بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتى أخوه يعدو فقال لي
ولاً بيه ذلك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأخجعا
فشقا بطنه فهما يسوطانه (١) فخرجت أنا وأبوه نحو فوجدناه منتعماً
لونه (٢) فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يا بني فقال جاءني رجلان
عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فأقبلا بيئدراني
فأخجعاي فشقا بطني فالتمسا فيه شيئاً فأخذاه وطرحاه ولا أدري ما هو

﴿ وفاة آمنة وكفالة عبد المطلب ووفاته وكفالة أبي طالب ﴾

ثم ان أمه أخذته منها وتوجهت به الى المدينة لزيارة أخوال أبيه
بني عدي بن النجار وبينما هي عائدة أدركتها منيتها في الطريق فماتت
بالأبواء (٣) فحضنته أم أيمن وكفله جده عبد المطلب ورق له رقة
لم تعهد له في ولده لما كان يظهر عليه مما يدل على أن له شأنًا عظيمًا في
المستقبل وكان يكرمه غاية الاكرام ولكن لم يلبث عبد المطلب أن
توفي بعد ثمانى سنوات من عمر الرسول صلى الله عليه وسلم فكفله شقيق
أبيه أبوطالب فكان له رحيماً وعليه غيورا وكان أبو طالب مقلداً من
المال فبارك الله له في قليله وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في مدة

(١) يحركانه بسوط (٢) شبيهاً بالنقع وهو التراب

(٣) قرية بين مكة والمدينة وهي أقرب الى المدينة

كفالة عمه مثال القناعة والبعد عن السفاسف التي يشتغل بها الأطفال
عادة كما روت ذلك أم أيمن حاضنته فكان اذا أقبل وقت الأكل جاء
الأولاد يختطفون وهو قانع بما سييسره الله له

﴿ السفر الى الشام ﴾

ولما بلغت سنه عليه السلام اثنتي عشرة سنة أراد عمه وكفيله السفر
بتجارة الى الشام فاستمعظم الرسول صلى الله عليه وسلم فراقه فرق له
وأخذه معه وهذه هي الرحلة الأولى ولم يمكثوا فيها الا قليلا وقد
أشرف على رجال القافلة وهم بقرب بصرى (١) بجيرا الراهب فسألهم
عما رآه في كتبهم المقدسة من بعثة نبي من العرب في هذا الزمن فقالوا
انه لم يظهر للآن وهذه العبارة كثيراً ما كان يلهج بها أهل الكتاب
من يهود ونصارى قبل بعثة الرسول « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
فلعنة الله على الكافرين » (٢)

﴿ حرب الفجار ﴾

ولما بلغت سنه عليه السلام عشرين سنة حضر حرب الفجار وهي

(١) قرية على الحدود بين بلاد الشام وبلاد العرب

(٢) سورة البقرة

حرب كانت بين كنانة ومعها قريش وبين قيس وسببها انه كان للنعمان ابن المنذر ملك العرب بالحيرة (١) تجارة يرسلها كل عام الى سوق عكاظ (٢) لتباع له وكان يرسلها في أمان رجل ذي منعة وشرف في قومه ليجيزها فجلس يوماً وعنده البراض بن قيس الكناني وكان فاتكا خليعاً خالعه قومه لكثرة شره وعروة بن عتبة الرحال فقال من يجيزني تجارتي هذه حتى يبلغها عكاظ فقال البراض أنا أجيزها على بني كنانة فقال النعمان انما أريد من يجيزها على الناس كلهم فقال عروة أبيت اللعن (٣) أكذب خليع يجيزها لك أنا أجيزها على أهل الشيخ والقيصوم من أهل نجد (٤) وتهامة (٥) فقال البراض أو تجيزها على

(١) بلدة غرب الفرات كان يقيم بها ملك العرب من قبل ملوك فارس فتحها خالد بن الوليد في السنة الثانية عشرة (راجع أمام الوفاء)
 (٢) سوق كنانة تعقدها العرب كل عام لتعرض فيه تجارتها وما قاله فصحاؤها من قصائد الفخر وما أشبه ذلك من مفاخر العرب وهي أشبه في ذلك بمعارض أوروبا الآن

(٣) تحية عربية ومعناها باعدت كل ما يستحق المذمة

(٤) هو المرتفع من بلاد العرب وهو وسطها

(٥) هو ما انخفض من سواحل البلاد العربية والشرقي منها يسمى

كنانة يا عروة قال وعلى الناس كلهم فأسرّها في نفسه وتربص له حتى
 اذا خرج بالتجارة قتله غدراً ثم أرسل رسولا يخبر قومه كنانة بالخبر
 ويحذرهم قيساً قوم عروة وأما قيس فلم تلبث بعد أن بلغها الخبر أن
 همت لتدرك ثأرها حتى أدركوا قريشاً وكنانة بنخلة (١) فاقتتلوا ولما
 اشتد البأس وحميت قيس احتمت قريش بحرمها وكان فيهم رسول الله
 ثم إن قيساً قالوا لخصومهم انا لا نترك دم عروة فموعدنا عكاظ العام
 المقبل وانصرفوا الى بلادهم يحرض بعضهم بعضاً فلما حال الحول جمعت
 قيس جموعها وكان معها ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها من كنانة
 والأحابيش وهم حلفاء قريش وكان رئيس بني هاشم الزبير بن عبد
 المطلب ومعه إخوته أبو طالب وحمزة والعباس وابن أخيه النبي الكريم
 وكان على بني أمية حرب بن أمية وله القيادة العامة لمكانه في قريش
 شرقاً وسناً وهكذا كان على كل بطن من بطون قريش رئيس ثم
 تناجزوا الحرب فكان يوماً من أشد أيام العرب هولاً ولما استحل فيه
 من حرمت مكة التي كانت مقدسة عند العرب سمي يوم الفجار
 وكادت الدائرة تدور على قيس حتى انهزم بعض قبائلها ولكن أدركهم

البحرين والفاصل بين نجد وتهامة الحجاز في الغرب واليمامة في الشرق
 (١) موضع بين مكة والطائف

من دعا المتحاربين للصلح علي أن يحصوا قتلى الفريقين فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد فكانت لقيس زيادة أخذوا ديتها من قريش وتعهد بها حرب بن أمية ورهن لسدادها ولده أبا سفيان وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيراً ما تشبه حروب العرب تبدوها صغيرات الأمور حتى ألف الله بين قلوبهم وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الاسلام بينهم

(حلف الفضول)

وعند رجوع قريش من حرب الفجار تداعوا لحلف الفضول قسم في دار عبد الله بن جدعان التيمي أحد رؤساء قريش وكان المتحالفون بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف وبني أسد بن عبد العزى وبني زهرة بن كلاب وبني تيم بن مرة تحالفوا وتعاهدوا أن لا يجذوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه حتى ترد إليه مظلمته وقد حضر هذا الحلف رسول الله عليه السلام مع أعمامه وقال بعد أن شرفه الله بالرسالة (لقد شهدت مع عمومي حلفاً في دار عبد الله ابن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في الاسلام لأجبت) وذلك لأنه عليه السلام مبعوث بمكارم الأخلاق وهذا منها وقد أقر دين الاسلام على كثير منها يرشدك الى هذا قوله عليه السلام (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وقد دعا بهذا الحلف كثيرون فأنصفوا

﴿ رحلته الى الشام المرة الثانية ﴾

ولما بلغت سنه عليه السلام خمساً وعشرين سنة سافر الى الشام المرة الثانية وذلك أن خديجة بنت خويلد الأسدية (١) كانت سيدة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه فلما سمعت عن السيد من الأمانة وصدق الحديث ما لم تعرفه في غيره حتى سماه قومه الأمين استأجرته ليخرج في مالها الى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره فسافر مع غلامها ميسرة فباعا وابتاعا وربحاً ربحاً عظيماً وظهر للسيد الكريم في هذه السفرة من البركات ما حببه في قلب ميسرة غلام خديجة

﴿ زواجه خديجة ﴾

فلما قدما مكة ورأت خديجة ربحتها العظيم سررت من الأمين عليه السلام وأرسلت اليه تخطبه لنفسها وكان سنها نحو الأربعين وهي من أوسط قريش حسباً وأوسعهم مالا فقام الأمين عليه السلام مع أعمامه حتى دخل على عمها عمرو بن أسد فخطبها منه بواسطة عمه أبي طالب فزوجها عمها وقد خطب أبو طالب في هذا اليوم فقال : الحمد لله الذي

(١) من بني أسد بن عبد العزى بن قصي

جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضي (١) معد وعنصر مضر
 وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعله لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً
 وجعلنا حكام الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به
 رجل شرفاً ونبلاً وفضلاً وان كان في المال قلّ فان المال ظل زائل وأمر
 حائل وعارية مستردّة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد
 خطب اليكم رغبة في كريمكم خديجة وقد بذل لها من الصداق (كذا)
 وعلى ذلك تم الأمر . وقد كانت متزوجة قبله بأبي هالة توفي عنها وله
 منها ولد اسمه هالة وهو ربيب المصطفى عليه السلام

﴿ بناء البيت ﴾

ولما بلغت سنه عليه السلام خمساً وثلاثين سنة جاء سيل جارف
 فصعد جدران الكعبة بعد توهينها من حريق كان أصابها قبل فأرادت
 قريش هدمها ليرفعوها ويستقفوها فانها كانت رضية (٢) فوق القامة
 فاجتمعت قبائلهم لذلك ولكنهم هابوا هدمها لمكانها في قلوبهم فقال
 لهم الوليد بن المغيرة أتريدون بهدمها الاصلاح أم الاساءة قالوا بل
 الاصلاح قال ان الله لا يهلك المصلحين وشرع يهدم فتبعوه وهدموا
 حتى وصلوا الى أساس اسماعيل وهناك وجدوا صحافاً نقش فيها كثير من

(١) أصل (٢) بناء رضيع مبني بالصخر اه من أساس البلاغة

الحكم على عادة من يضعون أساس بناء شهير ليكون تذكرة للمتأخرين
بعمل المتقدمين ثم ابتدؤا في البناء وأعدوا لذلك نفقة ليس فيها مهر بغي
ولا بيع ربا وجعل الأشراف من قريش يحملون الحجارة على أعناقهم
وكان العباس ورسول الله فيمن يحمل وكان الذي يلي البناء نجار رومي
اسمه باقوم وقد خصص لكل ركن جماعة من العظماء ينقلون اليه الحجارة
وقد ضاقت بهم النفقة الطيبة عن إتمامه على قواعد اسماعيل فأخرجوا
منها الحجر وبنوا عليه جداراً قصيراً علامة على أنه من السكبة ولما تم
البناء ثمانى عشرة ذراعاً بحيث زيد فيه عن أصله تسع أذرع ورفع الباب
عن الأرض بحيث لا يصعد اليه الا بدرج أرادوا وضع الحجر الاسود
موضعه فاختلف أشرافهم فيمن يضعه وتنافسوا في ذلك حتى كادت
تشب بينهم نار الحرب ودام بينهم هذا الخصام أربع ليال وكان
أسن رجل في قريش اذ ذاك أبو أمية بن المغيرة المخزومي عم خالد بن
الوليد فقال لهم يا قوم لا تختلفوا وحكموا بينكم من ترضون بحكمه فقالوا
نكل الأمر لأول داخل فكان هذا الداخل هو الأمين المأمون عليه
الصلاة والسلام فاطمأن الجميع له لما يعهدون فيه من الأمانة وصدق
الحديث وقالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد لأنهم كانوا يتحاكمون
اليه اذ كان لا يداري ولا يماري فلما أخبروه الخبر بسط رداءه وقال
لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم وضع فيه الحجر وأمرهم

برفعه حتى انتهوا الى موضعه فأخذه ووضع فيه وهكذا انتهت هذه
المشكلة التي كثيرا ما يكون أمثالها سبباً في انتشار حروب هائلة بين
العرب لولا أن يمن الله عليهم بعامل مثل أبي أمية يرشدهم الى الخير
وحكيم مثل الرسول صلى الله عليه وسلم يقضي بينهم بما يرضي جميعهم
ولا يستغرب من قريش تنافسهم هذا لأن البيت قبلة العرب وكعبتهم
التي يحجون اليها فكل عمل فيه عظيم به الفخر والسيادة وهو أول بيت
وضع للعبادة بشهادة القرآن الكريم قال تعالى في سورة آل عمران (ان
أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات
مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً) وكان يلي أمره بعد ولد اسماعيل
قبيلة جرهم فلما بغوا وظلموا من دخل مكة اجتمعت عليهم خراعة وأجلوهم
عن البيت ووليته خراعة حيناً من الدهر ثم أخذته منهم قريش في عهد
قصي بن كلاب وبسببه أمنوا في بلادهم فكانت قبائل العرب تهابهم
وإذا احتموا به كان حصناً أميناً من اعتداء العابدين وامتن الله عليهم
بذلك في تنزيله فقال في سورة القصص (أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً
ويتخطف الناس من حوله)

﴿ معيشته عليه السلام قبل البعثة ﴾

لم يرث عليه السلام من والده شيئاً بل ولد يتيماً عائلاً فاسترضع

في بني سعد ولما بلغ مبلغاً يمكنه معه أن يعمل عملاً كان يرعى الغنم مع
 إخوته من الرضاع في البادية وكذلك لما رجع إلى مكة كان يرعاها لاهلها
 على قراريط كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه ووجود الأنبياء في حال
 التجرد عن الدنيا ومشاغلتها أمر لا بد منه لأنهم لو وجدوا أغنياء
 لأنهم الدنيا وشغلوا بها عن السعادة الأبدية ولذلك ترى جميع
 الشرائع الإلهية متفقة على استحسان الزهد فيها والتباعد عنها وحال
 الأنبياء السالفين أعظم شاهد على ذلك فكان عيسى عليه السلام أزهد
 الناس في الدنيا وكذلك كان موسى وإبراهيم وكانت حالتهم في
 صغرهم ليست ذات سعة بل كلهم سواء تلك حكمة بالغية أظهرها الله
 على أنبيائه ليكونوا نموذجاً لتبعيةهم في الامتناع عن التكاليف على الدنيا
 والتمهات عليها وذلك سبب البلى والمحن وكذلك رعاية الغنم فما من
 نبي إلا رعاها كما أخبر عن ذلك الصادق المصدوق في حديث للبخاري
 وهذه أيضاً من بالغ الحكم فإن الإنسان إذا استرعى الغنم وهي أضعف
 البهائم سكن قلبه الرأفة والطف تعظماً فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية
 الخلق كان قد ذهب أولاً من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون
 في أعدل الأحوال . ولما شب عليه السلام كان يتاجر وكان شريكه
 السائب بن أبي السائب وذهب بالتجارة خديجة رضي الله عنها إلى
 الشام على جعل يأخذه . ولما شرفت خديجة بزواجه وكانت ذات

يسار عمل في مالها وكان يأكل من نتيجة عمله وحقق الله ما امتنّ عليه
 به في سورة الضحى بقوله جل ذكره (ألم يجدهك يتيمًا فأوى ووجدك
 ضالًا فهدى ووجدك عائلاً فأغنى) فالأيواء والاغناء قبل النبوة والهداية
 بالنبوة هداه للكتاب والإيمان ودين إبراهيم عليه السلام ولم يكن
 يدري ذلك قبل . قال تعالى في سورة الشورى (وكذلك أوحينا إليك
 روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه
 نورًا نهيدي به من نشاء من عبادنا)

School of Oriental Studies

﴿ سيرته في قومه قبل البعثة ﴾

كان عليه السلام أحسن قومه خلقًا وأصدقهم حديثًا وأعظمهم
 أمانة وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال حتى كان
 أفضل قومه مروءة وأكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا وأعظمهم حلمانًا
 وأصدقهم حديثًا فسموه الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة
 الحميدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والتواضع
 والعفة والجود والشجاعة والحياء حتى شهد له بذلك أعدائه النضر
 ابن الحارث من بني عبد الدار حيث يقول قد كان محمد فيكم غلامًا
 حدثًا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثًا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في
 صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلم ساحر لا والله ما هو بساحر . قال

ذلك في معرض الاتفاق على ما يقولونه للعرب الذين يحضرون الموسم حتى يكونوا متفقين على قول مقبول يقولونه . ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان قائلاً هل كنتم تتهمونهم بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا فقال هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله . ورد ذلك في أول صحيح البخاري وقد حفظه الله في صفه من كل أعمال الجاهلية التي جاء شرعه الشريف بضدها (١) وبغضت اليه الأوثان بغضاً شديداً حتى ما كان يحضر لها احتفالاً أو عيداً مما يقوم به عبادها وقال عليه السلام (لما نشأت بغضت الي الأوثان وبغضت الي الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء بعدها حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست لذلك فضرب الله على أذني فمتمت فما أيقظني إلا مس الشمس ولم أقض شيئاً ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك) وكان عليه السلام لا يأكل ما ذبح على النصب (٢) وحرم شرب الخمر على نفسه مع شيوعه في قومه

(١) الشفاء للقاضي عياض (٢) هي حجارة تنصب تنصب عليها دماء الذبائح وتعبد

شيوعاً عظيماً وذلك كله من الصفات التي يحلي الله بها أنبياءه ليكونوا على تمام الاستعداد لتلقي وحيه فيهم معصومون من الأذناس قبل النبوة وبعدها أما قبل النبوة فليتأهلوا للأمر العظيم الذي سيسند اليهم وأما بعدها فليكونوا قدوة لأمتهم . عليهم من الله أفضل الصلوات وأتم التسليمات

﴿ ما أكرمه الله به قبل النبوة ﴾

أول منحة من الله ما حصل من البركات على آل حليلة الذين كان مسترضعاً فيهم فقد كانوا قبل حلوله بناديتهم مجدين فلما صار بينهم صارت غنياتهم تؤوب من مرعاها وإن أضرعها لتسيل لبناً ويرحم الله البوصيري حيث يقول في هزئته
 وإذا سخر الآله أناساً لسعيد فانهم سعداء

ثم أعقب ذلك ما حصل من شق صدره وإخراج حظ الشيطان منه وليس هذا بالعجيب على قدرة الله تعالى فمن استبعد ذلك كان قليل النظر لا يعرف من قوة الله شيئاً لأن خرق العادات للأنبياء ليس بالأمر المستحدث ولا المستغرب ومن المكرمات الإلهية تسخير الغمامة له في سفره إلى الشام حتى كانت تظله في اليوم الصائف لا يشترك معه أحد في القافلة كما روى ذلك ميسرة غلام خديجة الذي كان مشاركاً

له في سفره وهذا ما حببه الى خديجة حتى خطبته لنفسها وتيقنت أن
 له في المستقبل شأنًا ولذلك لما جاءته النبوة كانت أسرع الناس إيماناً
 به ولم تنتظر آية أخرى زيادة على ما علمته من مكارم الأخلاق وما
 سمعته من خوارق العادات ومن منن الله عليه ما كان يسمعه من السلام
 عليه من الأشجار والأشجار (١) فكان اذا خرج لحاجته أبعد حتى
 لا يرى بيناء ويفضي الى الشعاب وبطن الأودية فلا يمر بجحر ولا
 شجر إلا سمع الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وكان يلتفت عن يمينه
 وشماله وخلفه فلا يرى أحداً وقد حدث بذلك عن نفسه وليس في ذلك
 كبير اشكال فقد سخر الله الجمادات للأنبياء قبله فعصا موسى التقت
 ما صنع سحرة فرعون بعد أن تحولت حية تسعى ثم رجعت كما كانت
 ولما ضرب بها الحجر نبع منه الماء اثنتي عشرة عينا لكل سببط من
 أسباط بني اسرائيل عين وكذلك غيره من الأنبياء سخر الله لهم ما شاء
 من أنواع الجمادات لتدل العقلاء على عظيم قدرهم وخطارة شأنهم

﴿ تبشير التوراة به ﴾

أنزل الله التوراة على موسى محتوية على الشرائع التي تناسب أهل
 ذلك الزمن ونوه فيها بذكر كثير من الأنبياء الذين علم الله أنه سيرسلهم

فما جاء فيها تبشيراً برسولنا الكريم خطاباً لسيدنا موسى عليه السلام (١) « وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين اخوتهم وأجعل كلامي في فمهم ويكلمهم بكل شيء أمره به ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا الذي أنتقم منه فأما النبي الذي يجتري عليّ بالكبرياء ويتكلم باسمي بما لم أمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل وإذا أحببت أن تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك ان ما قاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولذلك لا تخشاه » ويقول اليهود ان هذه البشارة ليوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام مع أنهم كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبياً آخر غير المسيح فانهم (٢) أرسلوا ليوحنا المعمدان (يحيى) يسألونه عن نفسه فقالوا له أنت ايليا فقال لا فقالوا أنت المسيح فقال لا فقالوا أنت النبي فقال لا فقالوا ما بالك اذا تعمد اذا كنت لست ايليا ولا المسيح ولا النبي فهذه تدل على أن التوراة تبشر بايليا والمسيح ونبي لم يأت حتى زمن المسيح ثم ان التوراة تقول في صفة النبي انه مثل موسى وقد نصت في آخر سفر التثنية على أنه لم يقم في بني اسرائيل نبي مثل موسى وورد في هذه البشارة أن

(١) الاصحاح الثامن سفر التثنية

(٢) الاصحاح الأول من انجيل يوحنا

النبي الذي يفترى على الله يقتل ويشبه ذلك في القرآن قوله تعالى في سورة الحاقة (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) (١) ونبينا صلى الله عليه وسلم مكث بين أعدائه الألداء من مشركين ويهود ثلاثا وعشرين سنة يدعوهم فيها الى الله ومع ذلك عصمه الله منهم وأنزل عليه تطمينا لحاطره في سورة المائدة (والله يعصمك من الناس) أكان يعجز الله وهو القادر على كل شيء أن يعاقب من ينسب اليه ما لم يقله وهو الذي قال في سورة الشورى (أم يقولون افتري على الله كذباً فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) وقد أخبرتنا هذه البشارة عن العلامة التي نعرف بها صدق النبي من كذبه وهي الاخبار بما سيأتي وقد أخبر النبي عليه السلام عن أشياء كثيرة فحدثت كما أخبر عنها ومنها ما لا ينفع معه الخدس والتخمين كالاخبار بأن الروم سينغلبون بعد أن قهرهم الفرس قهراً شديداً حتى كادوا يحتلون القسطنطينية عاصمة ملكهم فالاخبار اذاً بأن الروم سيردون ما فقد منهم بعد بضع سنين لا يكون إلا من عند الله ولذلك استغربه جداً بعض المشركين من قريش وراهن على ذلك أبا بكر الصديق رضي الله عنه وقد حقق الله الخبر

فاستحق الصديق الرهن وهذا قليل من كثير سيأتيك تفصيله ان شاء
الله تعالى

وروى القاضي عياض في الشفاء أن عطاء بن يسار سأل عبد الله
ابن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله عليه السلام فقال أجل والله
انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك
شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدني ورسولي سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب (١) في الأسواق ولا يدفع
السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقم به الملة العوجاء
بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً

وروى مثله عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه وهو الذي كان
رئيس اليهود فلم تعمه الرياسة حتى يترك الدين القويم وكذلك كعب
الأحبار وفي بعض طرق الحديث ولا صخب في الأسواق ولا قوال
للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة
لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة مقوله والصدق والوفاء طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه
والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة

وأرفع به بعد الجمالة وأسمي به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني
 به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء
 متباينة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس . وقد أخبر عليه
 السلام عن صفته في التوراة فقال وهو الصادق الأمين عبدي أحمد المختار
 مولده مكة ومهاجرة بالمدينة أو قال طيبة وأمته الحمدون لله على كل حال

﴿ تبشير الأنجيل ﴾

بشر عيسى عليه السلام قومه في الأنجيل بالفارقليط ومعناه قريب
 من محمد أو أحمد ويصدقه في القرآن قول الله تعالى في سورة الصف
 (واذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً
 لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)
 وقد وصف المسيح هذا الفارقليط بأوصاف لا تنطبق الا على نبينا فقال
 انه يوبخ العالم على خطيئته وانه يعلمهم جميع الحق لأنه ليس ينطق من
 عنده بل يتكلم بكل ما يسمع وهذا ما ورد في القرآن الكريم في سورة
 النجم (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وقد ورد في
 انجيل برنابا الذي ظهر منذ زمن قريب وأخفته حجب (١) الجهالة ذكر
 اسم الرسول عليه السلام صراحة

(١) ترجم الى العربية وهو الآن مطبوع بمصر

﴿ حركة الأفكار قبل البعثة ﴾

وهذا يسهل لك فهم الحركة العظيمة من الأحبار والرهبان قبيل
البعثة فكان اليهود يستفتحون على عرب المدينة برسول منتظر فقد
حدث عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا
للاسلام مع رحمة الله تعالى لنا ما كنا نسمع من أحبار يهود كنا أهل
شرك وأصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت
لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد
تقارب زمان نبي يبعث الآن تقتلكم معه قتل عاد وارم فكثيراً ما نسمع
ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمداً أجبنا حين دعانا الى الله وعرفنا
ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فأما وكفروا وانما قال لهم اليهود
تقتلكم معه قتل عاد وارم لأن من صفته عليه السلام في كتبهم أن هذا
النبي يستأصل المشركين بالقوة ولم يكونوا يظنون أن الحسد والبغي
سيتمكنان من أفئدتهم فينبذون الدين القيم فيحق عليهم العذاب في
الدنيا والآخرة . وكان أمية بن أبي الصلت المتنصر العربي كثيراً
ما يقول اني لأجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا . وحدث سلمان
الفارسي رضي الله عنه عن نفسه أنه صحب قسيساً فكان يقول له يا سلمان
ان الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد يخرج من جبال تهامة علامته

أن يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة . وهذا الحديث كان من أسباب
 اسلام سلمان ولما راسل عليه السلام ملوك الأرض لم يهن كتابه الا
 كسرى الذي ليس عنده علم من الكتاب أما جميع ملوك النصارى
 كالنجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر وقيصصر ملك الروم
 فأكرموا وفادة رسله ومنهم من آمن كالنجاشي ومنهم من رد رداً لطيفاً
 وكاد يسلم لولا غلبة الملك كقيصر ومنهم من هادى كالمقوقس ولم يكن
 عليه السلام في قوة يرهب بها هؤلاء الملوك اللهم ما ذاك إلا لأنهم
 يعلمون أن المسيح عليه السلام بشر برسول يأتي من بعده ووافقت
 صفات رسولنا ما عندهم فأجابوا بالتي هي أحسن . أما ما سمع من
 الهواتف والكهان قبيل زمنه فهو مالا يدخل تحت حصر وليس بعد
 ما ذكرته لك زيادة لمستكثر ومع ذلك كله فالأعمال التي جاد الله بها
 على يديه والأقوال التي أنا بها أعظم مقول حجته ومؤيد لدعوته .
 وسيأتي عليك بيان ذلك كله بأجلى بيان فتأمله ترشد هداك الله الى
 الصراط السوي

﴿ بدء الوحي ﴾

لما بلغ عليه السلام سن الكمال وهو أربعون سنة أرسله الله للعالمين
 بشيراً ونذيراً ليخرجهم من ظلمات الجهالة الى نور العلم وكان ذلك في أول

فبراير سنة ٦١٠ من الميلاد كما أوضحه المرحوم محمود باشا الفلكي . تبين بعد دقة البحث أن ذلك كان في ١٧ رمضان سنة ١٣ قبل الهجرة وذلك يوافق يوليو سنة ٦١٠ وأول ما بدى به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وذلك لما جرت به عادة الله في خلقه من التدرج في الأمور كلها حتى تصل الى درجة الكمال ومن الصعب جداً على البشر تلقي الوحي من الملك لأول مرة ثم حجب اليه عليه السلام الخلاء لئلا يتعد عن ظلمات هذا العالم وينقطع عن الخلق الى الله فان في العزلة صفاء السريرة وكان يخلو بغار (١) حراء فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد فتارة عشراً وتارة أكثر الى شهر وكانت عبادته على دين أبيه ابراهيم عليه السلام ويأخذ لذلك زاده فاذا فرغ رجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاء الحق وهو في غار حراء فبينما هو قائم في بعض الأيام على الجبل اذ ظهر له شخص وقال أبشري يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله الى هذه الأمة ثم قال له اقرأ قال ما أنا بقاري فإنه عليه السلام أمي لم يتعلم القراءة قبلاً فأخذه فغطه بالنمط الذي كان ينام عليه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال اقرأ فقال ما أنا بقاري فأخذه فغطه ثانية ثم أرسله فقال اقرأ قال ما أنا بقاري فأخذه فغطه الثالثة ثم أرسله فقال

(اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فرجع بها عليه السلام يرجف فؤاده مما ألمّ به من الروع الذي استلزمته مقابلة الملك لأول مرة فدخل على خديجة زوجه فقال زملوني (١) زملوني انزول عنه هذه القشعريرة فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي لأن الملك غطه حتى كاد يموت ولم يكن له عليه السلام علم قبل ذلك بجبريل ولا بشكله فقالت كلا والله ما يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فلا يسلط الله عليك الشياطين أو الأوهام ولا مرء ان الله اختارك لهداية قومك ولتأكد خديجة مما ظنته أرادت أن تثبت ممن لهم علم بحال الرسل ممن اطلعوا على كتب الأقدمين فانطلقت به حتى أتت ورقة ابن نوفل ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال يا ابن أخي ما ترى فأخبره عليه السلام خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى لأنه يعرف أن رسول الله

الى أنبيائه هو جبرائيل ثم قال يا ليتني فيها جذعاً (شاباً جليداً) إذ يخرجك قومك من بلادك التي نشأت بها لمعادتهم إياك وكراهيتهم لك حينما تطالبهم بتغيير اعتقادات وجدوا عليها آباءهم فاستغرب عليه السلام ما نسب لقومه مع ما يعلمه من جهنم له لا تصافه بمكارم الأخلاق وصدق القول حتى سموه الأمين وقال أو مخرجي هم قال لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي . وقد نطق بذلك القرآن الكريم قال تعالى في سورة ابراهيم (وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) ولتمام تصديق ورقة برسالة الرسول الأكرم عليه السلام قال وان يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا (معضداً) ثم لم يلبث ورقة أن توفي

﴿ فترة الوحي ﴾

وفتر الوحي مدة لم يتفق عليها المؤرخون وأرجح أقوالهم فيها أربعون يوماً ليشتد شوق الرسول للوحي وقد كان فإن الحال اشتدت به عليه السلام حتى صار كلما أتى ذروة جبل بدا له أن يري نفسه منها حذراً من قطيعة الله له بعد أن أراه نعمته الكبرى وهي اختياره لأن يكون واسطة بينه وبين خلقه فيتبدي له الملك قائلاً أنت رسول الله حقا فيطمئن خاطره ويرجع عما عزم عليه حتى أراد الله أن يظهر للوجود نور الدين فعاد اليه الوحي

﴿ عود الوحي ﴾

فبينما هو يمشي إذ سمع صوتاً من السماء فرجع اليه بصره فاذا الملك الذي جاءه بجاء جالس بين السماء والأرض فرعب منه لتذكر ما فعله في المرة الأولى فرجع وقال دثروني دثروني فأنزل الله تعالى عليه (يا أيها المدثر قم فأنذر) حذر الناس من عذاب الله ان لم يرجعوا عن غيرهم وما كان يعبد آباؤهم (وربك فكبر) خصه بالتعظيم ولا تشرك معه في ذلك غيره (وثيابك فطهر) لتكون مستعداً للوقوف بين يدي الله اذ لا يليق بالمؤمن أن يكون مستقذراً نجساً (والرجز فاهجر) أي اهجراً أسباب الرجز وهو العذاب بأن تطيع الله وتنفذ أمره (ولا تمنن تستكثر) ولا تهب أحداً هبة وأنت تطمع أن تستعيض من الموهوب له أكثر مما وهبت فهذا ليس من شأن الكرام (ولربك فاصبر) على ما سيلحقك من أذى قومك حينما تدعوهم الى الله

﴿ الدعوة سرّاً ﴾

فقام عليه السلام بالأمر ودعا لعبادة الله أقواماً جفاة لا دين لهم الا أن يسجدوا لأصنام لا تنفع ولا تضر ولا حجة لهم الا أنهم متبعون لما كان يعبد آباؤهم وليس عندهم من مكارم الأخلاق الا ما كان

مرتبطا بالعزة والأئفة وهو الذي كثيراً ما كان سبباً في الغارات والحروب
واهراق الدماء فجاءهم رسول الله بما لا يعرفونه فذوو العقول السليمة
بادروا الى التصديق وخلع الأوثان ومن أعمته الرياسة أدبر واستكبر
كيلا تسلب منه عظمته . وكان أول من سطع عليه نور الاسلام
خديجة بنت خويلد وزوجه وعلي بن أبي طالب ابن عمه وكان مقياً عنده
يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره لأن قريشاً كانوا قد أصابهم مجاعة وكان
أبو طالب مقلداً كثير الأولاد فقال عليه السلام لعمة العباس بن عبد
المطلب ان أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة
فانطلق بنا اليه لنخفف من عياله تأخذ واحداً وأنا واحداً فانطلقا وعرضاً
عليه الأمر فأخذ العباس جعفر بن أبي طالب وأخذ عليه السلام علياً
فكان في كفالته كأحد أولاده الى أن جاءت النبوة وقد ناهز الاحتلام
فكان تابعاً للنبي في كل أعماله ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة
الأوثان واتباع الهوى وأجاب أيضاً زيد بن حارثة بن شراحيل
الكلبي مولاه عليه السلام وكان يقال له زيد ابن محمد لأنه لما اشتراه
أعتقه وتبناه وكان المتبني معتبراً كابن حقيق يرث ويورث وأجابه أيضاً
أم أيمن حاضنته التي زوجها لمولاه زيد . وأول من أجابه من غير أهل
بيته أبو بكر بن أبي قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة
التيبي القرشي كان صديقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة يعلم

ما اتصف به من مكارم الأخلاق ولم يعهد عليه كذباً منذ اصطحبا
 فأول ما أخبره برسالة الله أسرع بالتصديق وقال بأبي أنت وأمي أهل
 الصدق أنت أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله . كان رضي الله
 عنه صدرا معظماً في قریش على سعة من المال وكرم الأخلاق وكان
 من أعف الناس سخياً يبذل المال محبباً في قومه حين المجالسة ولذلك
 كاهه كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة الوزير فكان يستشيره
 في أموره كلها وقال في حقه (ما دعوت أحداً الى الاسلام الا كانت
 له كبوة غير أبي بكر) وكانت الدعوة الى الاسلام سرّاً حذراً من
 مفاجأة العرب بأمر شديد كهذا فيصعب استسلامهم فكان عليه السلام
 لا يدعو الا من يثق به ودعا أبو بكر الى الاسلام من يثق به من رجال
 قریش فأجابه جمع (منهم) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية
 ابن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي ولما علم عمه الحكم
 باسلامه أوثقه كتاباً وقال ترغب عن دين آباءك الى دين مستحدث
 والله لا أحلك حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه ولا
 أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في الحق تركه وكان كهلاً يناهز
 الثلاثين من عمره (ومنهم) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن
 عبد العزى بن قصي القرشي وأمه صفية بنت عبد المطلب وكان عم
 الزبير يرسل الدخان عليه وهو مقيد ليرجع الى دين آباءه فقتواه الله

بالثبات وكان شابا لا يتجاوز سن الاحتلام (ومنهم) عبد الرحمن بن
 عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب الزهري القرشي
 وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه عليه السلام عبد الرحمن
 (ومنهم) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة
 ابن كلاب الزهري القرشي ولما علمت أمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية
 بإسلامه قالت له ياسعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف من
 الحرّ والبرد وان الطعام والشراب عليّ حرام حتى تكفر بمحمد وبقيت
 كذلك ثلاثة أيام فجاء سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه
 أمر أمه فنزل في ذلك تعليما قول الله تعالى في سورة العنكبوت (ووصينا
 الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به
 علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) وصاه جل ذكره
 بوالديه وأمره بالاحسان اليهما مؤمنين كانا أو كافرين أما اذا دعوا
 للإشراك فالمعصية متحتمة لأن كل حق وان عظم ساقط هنا فلا طاعة
 لمخلوق في معصية الخالق ثم قال اليّ مرجعكم من آمن منكم ومن أشرك
 فأجازيكم حق جزائكم وفي ختام هذه الآية فئدتان التنبيه على أن
 الجزاء إلى الله فلا تحدث نفسك بجهنمهما لاشرأكهما والحض على الثبات
 في الدين لئلا ينال شر جزاء في الأخرى (ومنهم) طلحة بن عبيد الله
 ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي وقد

كان عرف من الرهبان ذكر الرسول وصفته فلما دعاه أبو بكر وسمع
 من رسول الله ما نفعه الله به ورأى الدين متيناً بعيداً عما عليه العرب
 من المثالب بادر الى الاسلام (ومن) سبقوا الى الاسلام صهيب الرومي
 وكان من الموالي وعمار بن ياسر العنسي وقد قال رضي الله عنه رأيت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه الا خمسة أعبد وامرأتان
 وأبو بكر وكذلك أسلم أبوه ياسر وأمه سمية (ومن) السابقين الأولين
 عبد الله بن مسعود كان يرعى الغنم لبعض مشركي قريش فلما رأى
 الآيات الباهرة وما يدعو اليه عاينه السلام من مكارم الأخلاق ترك
 عبادة الأوثان ولزم رسول الله وكان رضي الله عنه كثير الدخول على
 الرسول لا يحجب ويمشي أمامه ويستتره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام
 ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس أدخلهما في ذراعيه (ومن) السابقين
 الأولين أبو ذر الغفاري وكان من أعراب البادية فصيحاً حلو الحديث
 ولما بلغه مبعث رسول الله قال لأخيه اركب الى هذا الوادي فاعلم لي
 علم هذا الرجل الذي يزعم انه نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله
 ثم اتتني فانطلق الأخ حتى قدم مكة وسمع من قول الرسول ثم رجع
 الى أبي ذر فقال رأيت ما أمر بمكارم الأخلاق ويقول كلاماً ما هو بالشعر
 فقال ما شفيتني مما أردت فتزود وحمل قرية له فيها ماء حتى قدم مكة
 فأتى المسجد فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه وكره أن يسأل

عنه لما يعرفه من كراهة قریش لكل من يخاطب رسول الله حتى اذا
 أدركه الليل رآه علي فعرف أنه غريب فأضافه عنده ولم يسأل أحد
 منهما صاحبه عن شيء (على قاعدة الضيافة عند العرب لا يسأل الضيف
 عن سبب قدومه الا بعد ثلاث) فلما أصبح احتمل قربته وزاده الى
 المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه الرسول حتى أمسى فعاد الى مضجعه
 فمر به علي فقال أما نال للرجل أن يعرف منزله الذي أضيف به بالأمس
 فأقامه فذهب معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى اذا كان
 اليوم الثالث عاد على مثل ذلك ثم قال له علي ألا تحدثني ما الذي
 أقدمك قال ان أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت ففعل فأخبره قال
 فانه حق وهو رسول الله فاذا أصبحت فاتبعني فاني ان رأيت شيئاً أخافه
 عليك قمت كأني أريق الماء فان مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي
 ففعل فانطلق يتبع أثره حتى دخل على النبي ودخل معه فسمع من قوله
 وأسلم مكانه فقال له النبي ارجع الى قومك فأخبرهم حتى يأتيتك أمري
 قال والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى
 المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله
 فقام القوم فضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس فأكتب عليه وقال ويلكم
 أو لستم تعلمون أنه من غفار وان طريق تجارتكم الى الشام عليه فأنقذه
 منهم ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا اليه فأكتب العباس عليه

(رواه البخاري) كان رضي الله عنه من أصدق الناس قولاً وأزهدهم في الدنيا (ومن) السابقين سعيد بن زيد العدوي القرشي وزوجه فاطمة بنت الخطاب أخت عمر وأم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية زوج العباس بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي القرشي ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه أم سلمة وعثمان بن مظعون الجمحي القرشي وأخوه قدامة وعبد الله والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي القرشي (ومن) السابقين الأقرم بن خالد بن سعيد ابن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي . كان أبوه سعيد قريش إذا اعتم لم يعتم قرشي إجلالاً له وكان خالد بن سعيد قد رأى في منامه أنه سيقع في هاوية فأدركه رسول الله وخلصه منها فجاء إليه وقال الام تدعو يا محمد قال أدعوك الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع والاحسان الى والديك وأن لا تقتل ولدك خشية الفقر وأن لا تقرب الفاحشة ما ظهر منها وما بطن وأن لا تقتل نفساً حرم الله قتلها الا بالحق وأن لا تقرب مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأن توفي النكيل والميزان بالقسط وأن تعدل في قولك ولو حكمت على ذوي قرباك وأن توفي لمن عاهدت فأسلم رضي الله عنه وحينئذ غضب عليه أبوه

وأذاه حتى منعه القوت فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن أبيه في ضواحي مكة وأسلم بعده أخوه عمرو بن سعيد . وهكذا دخل هؤلاء الأشراف في دين الاسلام ولم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف يضرب به أعناقهم حتى يطيعوه صاغرين وليس معه ما يرغب فيه حتى يترك هؤلاء العظماء آباءهم وذوي الثروة منهم ويتبعوا الرسول لياكلوا من فضل ماله بل كان الكثير منهم واسع الثروة أكثر منه عليه السلام كأبي بكر وعثمان وخالد بن سعيد وغيرهم والذين اتبعوه من الموالي اختاروا الأذى والجوع والمشقات مع اتباع الرسول بحيث لو اتبعوا ساداتهم لكانوا في هذه الدنيا أهدأ بالاً وأنعم عيشة اللهم ليس ذلك الا من هداية الله وسطوع أنوار الدين عليهم حتى أدركوا ما هم عليه من الضلالة وما عليه رسول الله من الهدى

﴿ الجهر بالتبليغ ﴾

مضت كل هذه المدة والنبي عليه السلام لا يظهر الدعوة في مجامع قريش العمومية ولم يكن المسلمون يتمكنون من إظهار عبادتهم حذراً من تعصب قريش فكان كل من أراد العبادة ذهب الى شعاب مكة يصلي مستخفياً . ولما دخل في الدين ما يربو على الثلاثين وكان من اللازم

اجتماع الرسول بهم ليرشدهم ويعلمهم اختار لذلك دار الأرقم بن أبي الأرقم وهو ممن ذكرنا إسلامهم ومكث عليه السلام يدعو سرّاً حتى نزل عليه قوله تعالى في سورة الحجر (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فبدل الدعوة سرّاً بالدعوة جهراً ممثلاً أمر ربه واثقاً بوعده ونصره فصعد على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر الخبر فجاء أبو لهب بن عبد المطلب وقريشاً فقال عليه السلام أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقياً قالوا نعم ما جربنا عليك كذباً قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تباً لك ألهذا جمعنا فأنزل الله في شأنه (تبت يدا أبي لهب وتب ما أغني عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) والقصد من حمل الحطب المشي بالنميمة لأنها كانت تقول على رسول الله الأكاذيب في نوادي النساء . ثم نزل عليه في سورة الشعراء (وأنذر عشيرتک الأقرين) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس أولاد عبد مناف (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك) أي العشيرة الأقرين (فقل اني بريء مما تعملون) فجمعهم عليه السلام وقال لهم ان الزائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس

جميعاً ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة والى
 الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما
 تعملون ولتجزون بالاحسان احساناً وبالسوء سوءاً وانها الجنة أبداً أو النار
 أبداً فتكلم القوم كلاماً لينا غير عمه أبي لهب الذي كان خصماً لدوداً
 فانه قال خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه العرب فان أسلمتموه اذا ذلتم
 وان منعموه قتلتم فقال أبو طالب والله لنمنعه ما بقينا ثم انصرف الجمع
 ولما جهر رسول الله عليه الصلاة والسلام بالدعوة سخرت منه
 قريش واستهزؤا به في مجالسهم فكان اذا مر عليهم يقولون هذا ابن
 أبي كبشة يكلم من السماء وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء
 لا يزيدون على ذلك فلما عاب آلهتهم وسفه عقولهم وقال لهم والله يا قوم
 لقد خالفتم دين أبيكم ابراهيم ثارت في رؤسهم حمية الجاهلية غيرة على
 تلك الآلهة التي كان يعبدها آباؤهم فذهبوا الى عمه أبي طالب سيد
 نبي هاشم الذي أخذ على نفسه حمايته من أيدي أعدائه فطلبوا منه
 أن يخلي بينهم وبينه أو يكفه عما يقول فردهم ردّاً جميلاً فانصرفوا عنه
 ومضى رسول الله لما يريد لا يصده عن مراده شئ فترايد الأمر
 وأضمرت قريش الحقد والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحث
 بعضهم بعضاً على ذلك ثم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى وقالوا له ان
 لك سناً وشرفاً ومنزلة منا وانا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم

تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه عقولنا وعيب
 آلهتنا فانهم كانوا اذا احتجوا بالتقليد في استمرارهم على عدم اتباع الحق
 ذمهم لعدم استعمال عقولهم فيما خلقت له قل تعالى في سورة البقرة (واذا
 قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان
 آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) وقال في سورة المائدة (واذا قيل
 لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا
 أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) وقال في سورة لقمان
 (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو
 لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) وقال في سورة الزخرف
 في بيان حججهم الداحضة (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على
 آثارهم مهتدون) ولما شبههم بمن قبلهم من الأمم في هذه المقالة الدالة
 على التعصب والعناد قال (قل أولو جئتمكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم
 قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) فلما تمسكوا بحجة التقليد لا بأنهم جر
 ذلك الى وصف آباءهم بعدم العقل وعدم الهداية فهاج ذلك أضغانهم
 وقالوا لأبي طالب إما أن تكفه أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد
 الفريقين ثم انصرفوا فعظم على أبي طالب فراق قومه ولم يطب نفساً
 بخذلان ابن أخيه فقال له يا ابن أخي ان القوم جاؤني فقالوا لي كذا
 فأبى على نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق فظن الرسول أن

عنه خاذله فقال والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري
على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه ثم
بكى وولى فقال أبو طالب أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه فقال اذهب
فقل ما أحببت والله لا أسلمك

﴿ الايذاء ﴾

ورأى رسول الله من المشركين كثير الأذى وعظيم الشدة
خصوصاً اذا ذهب الى الصلاة عند البيت وكان من أعظمهم أذى لرسول
الله جماعة سمو لكثرة أذاهم بالمستهزئين (فأولهم) وأشدهم أبو جهل
عمرو بن هشام بن المغيرة الخزومي القرشي قال يوماً يا معشر قريش ان
محمدًا قد أتى ما ترون من عيب دينكم وشم آهتكم وتسفيه أحلامكم
وسب آبائكم اني أعاهد الله لأجلسن له غداً بجحر لا أطيق حمله فاذا
سجد في صلاته رضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني
فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فلما أصبح أخذ حجراً
كما وصف ثم جلس لرسول الله ينتظره وغدا عليه السلام كما كان يغدو
الى صلاته وقريش في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد
عليه السلام احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع
منهزماً منتقماً لونه من الفرع ورمى حجره من يده فقام اليه رجال من

قريش فقالوا ما لك يا أبا الحكم قال قمت إليه لأفعل ما قلت لكم فلما
 دنوت منه عرض لي فخل من الأبل والله ما رأيت مثله قط همّ بي أن
 يأكلني فلما ذكر ذلك لرسول الله قال ذاك جبريل ولو دنا لأخذه
 وكان أبو جهل كثيراً ما ينهي الرسول عن صلاته في البيت فقال له مرة
 بعد أن رآه يصلي ألم أنك عن هذا فأغظ له رسول الله القول وهدّده
 فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً فأنزل الله تهديداً له في
 آخر سورة اقرأ (كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة
 فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب) ومن أذيته
 للرسول ما حكاه عبد الله بن مسعود من رواية البخاري قال كنا مع رسول
 الله في المسجد وهو يصلي فقال أبو جهل ألا رجل يقوم إلى فرث جزور بنى
 فلان فيلقيه على محمد وهو ساجد فقام عقبه بن أبي معيط بن أبي عمرو بن
 أمية بن عبد شمس وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبي صلى الله عليه وسلم
 وهو ساجد فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على إلقائه عنه
 لضعفهم عن مقاومة عدوهم ولم يزل عليه السلام ساجداً حتى جاءت
 فاطمة بنته فأخذت القدر ورمته فلما قام دعا على من صنع هذا الصنع
 القبيح فقال اللهم عليك الملاء من قريش وسمى أقواماً قال ابن مسعود
 فرأيتهم قتلوا يوم بدر . ومما حصل لرسول الله مع أبي جهل أن هذا
 ابتاع أجمالاً من رجل يقال له الأراشى فمظله بأثمانها فجاء الرجل مجمع

قريش يريد منهم مساعدة على أخذ ماله فدلوه على رسول الله لينصفه
من أبي جهل استهزاء لما يعلمونه من أفعال ذلك الشقي بالرسول فتوجه
الرجل اليه وطلب منه المساعدة على أبي جهل فخرج معه حتى ضرب
عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج متقاعاً لونه فقال له الرسول أعط
هذا حقه فقال أبو جهل لا تبرح حتى تأخذه فلم يبرح الرجل حتى
أخذ دينه فقالت قريش ويلك يا أبا الحكم ما رأينا مثل ما صنعت قال
ويلكم والله ما هو الا أن ضرب عليّ بابي حتى سمعت صوتاً ملئت منه
رعباً وان فوق رأسي فخلا من الابل ما رأيت مثله (ومن جماعة
المستهزئين) أبو لهب بن عبد المطلب عم رسول الله كان أشد عليه
من الأباعد فكان يرمى القدر على بابه لأنه كان جاراً له فكان
الرسول يطرحه ويقول يا بني عبد مناف أيّ جوار هذا وكانت تشاركه
في قبيح عمله زوجه أم جميل بنت حرب بن أمية فكانت كثيراً
ما تسب رسول الله وتكلم فيه بالنمائم وخصوصاً بعد أن نزل فيها وفي
زوجها سورة أبي لهب (ومن) المستهزئين عقبه بن أبي معيط كان الجار
الثاني لرسول الله وكان يعمل معه كأبي لهب صنع مرة وليمة ودعا لها
كبراء قريش وفيهم رسول الله فقال عليه السلام والله لا آكل طعامك
حتى تؤمن بالله فتشهد فبلغ ذلك أبي بن خلف الجمحي القرشي وكان
صديقاً له فقال ما شيء بلغني عنك قال لا شيء دخل منزلي رجل

شريف فأبى أن يأكل طعامي حتى أشهد له فاستحييت أن يخرج من
 بيتي ولم يطعم فشهدت له قال أبي وجهي من وجهك حرام ان لقيت
 محمداً فلم تطأ عنقه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فلما رأى عقبه رسول الله
 فعل به ذلك فأنزل الله فيه في سورة الفرقان (ويوم يعرض الظالم على
 يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلاتي ليتني لم أتخذ فلاناً
 خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان
 خذولاً) ومن أشد ما صنعه ذلك الشقي برسول الله ما رواه البخاري
 في صحيحه قال بينما النبي يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبه بن أبي
 معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر
 حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال (أتقتلون
 رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) (ومن) جماعة
 المستهزئين العاصي بن وائل السهمي القرشي والد عمرو بن العاص كان
 شديد العداوة لرسول الله وكان يقول غر محمد أصحابه أن يحيوا بعد الموت
 والله ما يهلكنا الا الدهر فقال الله ردّاً عليه في دعواه في سورة الجاثية
 (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ما لهم
 بذلك من علم ان هم الا يظنون) وكان عليه دين لخباب بن الأرت
 أحد رجال المسلمين فتقاضاه إياه فقال العاصي أليس يزعم محمد هذا
 الذي أنت على دينه أن في الجنة ما يتنغي أهلها من ذهب أو فضة أو

ثياب أو خدم قال خباب بن علي قال فأنظرنني الى هذا اليوم فسأوتني مالا
 وولداً وأقضيك دينك فأنزل الله فيه في سورة مريم (أفرايت الذي
 كفر بآياتنا وقال لأوتينّ مالا وولداً أطع الغيب أم اتخذ عند الرحمن
 عهداً كلا سنكتب ما يقول ونمدّ له من العذاب مداً ونرثه ما يقول
 ويأتينا فرداً) (ومن) جماعة المستهزئين الأسود بن عبد يغوث الزهري
 القرشي من بني زهرة أخوال رسول الله كان اذا رأى أصحاب النبي
 مقبلين يقول قد جاءكم ملوك الأرض استهزاء بهم لأنهم كانوا متقشفين
 ثيابهم رثة وعيشهم خشن وكان يقول لرسول الله سخرية أما كملت
 اليوم من السماء (ومنهم) الأسود بن المطلب الأسدي ابن عم خديجة
 كان هو وشيعته اذا مر عليهم المسلمون يتغامزون وفيهم نزل في سورة
 التطفيف (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا
 مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم
 قالوا ان هؤلاء لضالون) (ومنهم) الوليد بن المغيرة عم أبي جهل كان
 من عطاء قريش وفي سعة من العيش سمع القرآن مرة من رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال لقومه بني مخزوم والله لقد سمعت من محمد نفاً
 كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لخلوة وان
 عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت
 قريش صبأ والله الوليد لتصبأن قريش كلها فقال أبو جهل أنا أ كفيكموه

فتوجه وقعد اليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمداً
مجنون فهل رأيتموه يهوس وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكلم
وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون انه كذاب
فهل جرتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما
هو ففكر قليلاً ثم قال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله
وولده ومواليه فارتج النادى فرحاً فأنزل الله في شأن الوليد في سورة
المدثر مخاطباً لرسوله (ذرني ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالا ممدوداً .
وبنين شهوداً . ومهدت له تمهيداً . ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان
لآياتنا عنيداً . سأرهقه صعوداً انه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم
قتل كيف قدر . ثم نظر ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال ان
هذا الا سحر يؤثر . ان هذا الا قول البشر . سأصليه سقر) وأنزل فيه
أيضاً في سورة ن (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف وكفى بهذا
زاجراً لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير وأراد به الكذاب لأنه حقير في
نفسه (هماز) غياب طعان (مشاء بنميم) ينقل الأحاديث للافساد
بين الناس (مناع للخير معتمد أثيم . عتل) غليظ جاف (بعد ذلك
زئيم) دخيل (أن كان ذا مال وبنين . اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير
الاولين . سنسمه على الخراطوم) كناية عن الإذلال والتحقير لأن
الوجه أكرم عضو والأنف أشرف ما فيه ولذلك اشتقوا منه كل ما يدل

على العظمة كالأنفة وهي الحمية فالوسم على أشرف عضو دليل الإذلال
والإهانة (ومن) المستهزئين النضر بن الحارث العبدي من بني عبد
الدار بن قصي كان إذا جلس رسول الله مجلساً للناس يحدثهم ويذكرهم
ما أصاب من قبلهم قال النضر هلموا يا معشر قريش فإني أحسن منه
حديثاً ثم يحدث عن ملوك فارس وكان يعلم أحاديثهم ويقول ما أحاديث
محمد إلا أساطير الأولين وفيه نزل في سورة لقمان (ومن الناس من
يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً
أولئك لهم عذاب مهين . وإذا تتلى عليه آياتناولى مستكبراً كأن لم
يسمعهما كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم) وكل هؤلاء انتقم الله
منهم كما قال تعالى في التنزيل في سورة الحجر (انا كفيناك المستهزئين .
الذين يجعلون مع الله الهاً آخر فسوف يعلمون) وقد وضع الله جل ذكره
الوعد في صورة الماضي للتحقق من وقوعه لأن الآية مكية وهلاك هذه
الفئة كان بعد الهجرة فمنهم من قتل كأبي جهل والنضر بن الحارث
وعقبة بن أبي معيط ومنهم من ابتلاه الله بأمراض شديدة فهلك منها
كأبي لهب والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة

﴿ اسلام حمزة ﴾

وكان بعض إيدائهم هذا سبباً لاسلام عمه حمزة بن عبد المطلب

فقد أدركته الحمية عند ما عبرته بعض الجواري بايذاء أبي جهل لابن أخيه فتوجه الى ذلك الشقي وغازبه وسبه وقال كيف تسب محمداً وأنا على دينه ثم أنار الله بصيرته بنور اليقين حتى صار من أحسن الناس إسلاماً وأشدهم غيرة على المسلمين وأقواهم شكيمة على أعداء الدين حتى سمي أسد الله

وكما أودى الرسول عليه الصلاة والسلام أودى أصحابه لاتباعهم له وخصوصاً من ليس له عشيرة تحميه وترد كيد عدوه عنه وكل هذا الأذى كان حلواً في أعينهم ما دام فيه رضا الله فلم يفتنوا عن دينهم بل ثبتهم الله حتى أتم أمره على أيديهم وصاروا ملوك الأرض بعد أن كانوا مستضعفين فيها كما قال جل ذكره في سورة القصص (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) وقد حقق ما أراد (ومن) الذين أودوا في الله بلال بن رباح كان مملوكاً لأمية بن خلف الجمحي القرشي فكان يجعل في عنقه حبلاً ويدفعه الى الصبيان يلعبون به وهو يقول أحد أحد لم يشغله ما هو فيه عن توحيد الله وكان أمية يخرج به في وقت الظهيرة في الرمضاء وهي الرمل الشديد الحرارة لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره . ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول أحد أحد . مر به أبو بكر يوماً فقال

يا أمية أما تنقي الله في هذا المسكين حتى متى تعذبه قال أنت أفسدته
فأتقده مما ترى فاشتره منه وأعتقه فأنزل الله فيه وفي أمية في سورة
الليل (فأندرتكم ناراً تلتظي . لا يصلها الا الأشتى) أمية بن خلف
(الذي كذب وتولى . وسيجنبها الأتقى) الصديق (الذي يؤتي ماله
يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزي . الا ابتغاء وجه ربه الأعلى
ولسوف يرضى) بما يعطيه الله في الأخرى جزاء أعماله . وقد نبه الله
جل ذكره على أن بذل الصديق ماله في شراء بلال وعتقه لم يكن الا
ابتغاء وجه ربه وكفى بهذا شرفاً وفضلاً للصديق رضي الله عنه وأرضاه
وقد أعتق غير بلال جماعة من الأرقاء أسلموا فعاقبهم مواليهم (ومنهم)
حمامة أم بلال وعامر بن فهيرة كان يعذب حتى لا يدري ما يقول وأبو
فكيهة كان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف (ومنهم) امرأة تسمى
زُنيرة عذبت في الله حتى عميت فلم يزد لها ذلك الا إيماناً وكان أبوجهل
يقول ألا تعجبون لهؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى به محمد خيراً ما سبقونا
إليه أقتسبنا زُنيرة الى رشد فأنزل الله في سورة الأحقاف (وقال الذين
كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه واذا لم يهتدوا به فسيقولون
هذا افك قديم) (ومن) أعتق أبو بكر بعد شرائه أم عيسى كانت
أمة لبني زهرة وكان يعذبها الأسود بن عبد يغوث (ومن) عذب
في الله عمار بن ياسر وأخوه وأبوه وأمه كانوا يعذبون بالنار ففر بهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صبراً آل ياسر فمعدكم الجنة اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت أما أبو عمار وأمه فماتتا تحت العذاب ورحمهما الله وأما هو فثقل عليه العذاب فقال بلسانه كلمة الكفر فان أبا جهيل كان يجعل له دروع الحديد في اليوم الصائف ويلبسه إياها فقال المسلمون كفر عمار فقال عليه السلام عمار ملئ إيماناً من فرقه الى قدمه وأنزل الله في شأنه استثناء في حكم المرتد فقال جل ذكره في سورة النحل (من كفر بالله من بعد إيمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) (ومن) أوذى في الله خباب بن الأرت سبي في الجاهلية فاشتريته أم أثمار وكان حداداً وكان النبي يألفه قبل النبوة فلما شرفه الله بها أسلم خباب فكانت مولاته تعذبه بالنار فتأتي بالحديدة المحمجة فتجعلها على ظهره ليكفر فلا يزيده ذلك الا إيماناً وجاء خباب مرة الى رسول الله وهو متوسد برده في ظل الكعبة فقال يا رسول الله ألا تدعو الله لنا فتعد عليه السلام محمراً وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط أحدكم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ويوضع المنشار على فرق رأس أحدكم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه وليظهرن الله تعالى هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت (١) لا يخاف الا الله

(١) موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر وقيل موضع

والذئب على غنمه قال ذلك عليه السلام وهو في هذه الحال الشديدة التي لا يتصور فيها عقل العقلاء وأنبل النبلاء قوة منتظرة أو سعادة مستقبلة اللهم الا أن ذلك وحى يوحى اليه ثم أنزل الله تعالى تثبيتاً للمؤمنين أول سورة العنكبوت (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (وممن) أوزي في الله أبو بكر الصديق ولما اشتد عليه الأذى أجمع أمره على الهجرة من مكة الى جهة الحبشة فخرج حتى أتى برك الغماد فلقبه ابن الدغنة وهو سيد قبيلة عظيمة اسمها القارة فقال الى أين يا أبا بكر فقال أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي فقال ابن الدغنة مثلك يا أبا بكر لا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل ابن الدغنة معه وطاف في أشراف قريش فقال لهم أبو بكر لا يخرج مثله أخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا له من أبا بكر فليعبده ربه في داره فليصل فيها ما شاء وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا

يستعلن فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لأبي
 بكر فلبث بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير
 داره ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ
 القرآن فينقذ عليه نساء المشركين وأبنائهم وهم يعجبون منه وينظرون
 اليه وكان رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف
 قريش فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا قد أجرنا أبا
 بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً
 بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا
 وأبناءنا فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه بفناء داره فعل وان أبي
 الا أن يعلن ذلك فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا
 مقرين لأبي بكر الاستعلان فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال قد علمت الذي
 عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك واما أن ترجع إلى ذمتي فاني
 لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر
 فاني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله (رواه البخاري) وكان ذلك
 سبباً لا يصل أذى عظيم إلى أبي بكر رضي الله عنه وبالجملة فلم يخل أحد
 من المسلمين من أذية لحقته ولكن كل ذلك ضاع سدى تلقاء ثباتهم
 وعظيم إيمانهم فانهم لم يسلموا لغرض دنيوي يرجون حصوله فيسهل
 ارجاعهم ولكن وفقهم الله لادراك حقيقة الايمان فرأوا كل شيء دونه سهلاً

ولما رأى كفار قريش أن ذلك الأذى لم يجد لهم نفعاً بل كلما زادوا
المسلمين أذى ازداد يقينهم اجتمعوا للشورى فيما بينهم فقال لهم عتبة بن
ربيعة العيشمي من بني عبد شمس بن عبد مناف وكان سيداً مطاعاً
في قومه يا معشر قريش ألا أقوم لمحمد فأكله وأعرض عليه أموراً عليه
يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا فقالوا يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه
فذهب إلى رسول الله وهو يصلي في المسجد وقال يا ابن أخي أنك منا
حيث قد علمت من خيارنا حسباً ونسباً وإنك قد أتيت قومك بأمر
عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم ودينهم
وكفرت من مضي من آباءهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها
لعلك تقبل منها بعضها فقال عليه السلام قل يا أبا الوليد أسمع فقال
يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك
من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا
حتى لا تقطع أمراً دونك وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وإن
كان هذا الذي يأتيك رثياً من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا
لك الطب وابدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على
الرجل حتى يداوى فقال عليه السلام لقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم
قال فاسمع مني فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أول سورة فصلت
(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب

فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم
فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما أنا بشر مثلكم يوحى
اليّ انما إلهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين .
الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون . ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم أجر غير ممنون . قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض
في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من
فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم
استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا
أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء
أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم . فان
أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل
من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل
ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون) فأمسك عتبة بفيه وناشده الرحم أن
يكف عن ذلك فلما رجع عتبة سأله فقال والله لقد سمعت قولاً
ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسكّهانة ولا بالسحر يا معشر
قريش أطيعوني فاجعلوها لي خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه
فوالله ليكونن لكلامه الذي سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه

بغيركم وان يظهر على العرب فعزه عزكم فقالوا لقد سحرك محمد فقال هذا رأيي (ثم) عرضوا عليه بعد ذلك أن يشاركهم في عبادتهم ويشاركونه في عبادته فأنزل الله في ذلك (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابدٌ ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين) فلا تتوهموا أني أجيبكم لطلبكم من الإشراف بالله فأيسوا منه وطلبوا بعد ذلك أن ينزع من القرآن ما يغيظهم من ذم الأوثان والوعيد الشديد فيأتي بقرآن غيره أو يبدله فأنزل الله جواباً لهم في سورة يونس (قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ) وقد حصل له مع كفار قريش نادرة تكون لمن استهان بالضعيف كمصباح يستضيء به وهي انه بينا الرسول عليه السلام مع كبراء قريش وأشرافهم يتألفهم ويعرض عليهم القرآن وما جاء به من الدين إذ أقبل عليه عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى وهو ممن أسلموا قديماً والنبي مشتغل بالقوم وقد لقي منهم مؤانسة حتى طمع في إسلامهم فقال له عبد الله يا رسول الله علمني مما علمك الله وأكثر عليه القول فشق ذلك على الرسول وكره قطعه لكلامه وخاف عليه السلام أن يكون التفاته لذلك المسكين ينفر عنه قلب أولئك الأشراف فأعرض عنه فعاتبه الله على ذلك بقوله أول سورة عبس (عبس وتولى أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكري . أما من

استغنى فأنت له تصدّي . وما عليك ألا يزكي . وأما من جاءك يسعى
وهو يخشى . فأنت عنه تلهي) فما عبس رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعدها في وجه فقير وكان إذا أقبل عليه عبد الله ابن أم مكتوم يقول له
مرحباً بمن عاتبني فيه ربي

ولما رأى المشركون أن هذه المطالب التي يعرضونها لا تقبل منهم
أرادوا أن يدخلوا من باب آخر وهو تعجيز الرسول بطلب الآيات
فاجتمعوا وقالوا يا محمد ان كنت صادقاً فأرنا آية نطلبها منك وهي أن
تشق لنا القمر فرقتين فأعطاه الله هذه المعجزة وانشق القمر فرقتين
فقال رسول الله أشهدوا وهذه القصة رواها عبد الله بن مسعود وهو من
السابقين الأولين رويت عنه من طرق كثيرة ورواها عبد الله بن عباس
وغيره ورواها عنهم جمع غزير حتى صار الحديث كالمثواتر وقد ذكرها
القرآن الكريم في قوله تعالى أول سورة القمر (اقتربت الساعة وانشق
القمر) فحينما رأى المعاندون هذه الآية الكبرى قال بعضهم لقد سحركم
ابن أبي كبشة فأنزل الله فيهم (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر) ثم سألو الرسول بعد ذلك آيات لا يقصدون بذلك الا التعتت
والعناد فمنها أن قالوا كما في سورة الاسراء (لن نؤمن لك حتى تفجر
لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر
الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي

بالله والملائكة قبيلاً . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء
 وإن تؤمن لرقيق حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه) ولم يجبههم الله إلا بقوله
 (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا) لأن الله علم ما تكنه
 جوارحهم من التعصب والعناد فلا يؤمنون مهما جاءهم من البيّنات كما
 قال جل ذكره في سورة الأنعام (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون)
 وكيف يرجى الخير ممن قالوا كما في سورة الأنفال (اللهم ان كان هذا
 هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)
 ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه وهذه سنة
 من سنن الأنبياء إذا رأوا من طلاب الآيات عناداً وانهم يطلبونها
 تعجيزاً لا يسألون الله انفاذ هذه الآيات كيلا يحل بقومهم الهلاك كما
 حصل لعاد وثمود وغيرهم وهذا هو المراد من قوله تعالى في سورة الاسراء
 (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) وقد حصل
 للمسيح عليه السلام أنه لما وقف أمام هيردوس طلب منه آية فلم يجبه
 الى طلبه فلما رأى ذلك سخر منه وردّه الي عدوه بيلاطس بعد أن كان
 يأسف عليه ويتمنى لقاءه وذلك مذكور في الاصحاح الثالث والعشرين
 من انجيل لوقا (هذا) ولما رأى المشركون ضعفهم عن مقاومة المسلمين
 بالبرهان تحولوا الى سياسة القوة التي اختارها قوم ابراهيم عند ما عجزوا
 عنه حيث قالوا (حرّقوه وانصروا آلهتكم) كما في سورة الأنبياء أما

هؤلاء فازدادوا بالأذى على كل من أسلم رجاء صدمهم عن اتباع الرسول
عليه السلام ولم يتركوا باباً إلا ولجوه. فقال عليه السلام لأصحابه تفرقوا في
الأرض فان الله سيجمعكم فسألوه عن الوجه فأشار الى الحبشة

﴿ هجرة الحبشة الأولى ﴾

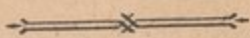
فبعد ذلك تجهز ناس للخروج من ديارهم وأموالهم فراراً بدينهم
كما أشار عليه السلام وهذه هي أول هجرة من مكة وعدة أصحابها عشرة
رجال وخمس نسوة وهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله
وأبو سلمة وزوجه أم سلمة وأخوه لأمه أبو سبرة بن أبي رهم وزوجه أم
كلثوم وعامر بن ربيعة وزوجه ليلى وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة
وزوجه سهلة بنت سهيل وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون
ومصعب بن عمير وسهيل بن البيضاء والزبير بن العوام وجلهم من قريش
وكان عليهم فيما روي ابن هشام عثمان بن مظعون فساروا على بركة الله
ولما انتهوا الى البحر استأجروا سفينة أوصلتهم الى مقصدهم فأقاموا آمينين
من أذى يلحق بهم من المشركين ولم يبق مع النبي عليه السلام الا القليل

﴿ إسلام عمر ﴾

وفي ذلك الوقت أسلم الشهم الهمام عمر بن الخطاب العدوي القرشي

بعد ما كان عليه من كراهية المسلمين وشدة أذاهم . قالت ليلى احدى
 المهاجرات لأرض الحبشة مع زوجها كان عمر بن الخطاب من أشد
 الناس علينا في إسلامنا فلما ركبت بعيري أريد أن أتوجه الى أرض
 الحبشة اذا أنا به فقال لي الي أين يا أم عبد الله فقلت قد آذيتمونا في
 ديننا نذهب في أرض الله حيث لا نوذي فقال صحبكم الله فلما جاء زوجي
 عامر أخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال ترجين أن يسلم والله لا يسلم
 حتى يسلم حمار الخطاب وذلك لما كان يراه من قسوته وشدته على
 المسلمين ولكن حصلت له بركة دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم فانه
 قال قبيل إسلامه اللهم أعز الإسلام بعمر وكان إسلامه في دار الأرقم
 ابن أبي الأرقم التي كان المسلمون يجتمعون فيها وقد حقق الله بإسلامه
 ما رجاه عليه السلام فقد قال عبد الله بن مسعود من رواية البخاري
 (ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر) فانه طلب من رسول الله أن يعلن صلاته
 في المسجد ففعل وقد أدرك الكفار كآبة شديدة حينما رأوا عمر أسلم
 وكانوا قد أرادوا قتله حتى اجتمع جمع منهم حول داره ينتظرونه فجاء
 العاص بن وائل السهمي وهو من بني سهم حلفاء بني عدي قوم عمر
 وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحريير فقال لعمر ما بالك فقال زعم
 قومك انهم سيقتلوتي أن أسلمت قال لا سبيل اليك فأنا لك جار فأمن
 عمر وخرج العاص فوجد الناس قد سال بهم الوادي فقال أين تريدون

قالوا نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ قال لا سبيل اليه فرجع الناس
من حيث أتوا



﴿ رجوع مهاجري الحبشة ﴾

وبعد ثلاثة أشهر من خروج مهاجري الحبشة رجعوا الى مكة
حيث لا تنيسر لهم الإقامة فيها لأنهم قليلو العدد وفي الكثرة بعض
الأنس وأضف الى ذلك انهم أشرف قريش ومعهم نساؤهم وهؤلاء
لا يطيب لهم عيش في دار غربة بهذه الحالة

وقد أولع بعض المؤرخين بحكاية يجعلونها سبباً في رجوع مهاجري
الحبشة وهي أنه بلغهم إسلام قومهم حينما قرأ عليهم الرسول سورة النجم
وتكلم فيها كلاماً حسناً عن آلهتهم حيث قال بعد (أفرايتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الأخرى) تلك الغرائق (جمع غرنوق وهي الطيور
ويراد بها الملائكة) العلى وان شفاعتهن لترنجي فسجدوا إعظاماً لذلك
وفرحوا وهذا مما لا تجوز روايته إلا على قليلي الإدراك الذين ينقلون كل
ما وجدوه غير مثبتين من صحته وهانحن أولاء نسوق لك أدلة النقل
والعقل على بطلان ما ذكر . أما الحديث فسنده ومثته قلقان فالسند قال
فيه القاضي عياض في الشفاء لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه
ثقة بسند سليم وأما المتن فليس أصحاب رسول الله ولا المشركون مجانين

حتى يسمعوا مدحاً أثناء ذم ويجوز ذلك عليهم فبعد ذكر الأصنام قال
(ان هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)
فالكلام غير منتظم ولو كان ذلك قد حصل لاتخذ الكفار عليه حجة
يجاجونه بها وقت الخصام وهم من نعرفهم من العناد فيما ليس فيه أدنى
حجة فكيف بهذه وليس ذلك القيل أقل من تحويل القبلة الى الكعبة
وهذا قالوا فيه ما قالوا حتى سماهم الله سفهاء وأنزل فيهم في سورة البقرة
(سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) ولكن
لم يسمع عن أي واحد من رجالهم والمتصدرين للعناد منهم ان قال
ما لك ذممت آلهتنا بعد أن مدحتها وكان ذلك أولى لهم من تجريد
السيوف وبذل مهج الرجال على أن المؤرخين الذين ينقلون هذه العبارة
ويجعلونها سبباً لرجوع مهاجري الحبشة يقولون أثناء كلامهم ان الهجرة
كانت في رجب والرجوع كان في شوال ونزول سورة النجم كان
في رمضان فالمدّة بين نزول السورة ورجوع المهاجرين شهر واحد
والتأمل أدنى تأمل يرى أن الشهر كان لا يكفي في ذلك الزمن للذهاب
من مكة الى الحبشة والاياب منها لأنه لم يكن إذ ذاك مراكب بخارية
تسهل السير في البحر ولا تلغراف يوصل خبر إسلام قريش لمن بالحبشة
فلا غرابة بعد ذلك أن قلنا ان هذه الخرافة من موضوعات أهل الأهواء
الذين ابتلى الله بهم هذا الدين ولكن الحمد لله فقد منّ علينا بحفظ

كتابنا المجيد الذي يحكم بيننا وبين كل مفتر كذاب في السورة نفسها
 (وما ينطق عن الهوى) والذي يلقى به الشيطان من أقبح ما يروى
 فكيف يقوله عليه السلام أو يجري على لسانه مما ثبت الشكوك في الوحي
 الأمر الذي يريد السفهاء ردّ الله كيدهم في نحرهم . والذي ورد في
 الصحيح في موضوع هذا السجود ما رواه عبد الله بن مسعود أن النبي
 عليه السلام قرأ والنجم فسجد وسجد من كان معه إلا رجلاً أخذ كفاً
 من حصى وضعه على جبهته وقال يكفيني هذا فرأيتَه قتل بعد كافرًا
 وليس في هذا الحديث أدنى دلالة على أن الذين سجدوا معه هم
 مشركون بل الذي يفيد قوله فرأيتَه قتل بعد كافرًا انه كان مسلمًا ثم
 رأيتَه ارتد وهذا ما حصل من بعض ضعاف القلوب الذين لم يتحملوا
 الأذى فكفروا منهم علي بن أمية بن خلف (هذا) ولما رجع مهاجرو
 الحبشة الى مكة لم يتمكن من الدخول اليها الا من وجد له مجبراً فدخل
 أبو سلمة في جوار خاله أبي طالب ودخل عثمان بن مظعون في جوار
 الوليد بن المغيرة وقد رد عليه جواره حينما رأى ما صنعه بالمسلمين فلم ير
 أن يكون مرتاحاً واخوانه يعذبون

﴿ كتابة الصحيفة ﴾

ولما ضاقت الحيل بكفار قريش عرضوا على بني عبد مناف الذين

منهم الرسول عليه السلام دية مضاعفة ويسلمونه فأبوا عليهم ذلك ثم
 عرضوا على أبي طالب أن يعطوه سيداً من شبانهم يتبناه ويسلم اليهم
 ابن أخيه فقال عجباً لكم تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني
 تقتلونه فلما رأوا ذلك أجمعوا أمرهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب
 ولدي عبد مناف وأخراجهم من مكة والتضييق عليهم فلا يبيعونهم
 شيئاً ولا يتعاون منهم حتى يسلموا محمداً للقتل وكتبوا بذلك صحيفة
 وضعوها في جوف الكعبة فأنحاز بنو هاشم بسبب ذلك في شعب
 أبي طالب ودخل معهم بنو المطلب سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم
 ما عدا أبا لهب فإنه كان مع قريش وأخذل عنهم بنو عمهم عبد شمس
 ونوفل ابني عبد مناف فجهد القوم حتى كانوا يأكلون ورق الشجر وكان
 أعداؤهم يمنعون التجار من مبايعتهم وفي مقدمة المانعين أبو لهب

﴿ هجرة الحبشة الثانية ﴾

وبعد دخول الرسول وقومه الشعب أمر جميع المسلمين أن يهاجروا
 للحبشة حتى يساعد بعضهم بعضاً على الاعتراب فهاجر معظمهم وكانوا
 نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانية عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن
 أبي طالب وزوجه أسماء بنت عميس والمقداد بن الأسود وعبد الله بن
 مسعود وعبيد الله بن جحش وامراته أم حبيبة بنت أبي سفيان وتوجه

لهم الذين أسلموا من جهة اليمن وهم الأشعريون أبو موسى وبنو عمه ولما
 رأت قريش ذلك أرسلت في أثرهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد
 بهدايا إلى النجاشي ليسلم المسلمين فرجعا شر رجعة ولم ينالا من النجاشي
 إلا إهانة لما خاطبوه به من إخفار ذمته في قوم لا ذوا به أما بنو هاشم
 فكشوا في الشعب قريبا من ثلاث سنوات في شدة الجهد والبلاء
 لا يصلهم شيء من الطعام إلا خفية

﴿ نقض الصحيفة ﴾

وقد قام خمسة من أشرف قريش يطالبون بنقض هذه الصحيفة
 الظالمة وهم هشام بن عمرو بن الحارث العامري وهو أعظمهم في ذلك
 بلاء وزهير بن أبي أمية المخزومي ابن عمه الرسول عاتكة والمطعم بن
 عدي النوفلي وأبو البختری بن هشام الأسدي وزمعة بن الأسود
 الأسدي واتفقوا على ذلك إياهم فلما أصبحوا غدا زهير وعليه حلة فطاف
 بالبيت ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنا كل الطعام ونلبس
 الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكت لا يبيعون ولا يتبعون والله لا أقعد
 حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطمة فقال أبو جهل كذبت فقال زمعة
 لأبي جهل أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت فقال أبو
 البختری صدق زمعة وقال المطعم بن عدي صدقنا وكذب من قال غير

ذلك وصدق على ما قيل هشام بن عمرو فقام اليها المطعم بن عدي فشقهها
 وكانت الأريضة قد أكلتها فلم يبق فيها إلا ما فيه اسم الله وقد أخبر
 النبي عليه السلام عمه أبا طالب بذلك قبل أن يفعل ما ذكر فخرج
 القوم الي مساكنهم بعد هذه الشدة

﴿ وفود نجران ﴾

وقد وفد على الرسول بعد الخروج من الشعب وفد من نصارى
 نجران بلغهم خبره من مهاجري الحبشة فسارعوا بالقدوم عليه حتى يروا
 صفاته مع ما ذكر منها في كتبهم وكانوا عشرين رجلاً أو قريباً من
 ذلك فقرأ عليهم القرآن فأمنوا كلهم فقال لهم أبو جهل ما رأينا ربكأ
 أحق منكم أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصبأتم فقالوا سلام
 عليكم لا نجاهلكم لكم ما أنتم عليه ولنا ما اخترناه فأنزل الله في ذلك
 في سورة القصص (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا
 يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين
 أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما
 رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم
 أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) وقد كان أهل مكة حينما
 عجزوا عن أمر رسول الله ولم يتمكنوا من مقارعة الحججة بالحجة رموه

بالسحر مرة وبالكذب أخرى وبالجنون طورًا وبالكهانة تارة كل ذلك
 شأن العاجز المعاند الذي لا يستحي لمزيد عناده أن يقول (اللهم ان
 كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا
 بعذاب أليم)

﴿ وفاة خديجة رضي الله عنها ﴾

وبعد خروجه عليه السلام من الشعب بقليل وقبل الهجرة بثلاث
 سنين توفيت خديجة بنت خويلد زوجه رضي الله عنها كان عليه السلام
 كثيرًا ما يذكرها ويترحم عليها ولا غرابة فهي أول نفس زكية
 صدقت رسول الله فيما جاء به عن ربه وقد جاء منها بأولاده كلهم
 ما عدا إبراهيم فمنها زينب وهي أكبر بناته تزوجها في الجاهلية
 أبو العاص بن الربيع وأعقب منها أمامة التي تزوجها علي بن أبي طالب
 بعد وفاة فاطمة ومنها رقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان الأولى بمكة قبل
 الهجرة وهاجر بها إلى الحبشة والثانية بالمدينة بعد أن ماتت أختها
 ومنها فاطمة وهي أصغر بناته تزوجها علي بن أبي طالب وقد جاءت
 خديجة بأولاد توفوا صغارًا ولم يعيش بعد رسول الله من أولاده إلا
 فاطمة عاشت بعده قليلًا . ولما توفيت خديجة حزن عليها رسول الله
 حزنًا شديدًا لما كانت عليه من الرقة لرسول الله ومحاجة الكفار عنه

لما لها من الجاه في عشيرتها بني أسد ومنها القاسم وكان به يكنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر

﴿ زواج سودة ﴾

وعقد عليه السلام في الشهر الذي ماتت فيه خديجة على سودة بنت
زمنة العامرية القرشية بعد أن توفي عنها زوجها وابن عمها السكران بن
عمرو وقد كانت آمنت بالله وبرسوله وخالفت أقاربها وبني عمها
وهاجرت مع زوجها الى الحبشة في المرة الثانية خوف الفتنة وعقب رجوعه
من هجرته توفي عنها فلم يكن ثم أجل مما صنعه الرسول بزواج رجل
آمن به ولو تركت قومها مع ما هم عليه من الغلظة وكراهة الاسلام
لفتنوها وكرم نسبها في قومها يمنعها من التزوج برجل أقل منها نسباً وشرفاً

﴿ زواج عائشة رضي الله عنها ﴾

وبعد ذلك بشهر عقد على عائشة بنت صديقه أبي بكر وهي
لا تتجاوز السابعة من عمرها ولم يتزوج عليه السلام بكراً غيرها ودخل
عليها بالمدينة أما سودة فدخل عليها بمكة

وبعد وفاة خديجة بنحو شهر توفي عمه أبو طالب الذي كان يمنع
من أذى أعدائه ومع أنه كان لا يكذب رسول الله فيما جاء به بل يعتقد

صدقه لم ينطق بالشهادتين حتى آخر لحظة من حياته وفيه نزل في سورة
 القصص (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو
 أعلم بالمهتدين) ولكن لأعماله العظيمة التي عملها مع رسول الله نرجو أن
 يخفف عنه وعدم إسلامه بل هو وغالب أقارب الرسول فيه من الحكمة
 ما لا يخفى فانهم لو بادروا باتباعه لقليل قوم يطلبون سيادةً وفخراً ليسا
 لهم فجاؤا بهذا الأمر المقترى ولكن لما رأى المعاندون أن متبعيه هم
 الغرباء عنه الذين ليسوا من عشيرته بل من أعدائها أحياناً كعثمان بن
 عفان من بني أمية لم يكن عندهم أدنى حجة يقيمونها اللهم إلا دعواؤهم
 الكاذبة التي كانوا يتمسكون بها حينما تصدعهم الحجة من قولهم ساحر
 يفرق بين المرء وزوجه وكاهن يتكهن بالغيب وقد سمي رسول الله هذا
 العام الذي فقد فيه زوجه وعمه عام الحزن ولما مات أبو طالب نالت
 قريش من رسول الله ما لم يمكنها نيله في حياة أبي طالب واشتد الأمر
 عليه حتى كانوا ينثرون التراب على رأسه وهو سائر ويضعون أوساخ
 الشاة عليه في صلاته وتعلقت به كفار قريش مرة يتجاذبونه ويقولون
 له أنت الذي تريد أن تجعل الآلهة الهاً واحداً فما تقدم أحد من
 المسلمين حتى يخلصه منهم لما هم عليه من الضعف إلا أبو بكر فإنه تقدم
 وقال أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله

﴿ هجرة الطائف ﴾

فلما رأى عليه السلام استهانة قريش به أراد أن يتوجه الى ثقيف
 بالطائف (١) يرجو منهم نصرته على قومه ومساعدته حتى يتم أمر ربه
 لأنهم أقرب الناس الى مكة وله فيهم خوولة فان أم هانم بن عبد مناف
 عاتكة السلمية من بني سليم بن منصور وهم حلفاء ثقيف فلما توجه اليهم
 ومعه مولاة زيد بن حارثة قابل رؤساءهم وكانوا ثلاثة عبد ياليل
 ومسعود وحبيب أولاد عمرو بن عمير الثقفي فعرض عليهم نصرته حتى
 يؤدي دعوته فردوا عليه ردّاً قبيحاً ولم ير منهم خيراً وحينذاك طلب
 منهم أن لا يشيعوا ذلك عنه كيلا تعلم قريش فيشتد أذاهم لأنه
 استعان عليهم بأعدائهم فلم تفعل ثقيف ما رجاه منهم عليه السلام بل
 أرسلوا سفهاءهم وغلمانهم يقفون في وجهه في الطريق ويرمون بالحجارة
 حتى أدموا عقبه وكان زيد بن حارثة يدرأ عنه الى أن انتهى الى
 شجرة كرم واستظل بها وكانت بجوار بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة
 وهما من أعدائه وكانا في البستان فكره رسول الله مكنهما فدعا الله
 قائلاً (اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وهو اني على الناس يا أرحم
 الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكنتي ان لم يكن

(١) بلد في الجنوب الشرقي من مكة

بك غضب عليّ فلا أبالي) فلما رآه ابنا ربيعة رقاه وأرسل اليه بقطف
من العنب مع مولى لهما نصراني اسمه عدّاس فلما ابتداء رسول الله صلى
الله عليه وسلم يأكل قال (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال عدّاس هذا
الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له عليه السلام من أيّ البلاد
أنت وما دينك فقال نصراني من نينوى (١) فقال له عليه السلام من
قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال وما علمك بيونس فقراً له من القرآن
ما فيه قصة يونس فلما سمع ذلك عدّاس أسلم . وأتى جبريل برسالة من
الله جل ذكره وقال ان الله أمرني أن أطيعك في قومك لما صنعوه معك
فقال عليه السلام (اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون) فقال جبريل
صدق من سماك الرؤف الرحيم . ولما كان بنخلة وفد عليه نفر من الجن
يستمعون القرآن وهم ممن ينتمون الى موسى صلوات الله عليه فلما سمعوه
أنصتوا له ورجعوا الى قومهم منذرين وأبلغوهم خبر رسول الله وفيهم نزل
في سورة الأحقاف (وإذ صرفنا اليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما
حضره قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا
إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي الى

(١) بلد على شاطئ دجلة وهي آخر ما ينتهي اليه العراق وأمامه

الحق والى طريق مستقيم . يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر
لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يحب داعي الله
فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال
مبين) وقد قص الله قصة الجن بعبارة أطول في سورة سميت باسمهم
أولها (قل أوحى اليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً
عجباً يهدي الى الرشاد فآمنّا به ولن نشركَ بربنا أحدا)

﴿ الاحتماء بالمطعم بن عدي ﴾

ولما رجع عليه السلام من الطائف هكذا لم يتمكن من دخوله مكة
لما علمه كفار قريش من أنه توجه الى الطائف يستنصر بأهلها عليهم
فأرسل عليه السلام الى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف يخبره
أنه سيدخل مكة في جواره فأجاب الى ذلك وتسلح هو وبنوه وتوجهوا
مع رسول الله الى المطاف فقال له بعض المشركين أمجير أنت أم تابع
فقال بل مجير قالوا اذا لا تخف ذمتك

﴿ وفد دوس ﴾

وقدم على رسول الله وهو بمكة الطفيل بن عمرو الدوسي من قبيلة
دوس عشيرة أبي هريرة الصحابي الشهير وكان الطفيل شريفاً في قومه

شاعراً نبيلاً فلما قرأ عليه القرآن أسلم فقال له رسول الله اذهب الى قومك فادعهم الى الاسلام ودعاهم رسول الله فقال اللهم اهد دوساً فتوجه اليهم الطفيل ودعاهم فآمن بدعوته كثير منهم وسستأتي وفادته على الرسول مرة ثانية بقومه في المدينة

﴿ الاسراء والمعراج ﴾

وقبل الهجرة أكرمه الله بالاسراء والمعراج أما الاسراء فهو توجهه ليلاً الى بيت المقدس بايلياء ورجوعه من ليلته وأما المعراج فهو صعوده الى العالم العلوي وقد قال جمهور أهل السنة ان ذلك كان بجسمه الشريف وكانت عائشة رضي الله عنها تمنع رؤية رسول الله ربه وتقول من قال ان محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله والاسراء مذكور في القرآن الكريم قال تعالى في أول سورة الاسراء (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) وأما المعراج فقد ورد في صحيح السنة وأصح أحاديثه ما رواه الشيخان ونقله القاضي عياض في شفاؤه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي

تربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت
 فأتاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل
 اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت
 قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
 اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى
 السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن
 معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا
 بابني الخالة يحيى وعيسى ابن مريم فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا
 الى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا واذا أنا بيوسف واذا هو
 قد أعطي شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
 الرابعة وذكر مثله فاذا أنا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال تعالى
 في سورة مريم (ورفعناه مكانا عليا) ثم عرج بنا الى السماء الخامسة
 فذكر مثله فاذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى
 السماء السادسة فذكر مثله فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم
 عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره
 الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون
 اليه ثم ذهب بي الى سدره المنتهى فاذا أوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها
 كالقلال فلما غشيتها من أمر ربي ما غشيتها تغيرت فما أحد من خلق

الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلى ما أوحى ففرض عليّ
 وعلى أمي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال
 ما فرض ربك على أمك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فسله
 التخفيف فإن أمك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل قبلك
 وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي وقلت يا ربي خفف عن أمي فخط عني
 خمسا فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان أمك لا يطيقون
 ذلك فارجع إلى ربك فسله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تعالى
 وبين موسى حتى قال سبحانه يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة
 لكل صلاة عشر فلك خمسون صلاة ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت
 له حسنة ومن همّ بحسنة فعلمها كتبت له عشرا ومن همّ بسيئة فلم
 يعملها لم تكتب له شيئا ومن همّ بسيئة فعلمها كتبت له سيئة واحدة
 قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فسله
 التخفيف فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحيت منه . ثم رجعت عليه
 السلام من ليلته فلما أصبح غدا إلى نادي قريش فجاء إليه أبو جهل بن
 هشام فحدثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جرى له فقال أبو جهل
 يا بني كعب بن لؤي هلموا فأقبل عليه كفار قريش فأخبرهم الرسول
 الخبر فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد
 ناس ممن كان آمن به من ضعاف القلوب وسعى رجال إلى أبي بكر فقال

ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أنصده على ذلك قال اني لأصده
على أبعده من ذلك فسمي من ذلك اليوم صديقاً ثم قام الكفار يمتحنون
رسول الله فسألوه نعت بيت المقدس وفيهم رجال رأوه أما رسول الله
فلم يكن رآه قبل ذلك فجله الله له فصار يصفه لهم باباً باباً وموضعاً
موضعاً فقالوا أما النعت فقد أصاب فأخبرنا عن غيرنا وكانت لهم غير
قادمة من الشام فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع
طلوع الشمس يقدمها جبل أورق فخرجوا يشدون ذلك اليوم نحو الثانية
فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر وهذه والله
الغير قد أقبلت يقدمها جبل أورق كما قال محمد ثم لم يزد لهم ذلك الا
كفرًا وعنادًا حتى قالوا هذا سحر مبین . وفي صبيحة ليلة الإسراء
جاء جبريل وعلم رسول الله كيفية الصلاة وأوقانها فيصلي ركعتين اذا
ظهر الفجر وأربع ركعات اذا زالت الشمس ومثلها اذا ضوعف ظل
الشيء وثلاثاً اذا غربت وأربعاً اذا غاب الشفق الأحمر وكان عليه
السلام قبل مشروعية الصلاة يصلي ركعتين صباحاً ومثلها مساءً كما كان
يفعل ابراهيم عليه السلام

﴿ العرض على القبائل ﴾

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجد من قريش منعه

من تأدية الرسالة وتسليط الكبر والعظمة على قلوبهم أراد الله أن يظهر
 أمر الدين على أيدي غيرهم من العرب فكان عليه السلام يخرج في
 المواسم العربية (وهي أسواق كانت العرب تعقدتها للتجارة والمفاخرة)
 ويعرض نفسه على القبائل ليحموه حتى يؤدي رسالة ربه فكان بعضهم
 يرد رداً جميلاً وآخرون رداً قبيحاً وكان من أقبح القبائل رداً بنو حنيفة
 رهط مسيلمة الكذاب وطلب منه بنو عامر أن هم آمنوا به أن يجعل لهم
 أمر الرياسة من بعده فقال لهم الأمر لله يضعه حيث يشاء وكان من
 الذين يحجون البيت عرب يثرب وهي مدينة بين مكة والشام يقطنها
 قبيلتان إحداهما من ولد الأوس والثانية من ولد الخزرج وهما أخوان
 وكان بين أولادهما من العداوة ما يجعل الحرب لا تضع أوزارها بين
 الفريقين فكانوا دائماً في شقاق ونزاع وكان يجاورهم في المدينة قوم من
 اليهود وهم بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير وكان لهم الغلبة على
 يثرب أولاً فخار بهم العرب حتى صاروا ذوي النفوذ فيها والقوة وكان
 اليهود إذا خذلوا يستفتحون على أعدائهم باسم نبي يبعث قد قرب زمانه
 ولما اختلفت كلمة العرب فيما بينهم وشقت عصا الألفة حالفوا اليهود على
 أنفسهم فحالف الأوس بنو قريظة وحالف الخزرج بنو النضير وبنو
 قينقاع وآخر الأيام بينهم يوم بعث قتل فيه أكثر رؤسائهم ولم يبق إلا
 عبد الله بن أبي ابن سلول من الخزرج وأبو عامر الراهب من الأوس

ولذلك كانت عائشة تقول كان يوم بعث يوماً قدمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطر ببال رؤساء الأوس أن يحالفوا قريشاً على الخزرج فأرسلوا إياس بن معاذ وأبا الحيسر أنس بن رافع مع جماعة يلتمسون ذلك الخلف في قريش فلما جاؤا مكة جاءهم رسول الله وقال هل لكم في خير مما جئتم له أن تؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئاً وقد أرسلني الله إلى الناس كافة ثم تلا عليهم القرآن فقال إياس بن معاذ يا قوم هذا والله خير مما جئنا له فخصبه أبو الحيسر وقال له دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت

﴿ بدء إسلام الأنصار ﴾

ولما جاء الموسم تعرض رسول الله لغير منهم يبلغون الستة وكلهم من الخزرج وهم أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث من بني النجار ورافع بن مالك من بني زريق وقطبة بن عامر من بني سلمة وعقبة بن عامر من بني حرام وجابر بن عبد الله من بني عبيد بن عدى ودعاهم إلى الإسلام وإلى معاونته في تبليغ رسالة ربه فقال بعضهم لبعض انه للنبي الذي كانت تعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه فآمنوا به وصدقوه وقالوا انا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ووعدوه المقابلة في الموسم المقبل وهذا هو بدء الإسلام لعرب يثرب

﴿ العقبة الأولى ﴾

فلما كان العام المقبل قدم اثنا عشر رجلاً منهم عشرة من الخزرج
واثنان من الأوس وهم أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا الحارث ورافع
ابن مالك وذكوان بن قيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة
والعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر وهؤلاء من الخزرج
وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة وهما من الأوس فاجتمعوا به
عند العقبة وأسلموا وبايعوا رسول الله على بيعة النساء وذلك قبل أن
يفترض الحرب على ألا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا
يقتلوا أولادهم ولا يأتوا بهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصونه
في معروف فإن وفوا فلهم الجنة وإن غشوا من ذلك شيئاً فأمرهم إلى الله
عز وجل إن شاء غفر وإن شاء عذب وهذه هي العقبة الأولى فأرسل
لهم عليه السلام مصعب بن عمير العبدي وعبد الله ابن أم مكتوم وهو
ابن خالة خديجة يقرآنهم القرآن ويفقهانهم في الدين ونزل مصعب على
أحد المبايعين أبي أمية أسعد بن زرارة وصار يدعو بقية الأوس
والخزرج للإسلام وبينما هو في بستان مع أسعد بن زرارة إذ قال سعد
ابن معاذ رئيس قبيلة الأوس لأسيد بن حضير ابن عم سعد ألا تقوم
إلى هذين الرجلين اللذين أتيا يسفهان ضعفاءنا لتزجرهما فقام لهما أسيد

بجربته فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه فلما وقف عليهما قال ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا اعترلا ان كان لكما بأنفسكما حاجة فقال مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمراً قبلته وان كرهته كففنا عنك ما تكره فقرأ عليه مصعب القرآن فاستحسن دين الاسلام وهداه الله له فتشهد ورجع الى سعد فسأله عما فعل فقال والله ما رأيت بالرجلين بأساً فغضب سعد وقام لهما متغيظاً ففعل معه مصعب كسابقه فهداه الله للاسلام ورجع لرجال بني عبد الأشهل وهم بطن من الأوس فقال لهم ما تعدونني فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا قال كلام رجالكم ونساءكم علي حرام حتى تسلموا فلم يبق بيت من بيوت بني عبد الأشهل إلا أجابه وقد انتشر الإسلام في دور يثرب حتى لم يكن بينهم حديث الا أمر الاسلام

﴿ العقبة الثانية ﴾

ولما كان وقت الحج في العام الذي يلي البيعة الأولى قدم مكة كثيرون منهم يريدون الحج وبينهم كثير من مشركيهم ولما قابل وفدهم رسول الله واعدوه المقابلة ليلاً عند العقبة فأمرهم أن لا ينهبوا في ذلك الوقت تماماً ولا ينتظروا غائباً لأن كل هذه الأعمال كانت خفية من قريش كيلا يطلعوا على الأمر فيسعدوا في نقض ما أبرم شأنهم مع رسول الله

في أول أمره . ولما فرغ الأ نصار من حجهم توجهوا الى موعدهم كاتمين
 أمرهم عن معهم من المشركين وكان ذلك بعد مضي ثلث الليل الأول
 فكانوا يتسللون الرجل والرجلين حتى تم عددهم ثلاثاً وسبعين رجلاً
 منهم اثنان وستون من الخزرج وأحد عشر من الأوس ومعهم امرأتان
 وهما نسيبة بنت كعب من بني النجار وأسما بنت عمرو من بني سلمة
 ووافقهم رسول الله هناك وليس معه إلا عمه العباس بن عبد المطلب
 وهو على دين قومه ولكن أراد أن يحضر أمر ابن أخيه ليكون متوثقاً
 له فلما اجتمعوا عرفهم العباس بأن ابن أخيه لم يزل في منعة من قومه
 حيث لم يمكنوا منه أحداً ممن أظهر له العداوة والبغضاء وتحملوا من
 ذلك أعظم الشدة ثم قال لهم ان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه
 اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإلا فدعوه بين
 عشيرته فانهم لم يمكن عظيم فقال كبيرهم والمتكلم عنهم البراء بن معرور
 والله لو كان لنا في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكننا نريد الوفاء
 والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله وعند ذلك قالوا لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم خذ لنفسك ولربك ما أحببت فقال أشرت لربي أن
 تعبدوه وحده ولا تشرکوا به شيئاً ولنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه
 نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم فقال له الهيثم بن التيهان يا رسول الله
 ان بيننا وبين الرجال عهداً وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا

ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم عليه السلام
وقال بل الدم الدم والهدم الهدم أي ان طالبتم بدم طالبت به وان
أهدرتموه أهدرته

وحينذاك ابتدأت المبايعة وهي العقبة الثانية فبايعه الرجال على
ما طلب وأول من بايع أسعد بن زرارة وقيل البراء بن معرور ثم تخير
منهم اثني عشر تقياً لكل عشيرة منهم واحد تسعة من الخزرج وثلاثة
من الأوس وهم أبو الهيثم بن التيهان . وأسعد بن زرارة . وأسيد بن
حضير . والبراء بن معرور . ورافع بن مالك . وسعد بن أبي خيشمة .
وسعد بن الربيع . وسعد بن عبادة . وعبد الله بن رواحة . وعبد الله
ابن عمرو . وعبادة بن الصامت . والمنذر بن عمرو . ثم قال لهم أنتم
كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وأنا كفيل
على قومي . ولأمر ما أراد الله بلغ خبر هذه البيعة مشركي قريش
فجاؤا ودخلوا شعب الأنصار وقالوا يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم
لصاحبنا تخرجونه من أرضنا وتبايعونه على حربنا فأنكروا ذلك وصار
بعض المشركين الذين لم يحضروا المبايعة يحلفون لهم أنهم لم يحصل
منهم شيء في ليلتهم وعبد الله بن أبي كبير الخزرج يقول ما كان قومي
لبقنأوا عليّ بشيء من ذلك

﴿ هجرة المسلمين الى المدينة ﴾

ولما رجع الأنصار الى المدينة ظهر بينهم الاسلام أكثر من المرة الأولى أما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فازداد عليهم أذى المشركين لما سمعوا أنه حالف قوماً عليهم فأمر عليه السلام جميع المسلمين بالهجرة الى المدينة فصاروا يتسللون خيفة قريش أن تمنعهم وأول من خرج أبو سلمة الخزومي زوج أم سلمة ومعه زوجته وكان قومه ممنوعوها منه ولكنهم أطلقوها بعد فلحقت به وتتابع المهاجرون فراراً بدينهم ليتمكنوا من عبادة الله الذي امتزج حبه بلحمهم ودمهم حتى صاروا لا يعبئون بمفارقة أوطانهم والابتعاد عن آبائهم وأبنائهم ما دام في ذلك رضى الله ورسوله ولم يبق بمكة منهم إلا أبو بكر وعلي وصهيب وزيد بن حارثة وقليلون من المستضعفين الذين لم تمكنهم حالهم من الهجرة وقد أراد أبو بكر الهجرة فقال له عليه السلام على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت قال نعم فخبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصبحه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمرا استعداداً لذلك

﴿ دار الندوة ﴾

أما قريش فكانوا كأنهم أصيبوا بمس الشيطان حينما طرق

مسامعهم مبايعة الأنصار له على الذود عنه حتى الموت فاجتمع رؤسائهم
 وقادتهم في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش
 لا تقضى أمراً الا فيها يتشاورون ما يصنعون في أمر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم حين خافوه فقال قائل منهم نخرجه من أرضنا كي نستريح
 منه فرفض هذا الرأي لأنهم قالوا اذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما
 يروونه من حلاوة منطقته وعدوية لفظه وقال آخر نوثقه ونحبسه حتى يدركه
 ما أدرك الشعراء قبله من الموت فرفض هذا الرأي كسابقه لأنهم قالوا
 ان الخبر لا يلبث أن يبلغ أنصاره ونحن أدرى الناس بمن دخل في دينه
 حيث يفضلونه على الآباء والأبناء فاذا سمعوا ذلك جاؤا لتخليصه وربما
 جرّ هذا من الحرب علينا ما نحن في غنى عنه وقال لهم طاغيتهم بل نقتله
 ولنمنع بني أبيه من الأخذ بثاره نأخذ من كل قبيلة شاباً جلدًا يجتمعون
 أمام داره فاذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل
 فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلهم بل يرضون بالدية فأقروا
 على هذا الرأي . هذا مكرهم ولكن ارادة الله فوق كل ارادة (ويمكرون
 ويمكر الله والله خير الماكرين) فأعلم نبيه بما دبره الأعداء في سرهم
 وأمره باللحاق بدار هجرته بدار فيها ينشر الاسلام ويكون فيها الرسول الله
 صلى الله عليه وسلم العزة والمنعة وهذا من الحكمة بمكان عظيم فانه لو
 انتشر الاسلام بمكة لقال المبغضون إن قريشاً أرادوا ملك العرب

فعمدوا الى شخص منهم وأوعزوا اليه أن يدعى هذه الدعوى حتى
تكون وسيلة لنيل ما ربهم ولكنهم كانوا له أعداء ألداء آذوه شديد
الأذى حتى اختار الله له مفارقة بلادهم والبعد عنهم

﴿ هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴾

فتوجه من ساعته الي صديقه أبي بكر وأعلمه أن الله قد أذن له
في الهجرة فسأله أبو بكر الصعبة فقال نعم ثم عرض عليه احدى راحتيه
التي كانتا معدتين لذلك فجهزها أحث الجهاز وصنعت لها سفرة في
جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر نطاقها وربطت به على فم الجراب
واستأجرا عبد الله بن أرقط من بني الدليل بن بكر وكان هادياً ماهراً
وهو على دين كفار قريش فأمناه ودفعا اليه راحتيهما وواعداه غار نور
بعد ثلاث ليال ثم فارق الرسول عليه السلام أبا بكر وواعداه المقابلة ليلاً
خارج مكة وكانت هذه الليلة هي ليلة استعداد قريش لتنفيذ ما أقروا
عليه فاجتمعوا حول باب الدار ورسول الله داخله فلما جاء ميعاد الخروج
أمر ابن عمه علياً بالمبيت مكانه كي لا يقع الشك في وجوده أثناء الليل
فانهم كانوا يرددون النظر من شقوق الباب ليعلموا وجوده ثم سجدى
علياً يبرده وخرج على القوم وهو يقرأ (وجعلنا من بين أيديهم سداً

ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) فألقى الله النوم عليهم
 حتى لم يره أحد ولم يزل عليه السلام سائراً حتى تقابل مع الصديق
 وسارا حتى بلغا غار ثور فاختفيا فيه . أما المشركون فلما علموا بفساد
 مكرهم وأنهم انما باتوا يحرسون علي بن أبي طالب لا محمد بن عبد الله
 هاجت عواطفهم فأرسلوا الطلب من كل جهة وجعلوا الجوائز لمن يأتي
 بمحمد أو يدل عليه وقد وصلوا في طلبهم الى ذلك الغار الذي فيه
 طلبتهم بحيث لو نظر أحدهم تحت قدميه لنظرهما حتى أبكى ذلك أبا بكر
 فقال له عليه السلام (لا تحزن إن الله معنا) فأعمى الله أبصار المشركين
 حتى لم يحزن لأحد منهم التفاتة الى ذلك الغار بل صار أعدى الأعداء
 أمية بن خلف يبعد لهم اختفاء المطلوبين في مثل هذا الغار فأقاما فيه
 ثلاث ليال حتى ينقطع الطلب وكان يبيت عندهم عبد الله بن أبي بكر
 وهو شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة
 كبائت بها فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بنجر ذلك
 حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما بقطعة من غنم
 يرعاها حين تذهب ساعة من العشاء ويفدو بها عليهما فاذا خرج من
 عندهما عبد الله تبع أثره عامر بالغنم كيلا يظهر لقدميه أثر . ولما انقطع
 الطلب خرجا بعد أن جاءها الدليل بالراحتين صباح ثلاث وسارا متبعين
 طريق الساحل . وفي الطريق لحقهم طالباً سراقة بن مالك المدلجي

وكان قد رأى رسل مشركي قريش يعملون في رسول الله وأبي بكر
 دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما هو في مجلس من مجالس
 قومه بني مدلج اذ أقبل رجل منهم حتى قام عليهم وهم جلوس فقال
 يا سراقه اني رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه فعرف
 سراقه أنهم هم ولكنه أراد أن يثني عزم مخبره عن طلبهم فقال انك
 رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يتبعون ضالة لهم ثم لبث في المجلس
 ساعة وقام وركب فرسه ثم سار حتى دنا من الرسول ومن معه فعثرت به
 فرسه فخر عنها ثم ركبها ثانياً وسار حتى صار يسمع قراءة المصطفى وهو
 لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخت قائماً فرس سراقه في الأرض
 حتى بلغت الركبتين فخر عنها ثم زجرها حتى نهضت فلم تكذب تخرج يديها
 حتى سطع لأثرهما غبار ساطع في السماء مثل الدخان فعلم سراقه أن
 عمله ضائع سدئ ودخله رعب عظيم فناداها بالأمان فوقف عليه
 السلام ومن معه حتى جاءهم ويقول سراقه وقع في نفسي حين لقيت
 ما لقيت أن سيظهر أمر رسول الله فقلت ان قومك قد جعلوا فيك
 الدية وأخبرهم بما يريد بهم الناس وعرض عليهم الزاد والمتاع فلم يأخذوا
 منه شيئاً بل قالوا له أخف عنا فسأله سراقه أن يكتب له كتاب أمن
 فأمر أبا بكر فكتب وبذلك انتقضت هذه المشكلة التي أظهر الله فيها
 مزيد عنايته برسوله وكان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول الله

وقدومه عليهم يخرجون الى الحرة (١) حتى يردم حر الظهيرة فانقلبوا يوماً بعد أن أطالوا انتظارهم فلما أروا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم (٢) من أطامهم لأمر ينظر اليه فبصر برسول الله وأصحابه يزول بهم السراب يظهرهم نارة ويخفيهم أخرى فقال اليهودي بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم أي حظكم الذي تنتظرون فثاروا الى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرة

﴿ النزول بقاء ﴾

فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف بقاء والذي حققه المرحوم محمود باشا الفلكي أن ذلك كان في اليوم الثاني من ربيع الأول الذي يوافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ وهذا أول تاريخ جديد (٣) لظهور الاسلام بعد أن مضى عليه ثلاث عشرة سنة وهو مضيق عليه من مشركي قريش ورسول الله ممنوع من الجهر بعبادة ربه

(١) هي الأرض ذات الحجارة السود وكانت المدينة محاطة بجملته حرات (٢) تل (٣) لما أراد المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضع التاريخ جعلوا مبدأه من هذه الهجرة الشريفة ولعدم المخالفة بين مبدأ الهجرة وبدء السنة الهلالية قدموا ميعاد الهجرة شهرين وأياماً وجعلوا بدء الهجرة من محرم سنتها

أما الآن فقد آواه الله هو وصحابته رضوان الله عليهم بعد أن كانوا قليلاً
يتخطفهم الناس

﴿ هجرة الأنبياء ﴾

وبهذه الهجرة تمت لرسولنا صلى الله عليه وسلم سنة إخوانه من
الأنبياء من قبله فما من نبي منهم إلا نبت به بلاد نشأته فهاجر عنها
من إبراهيم أبي الأنبياء وخليل الله الى عيسى كلمة الله وروحه كلهم
على عظيم درجاتهم ورفعة مقامهم أهينوا من عشائهم فصبروا ليكونوا
مثالاً لمن يأتي بعدهم من متبعيهم في الثبات والصبر على المسكاره ما دام
ذلك في طاعة الله فسل مصر وتاريخها تنبئك عن اسرائيل (يعقوب)
وبنيه أنهم هاجروا اليها حيناً رأوا من بنيتها ترحيباً بهم وتركهم وما
يعبدون إكراماً ليوسف وحكمته . ولما مضت سنون نسي فيها المصريون
تدبير يوسف وفضله عليهم فاضطهدوا بني اسرائيل وأذوهم خرج بهم
موسى وهارون ليتمكنوا من اعطاء الله حقه في عبادته . وهرب المسيح
عليه السلام من اليهود حينما كذبوه فأرادوا الفتك به حتى كان من
ضمن تعاليمه لتلاميذه (طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت
السموات) ثم قال بعد (افرحوا وتهلوا لأن أجركم عظيم في السموات
فانهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم) وسل القرى التي حلت بها

نقمة الله لكفر أهلها كديار لوط وعاد وعمود تنبثك عن مهاجرة الأنبياء
 منها قبل حلول النقمة فلا غرابة أن هاجر عليه السلام من بلاد منعه أهلها
 من تميم ما أَرَادَهُ اللهُ (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة
 الله تبديلاً)

School of Oriental Studies
 of

American University at Cairo

﴿ أعمال مكة ﴾

هذا ولنبين لك مجمل ما دعا اليه الرسول عليه السلام بمكة من
 أصول الدين وذلك أمران (الأول) الاعتقاد بوحداية الله وأن
 لا يشرك معه في العبادة غيره سواء كان ذلك الغير صنماً كما يفعل
 مشركو مكة أو أباً أو زوجة أو بنتاً كما عليه بعض الطوائف الأخرى
 كالنصارى ولولا الاعتقاد بوحداية الله ما كلف أحد نفسه تكاليف
 الحياة من آداب الأخلاق بل كان يسير فيما تأمره به نفسه من شهواتها
 وملذاتها مادام ذلك خافياً عن الناس (الثاني) الاعتقاد بالبعث والنشور
 وأن هناك يوماً ثانياً للإنسان يجازى فيه على ما صنعه في الدنيا إن خيراً
 فخير وإن شراً فشر وعلى هذين الأمرين جاء غالب الآي المكية فقلما
 ترى سورة من سور مكة إلا مشحونة بالاستدلال عليهما وتوبيخ من
 تركهما وكل ذلك بأساليب تأخذ بالعقل وبراهين لا تحتاج لفلسفة
 الذين يشغلون أنفسهم بما لا طائل تحته مما يضيع الوقت سدًى ونزل

على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من القرآن معظمه وهو ما عدا
 ثلاثاً وعشرين سورة منه وهي البقرة . آل عمران . النساء . المائدة .
 الأنفال . التوبة . الحج . النور . الأحزاب . القتال . الفتح . الحجرات .
 الحديد . المجادلة . الحشر . المتحنة . الصف . الجمعة . المنافقون .
 التغابن . الطلاق . التحريم . النصر . هذه كلها مدنية وبقاى القرآن مكي
 ولما نزل عليه السلام بقاء نزل على شيخ بني عمرو كلثوم بن الهدم
 وكان يجلس للناس ويتحدث لهم في بيت سعد بن خيشمة لأنه كان
 عزباً ونزل أبو بكر بالسُّنْح (محلة بالمدينة) على خارجة بن زيد من
 بني الحارث من الخزرج

﴿ مسجد قباء ﴾

وأقام رسول الله ليالي أسس فيها مسجد قباء الذي وصفه
 الله بأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم وصلى فيه عليه السلام
 بمن معه من الأنصار والمهاجرين وهم آمنون مطمئنون وكانت المساجد
 على عهد رسول الله في غاية من البساطة ليس فيها شيء مما اعتاده بناء
 المساجد في القرون الأخيرة لأن الرسول وأصحابه لم يكن جل همهم إلا
 منصرفاً لتزيين القلوب وتنظيفها من حظ الشيطان فكان سور المسجد
 لا يتجاوز القامة وفوقه مظلة يتقى بها حر الشمس

﴿ الوصول الى المدينة ﴾

(ثم) تحول عليه السلام الى المدينة والا نصار محيطون به متقلدي
 سيوفهم وهنا حدث ولا حرج عن سرور أهل المدينة فكان يوم تحوله
 اليهم يوماً سعيداً لم يروا فرحين بشيء فرحهم برسول الله وخرج النساء
 والصبيان والولائد يقلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكان الناس يسيرون وراء رسول الله ما بين ماش وراكب يتنازعون
 زمام ناقته كل يريد أن يكون نزيله

﴿ أول جمعة ﴾

وأدركته عليه السلام صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فنزل
 وصلاتها وهذه أول جمعة له عليه السلام وأول خطبة خطبها عليه السلام
 حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن
 والله ليضعنّ أحدكم ثم ليدعنّ غنمه ليس لها راع ثم ليقولنّ له
 ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك

وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرنَّ يمينا وشمالاً
 فلا يرى شيئاً ثم لينظرنَّ قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقي
 وجهه من النار ولو بشق تمره فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزي
 الحسنة عشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله
 وبركاته

﴿ النزول على أبي أيوب ﴾

ثم ساروا وكلما مروا على دار من دور الأنصار يتضرع اليه أهلها
 بأن ينزل عندهم ويأخذون بزمام الناقة فيقول دعوها فانها مأمورة ولم
 تزل سائرة حتى أتت بفناء بني عدي بن النجار وهم أخواله الذين تزوج
 منهم هاشم جده فبركت بمحلة من محلاتهم أمام دار أبي أيوب
 الأنصاري واسمه خالد بن زيد (١) وذلك محل مسجده الشريف
 فقال عليه السلام ههنا المنزل ان شاء الله (رب أنزلي منزلاً مباركاً
 وأنت خير المنزلين) فاحتمل أبو أيوب رحله ووضعه في منزله وجاء
 أسعد بن زرارة فأخذ بزمام ناقته فكانت عنده وخرجت ولائد بني
 النجار يقلن

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

(١) توفي زمن معاوية في حصار القسطنطينية ودفن هناك خارج المدينة

فقال عليه السلام أتحيبيني فقلن نعم فقال الله يعلم أن قلبي يحبكن
واختار عليه السلام النزول في الدور الأسفل من دار أبي أيوب ليكون
أريح لزاثيره ولكن لم يرض رضي الله عنه ذلك كرامة لرسول الله لما
يمكن أن يصيبه من التراب الذي يحدته وطء الأقدام أو الماء الذي
يهراق فقد اتفق أن كسرت من زوجته جرّة ماء بالليل فقام هو وهي
بقطيفتهما التي ليس لهما غيرها يمسحان الماء خوفاً على رسول الله ولذلك
لم ينزل أبو أيوب يستعطفه حتى كان في العلو وكانت تأتيه الجفان كل
ليلة من سراة الأنصار كسعد بن عباد وأسعد بن زرارة وأم زيد بن
ثابت فما من ليلة إلا وعلى بابه الثلاث أو الأربع من جفان الثريد

﴿ نزول المهاجرين ﴾

ولما تحول مع رسول الله أغلب المهاجرين تنافس فيهم الأنصار
فحكوا القرعة بينهم فما نزل مهاجري على أنصاري إلا بقرعة

﴿ أخوة الاسلام ﴾

ومن يتأمل الى هذه المحبة التي يستحيل أن تكون بتأثير بشر بل
بفضل من الله ورحمته يفهم كيف انتصر هؤلاء الأقسام على معانديهم
من المشركين وأهل الكتاب مع قلة العدد والعدد
وكان الأنصار يؤثرون اخوانهم المهاجرين على أنفسهم قال تعالى
في سورة الحشر (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من

هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وهذا أعلى درجات الأخوة وكل ذلك كانوا يرونه قليلاً بالنسبة لما وجب عليهم لاخوانهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتمكن بينهم الاخوان أخى بين المهاجرين والأنصار فكان كل أنصاري ونزيله أخوين في الله ومن العبث أن نكلف القلم أن يوضح للقاري أن هذه الأخوة كانت أرقى بكثير من الأخوة العصبية بل نكل ذلك للاحساس الاسلامى فانه أفصح منقماً من القلم وعلى الإجمال فتلك قلوب ألف الله بينها حتى صارت شيئاً واحداً في أجسام متفرقة وعسى الله أن يوفق مسلمي عصرنا الى هذا الإخاء حتى يسودوا كما ساد المتحدون وكان هذا الإخاء على المواساة والحق وأن يتوارثوا بعد الموت دون ذوى الأرحام وكان عليه السلام يقول لكل اثنين (تآخيا في الله أخوين أخوين) ودام هذا الميراث الى أن أنزل الله سبحانه قوله في سورة الأحزاب (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)

﴿ هجرة أهل البيت ﴾

ولما استقر عليه السلام بالمدينة أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع الى مكة لآتيا بمن تخلف من أهله وأرسل معهم عبد الله بن أريقط يدلهم

على الطريق فقدا بفاطمة وأم كلثوم بنتيه عليه السلام وسودة زوجه
 وأم أيمن زوج زيد وابنها أسامة . أما زينب فمنعها زوجها أبو العاص
 ابن الربيع وخرج مع الجميع عبد الله بن أبي بكر بأم رومان زوج أبيه
 وعائشة أخته وأسماء زوج الزبير بن العوام وكانت حاملاً بابنها عبد الله
 وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة

﴿ حمى المدينة ﴾

ولم يكن هواء المدينة في البدء موافقاً للمهاجرين من أهل مكة
 فأصاب كثيراً منهم الحمى وكان رسول الله يعوذبهم فلما شكوا إليه الأمر
 قال اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة وأشد وبارك لنا في
 مدها وفي صاعها واتقل وباءها إلى الجحفة (١) فاستجاب الله جل وعلا
 دعوته وعاش المهاجرون في المدينة بسلام

﴿ منع المستضعفين من الهجرة ﴾

ومنع مشركو مكة بعضاً من المسلمين عن الهجرة وحسوم
 وعذوبهم منهم أوليد بن أوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص
 فكان عليه السلام يدعو لهم في صلاته وهذا أصل القنوت وقد حصل

(١) قرية على اثنين وعشرين ميلاً من مكة وهي ميقات أهل الشام

في أوقات مختلفة ومحال في الصلاة مختلفة فكان في وتر العشاء وصلاة
الصبح بعد الركوع وقبله فروى كل صحابي ما رآه وهذا سبب اختلاف
الأئمة في مكان القنوت

﴿ السنة الأولى — بناء المسجد ﴾

ثم شرع عليه السلام في بناء مسجده في مبرك ناقته أمام محلة
بني النجار وكان محله مربدًا للتمر يملكه غلامان يتيمان في حجر أسعد
ابن زرارة فدعا الغلامين وسأوهما المربد ليتخذنه مسجدًا فقالا بل
نبيه لك يا رسول الله فأبى عليه السلام أن يقبله منهما هبة بل اتباعه
منهما وكان فيه قبور للمشركين وبعض حفر ونخل فأمر بالقبور فنشئت
وبالحفر فسويت وبالنخل فقطع ثم أمر بأخذ اللبن فاتخذ وشرعوا في
البناء به وجعلوا عضادتي الباب من الحجارة وسقفوه بالجريد وجعلت
عمده من جذوع النخل ولا يزيد ارتفاعه عن القامة إلا قليلاً وقد عمل
فيه رسول الله بنفسه ليرغب المسلمين في العمل وصاروا يرتجزون وهو
يقول معهم « اللهم لا خير إلا خير الآخرة » فارحم الأنصار والمهاجرة
وجعلت قبلة المسجد في شماله إلى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب
ثم حصنت أرضه لأن المطر كان قد أثر فيه فأمر عليه السلام بحصنه
ولم يزين المسجد بفرش حتى ولا بالحصر وبني بجانبه حجرتان أحدهما

لسودة بنت زمعة والأخري لعائشة ولم يكن عليه السلام متزوجاً غيرهما
 إذ ذاك وكانت الحجرتان متجاورتين وملاصقتين للمسجد على شكل
 بنائه وصارت الحجرات تبني كلما جاءت زوج

﴿ بدء الأذان ﴾

أوجب الله الصلاة على المسلمين ليكونوا دائماً متذكرين عظمة
 العلي الأعلى فيتبعون أوامره ويحذرون نواهيه ولذلك قال في محكم كتابه
 في سورة العنكبوت (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وجعل
 أفضل الصلاة ما كان جماعة ليذاكر المسلمون بعضهم بعضاً في شؤونهم
 واحتياجاتهم ويقووا روابط الألفة والاتحاد بينهم ومتى حان وقت
 الصلاة فلا بد من عمل ينبه الغافل ويذكر الساهي حتى يكون الاجتماع
 عاماً فأمر النبي عليه الصلاة والسلام مع الصحابة فيما يفعل لذلك فقال
 بعضهم نرفع راية إذا حان وقت الصلاة ليراها الناس فلم يرتضوا ذلك
 لأنها لا تفيد النائم ولا الغافل وقال آخرون نشعل ناراً على مرتفع من
 الهضاب فلم يقبل أيضاً وأشار آخرون ببوق وهو ما كانت اليهود
 تستعمله لصواتهم فكرهه رسول الله لأنه لم يكن يجب تقليد اليهود في
 عمل ما وأشار بعضهم بالناقوس وهو ما يستعمله النصارى فكرهه الرسول
 أيضاً وأشار بعضهم بالنسداء فيقوم بعض الناس إذا حانت الصلاة

وينادي بها فقبل هذا الرأي وكان أحد المنادين عبد الله بن زيد
الأَنْصاري فبينما هو بين النَّام واليقظان إذ عرض له شخص وقال ألا
أعلمك كلمات تقولها عند النداء بالصلاة قال بلى فقال له قل الله أكبر
الله أكبر مرتين وتشهد مرتين ثم قل حي على الصلاة مرتين ثم حي على
الفلاح مرتين ثم كبر ربك مرتين ثم قل لا اله الا الله فلما استيقظ توجه
الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره خبر رؤياه فقال انها لرؤيا حق ثم
قال له لئن ذلك بلالاً فإنه أُندي صوتاً منك وبيننا بلال يؤذن اذ جاء
عمر يجر رداءه فقال والله لقد رأيت مثله يا رسول الله . وكان بلال
أحد مؤذنيه بالمدينة والآخر عبد الله ابن أم مكتوم وكان بلال يقول
في أذان الصبح بعد حي على الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين وأقره
الرسول على ذلك وكان عليه السلام يأمر في فجر رمضان بأذنين أولهما
يوقظ به الغافلون حتى ينتبهوا للسحور والثاني للصلاة . أما الأذان
للجمعة فكان أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثير الناس زاد نداء آخر
على الزوراء رواه البخاري ولما تولى هشام بن عبد الملك أخذ الأذان
الذي زاده عثمان بالزوراء وجعله على المنار ثم نقل الأذان الذي كان على
المنار حين صعود الامام على المنبر في العهد الأول بين يديه
فعلم بذلك أن الأذان في المسجد بين يدي الخطيب بدعة أحدثها

هشام بن عبد الملك ولا معنى لهذا الأذان لأنه إنما هو نداء إلى الصلاة
ومن هو في المسجد لا معنى لندائه ومن هو خارج المسجد لا يسمع
النداء إذا كان النداء في المسجد كذلك الشيخ محمد بن الحاج في المدخل
قال الحافظ في فتح الباري . وأما ما أحدث الناس قبل الجمعة من

الدعاء إليها بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهو في بعض
البلاد دون بعض واتباع السلف الصالح أولى اهـ

فعلم من ذلك كاه أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أذان
الجمعة أنه كان إذا جلس على المنبر أذن مؤذنه على المنار فإذا انتهت
الخطبة أقيمت الصلاة وما عدا ذلك فكله ابتداء

أما الإقامة وهي الدعوة للصلاة في المسجد فقد اختلفت الروايات
في نصها فرواها محمد ادريس الشافعي مفردة إلا لفظ قد قامت الصلاة
فثنى ورواها مالك بن أنس مفردة كلها ورواها أبو حنيفة النعمان
مثنى كلها

﴿ يهود المدينة ﴾

(هذا) وكما ابتلى الله المسلمين في مكة بمشركي قريش ابتلاهم في المدينة
بيهودها وهم بنو قينقاع وقريظة والنضير فانهم أظهروا العداوة والبغضاء
حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق وكانوا قبل مجيء

الرسول يستفتحون على المشركين من العرب اذا شئت الحرب بين
 الفريقين بنبي يبعث قد قرب زمانه فلما جاءهم ما عرفوا استعظم رؤسائهم
 أن تكون النبوة في ولد اسماعيل فكفروا بما أنزل الله بغياً مع أنهم
 يرون أن رسول الله محمداً لم يأت إلا مصداقاً لما بين يديه من كتب الله
 التي أنزلها على من سبقه من المرسلين مبيناً ما أفسده التأويل منها
 ولكنهم نبذوه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . ومما عابوه على الاسلام
 نسخ الأحكام وما دروا أن القادر العليم يعلم ما يحتاجه الانسان أكثر
 منهم فانه ميال بطبعه للترقي والرسول عليه السلام وجد باديء بدء بين
 جماعة من العرب أميين ليسوا على شيء من الاعتقادات الإلهية
 فكانت الحكمة داعية لأن يكون التشريع لهم على التدرج لأنه لو
 حرم الله عليهم شرب الخمر وأكل الزبا وأمرهم بالصلاة والزكاة وهكذا
 الى آخر الأمر والمناهي التي جاء بها الشرع الاسلامي لما أجابه أحد
 من هؤلاء النافرة قلوبهم المختلفة أهواؤهم الذين كانوا منغمسين في كثير
 من الأضاليل فجاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر شيئاً فشيئاً
 حتى روضت عقولهم وهذبت نفوسهم وكانت الأحكام لا ينزلها الله
 عليه إلا عقب الحوادث التي تقتضيها ليكون التأثير في النفوس أشد
 ولكن اليهود أرادوا غل يد القدرة عن أن تفعل إلا ما يشتهون وقد
 حججهم القرآن الشريف بما يدل على أنهم يعلمون من نفوسهم البعد عن

الحق فقال في سورة البقرة (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله
 خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ثم حتم جل
 ذكره عدم إجابتهم بقوله (ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله
 عليم بالظالمين) فلو كانوا يعلمون من أنفسهم أنهم على الحق لما تأخروا
 عما طلب منهم مع سهولته وحرصهم على تكذيب الصادق الأمين ولم
 ينقل لنا عن أحد منهم انه تمنى ذلك ولو نطقاً باللسان وقد تبين الهدى
 لأحد رؤساء بني قينقاع وهو عبد الله بن سلام فترك هواه وأسلم بعد
 أن سمع القرآن وبعد أن كان اليهود يعدونه من رؤسائهم عدوه من
 سفهائهم حينما بلغهم إسلامه فبئسما اشتروا لأنفسهم أن يكفروا بما أنزل
 الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ولما استحكمت
 في قلوبهم عداوة الاسلام صاروا يجهدون أنفسهم في إطفاء نوره (ويأبى
 الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

﴿ المنافقون ﴾

وكان يساعدهم على مقاصدهم جماعة من عرب المدينة أعمى الله
 بصائرهم فأخفوا كفرهم خوفاً على حياتهم وكان يرأس هذه الجماعة
 عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي الذي كان مرشحاً لرياسة أهل
 المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شك أن ضرر

المناققين أشد على المسلمين من ضرر الكفار لأن أولئك يدخلون بين
المسلمين فيعلمون أسرارهم ويشيعونها بين الأعداء من اليهود وغيرهم
كما حصل ذلك مراراً والأساس الذي كان عليه رسول الله أن يقبل
ما ظهر ويترك لله ما بطن ولكنه عليه السلام مع ذلك كان لا يأمنهم
في عمل ما فكثيراً ما كان يتغيب عن المدينة ويولي عليها بعض الأنصار
ولكن لم يعهد أنه ولي رجلاً ممن عهد عليه النفاق لأنه عليه السلام
يعلم ما يكون منهم لو ولوا عملاً فانهم بلا شك يتخذون ذلك فرصة
لإضرار المسلمين وهذا درس مهم لرؤساء الإسلام يعلمهم أنهم لا يثقون
في الأعمال المهمة إلا بمن لم تظهر عليهم شبهة النفاق أو اظهر ما يخالف
ما في الفؤاد

﴿ معاهدة اليهود ﴾

هذا وقد علمت أنه كان يضاد المسلمين في المدينة ففتان اليهود
والمناققون ولكن الرسول قبل من هؤلاء، ظواهرهم وعقد مع أولئك
عهداً مقتضاه ترك الحرب والأذى فلا يجار بهم ولا يؤذيهم ولا يعينون
عليه أحداً وان دهم بالمدينة عدوً ينصرونه وأقرهم على دينهم

﴿ مشروعية القتال ﴾

قد علم مما تقدم أن رسول الله عليه السلام لم يقاتل أحداً على

الدخول في الدين بل كان الأمر قاصراً على التبشير والانتذار وكان الله
 سبحانه ينزل عليه من الآي ما يقويه على الصبر أمام ما كان يلاقه
 من أذى قريش ومن ذلك قوله في سورة الأحقاف (فاصبر كما صبر
 أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) وكان كثيراً ما يقص الله عليه
 أنبياء أخوانه من المرسلين قبله ليثبت به فؤاده ولما ازداد طغيان أهل
 مكة الجؤوه إلى الخروج من داره بعد أن اتهموا على قتله فكانوا هم
 البادئين بالعداء على المسلمين حيث أخرجوهم من ديارهم بغير حق فبعد
 الهجرة أذن الله للمهاجرين بقتال مشركي قريش بقوله في سورة الحج
 (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين
 أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) ثم أمرهم بذلك
 في قوله في سورة البقرة (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا
 إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث
 أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى
 يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا فإن
 الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن
 انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) وبذلك لم يكن الرسول يتعرض
 إلا لقريش دون سائر العرب فلما تملاً على المسلمين غير أهل مكة من
 مشركي العرب واتحدوا عليهم مع الأعداء أمر الله بقتال المشركين

كافة بقوله في سورة التوبة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)
وبذلك صار الجهاد عاماً لكل من ليس له كتاب من الوثنيين وهذا
مصدق قوله عليه السلام (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله
إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على
الله) ولما وجد المسلمون من اليهود خيانة للعهد حيث أنهم ساعدوا
المشركين في حروبهم أمر الله بقتالهم بقوله في سورة الأنفال (وإما
تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين)
وقتلهم واجب حتى يدينوا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
أيامن المسلمون جانبهم | وصار قتال رسول الله للأعداء على هذه
المبادي الآتية :

- (١) اعتبار مشركي قريش محاربين لانهم بدؤوا بالعدوان فصار
للمسلمين قتالهم ومصادرة تجارتهم حتى يأذن الله بفتح مكة أو تعقد
هدنة وقية بين الطرفين
- (٢) متى روي من اليهود خيانة وتميز للمشركين قوتلوا حتى
يوثمن جانبهم بالنفي أو القتل
- (٣) متى تعدت قبيلة من العرب على المسلمين أو ساعدت قريشاً
قوتلت حتى تدين بالاسلام
- (٤) كل من بدأ بعداوة من أهل الكتاب كالنصارى قوتل

حتى يذعن بالاسلام أو يعطي الجزية عن يد وهو صاغر
 (٥) كل من أسلم فقد عصم دمه وماله الا بحقه والاسلام يقطع
 ما قبله

وقد أنزل الله في القرآن الكريم كثيراً من الآي تحريضاً على
 الإقدام في قتال الأعداء وتبعيةً عن الفرار من الزحف فقال في
 الموضوع الأول في سورة النساء (فليُقاتل في سبيل الله الذين يشرون
 الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يغلب فسوف
 نؤتيه أجراً عظيماً) وقال في الموضوع الثاني في سورة الأنفال (يا أيها
 الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم
 يومئذ دبره إلا مستحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب
 من الله وماواه جهنم وبئس المصير)

﴿ بدء القتال ﴾

كانت عادة قريش أن تذهب بتجارها إلى الشام لتبيع وتبتاع
 ويسمى الركب السائر بهذه التجارة عيراً وكان يسير معها لحراستها كثير
 من أشرف القوم وسراهم ولا بدّ لوصولهم إلى الشام من المرور على
 دار الهجرة فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصادر تجارتهم ذاهبة
 وآية ليكون في ذلك عقاب لمشركي مكة حتى تضعف قوتهم المالية

فيكون ذلك ادعى لحدلانهم في ميدان القتال الذي لا بد أن يكون لان
 قريشاً لم تكن لتسكت عن سفه أحلامهم وعاب عبادتهم خصوصاً
 وهم قدوة العرب في الدين

﴿ سرية (١) ﴾

ففي شهر رمضان أرسل معه حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين رجلاً
 من المهاجرين وعقد له لواء أبيض حملة أبو مرثد حليف حمزة ليعترض
 عيراً لقريش آية من الشام فيها أبو جهل وثلاثمائة من أصحابه المشركين
 فسار حمزة حتى وصل ساحل البحر من ناحية العينص (٢) فصادف العير
 هناك فلما تصافوا للقتال حجز بين الفريقين مجدي بن عمرو الجهني
 فأطاعوه وانصرفوا وشكر عليه السلام مجدياً على عمله لما كان من قلة
 عدد المسلمين وكثرة عدوهم

وفي شوال أرسل عبيدة بن الحارث ابن عم حمزة في ثمانين راكباً
 من المهاجرين وعقد له لواء أبيض حملة مسطح بن أثانة ليعترض عيراً
 لقريش فيها مائتا رجل فوافوا العير بيطن رابع (٣) فكان بينهم الرمي

(١) السرية قطعة من الجيش ونريد بها كل غزاة لم يكن فيها
 رسول الله والتي كان فيها تسمى غزوة (٢) عرض من أعراس
 المدينة أي ناحية منها (٣) واد بين الحرمين قرب البحر

بالنبل ثم خاف المشركون أن يكون للمسلمين كمين فانهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن الأسود وعتبة بن غزوان وكانا قد أسلما وخرجا ليلحقا بالمسلمين

﴿ وفيات ﴾

وفي هذه السنة توفي من المهاجرين عثمان بن مظعون أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع أسلم قديماً وهاجر المهجرتين ولما دُفن أمر عليه السلام بأن يرش قبره بالماء ووضع على قبره حجراً وقال أتعلم به قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي وهذا كان القصد من وضع الأحجار على المقابر لا ما يقصده أهل العصور الأخيرة من تشييد الهياكل على القبور وتصويرها بصور ترى في عين الناظر كالأصنام ليأتي أقارب الميت ويصنعوا عندها احتفالات كثيرة ما تشبه ما كان يفعله مشركو مكة عند معابدهم ومن العيب فعل شيء لم يفعله رسول الله مما يتعلق بأموال الآخرة

ومات من الأنصار أسعد بن زرارة أحد النقباء الاثني عشر كان رضي الله عنه تقيب بني النجار ولما مات اختار رسول الله نفسه للنقابة عليهم لأن ابن أخت القوم منهم ومات أيضاً البراء بن معرور أحد النقباء وهو الذي كان يتكلم عن القوم في العقبة الثانية ومات من

مَشْرِكِي مَكَّة فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْوَالِدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ وَمَا احْتَضَرَ جَزَعٌ فَقَالَ لَهُ
 أَبُو جَهْلٍ مَا جَزَعَكَ يَا عَمُّ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا بِي مِنْ جَزَعٍ مِنَ الْمَوْتِ وَلَكِنْ
 أَخَافُ أَنْ يَظْهَرَ دِينَ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ بِمَكَّةَ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ لَا تَخَفْ إِنِّي
 ضَامِنٌ أَنْ لَا يَظْهَرَ فِيهَا أَيْضًا مَاتَ الْعَاصِي بْنُ وَائِلِ السُّهْمِيِّ وَقَدْ كَفَى
 اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ شَرَّ هَذَيْنِ الشَّقِيَيْنِ

﴿ السَّيْنَةُ الثَّانِيَةُ غَزْوَةُ وَدَانَ ﴾

وَالثَّانِيَةَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لِيَعْتَرِضَ
 عَيْرًا الْقَرِيشِيِّ فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ وَدَانَ (١) وَكَانَ يَحْمِلُ لَوَاءَهُ عَمَّهُ حِمْرَةً وَلَمْ
 يَلْقَ هُنَاكَ حَرْبًا لِأَنَّ الْعَيْرَ كَانَتْ قَدْ سَبَقَتْهُ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ صَالِحُ بَنِي
 ضَمْرَةَ عَلَى أَنَّهُمْ آمَنُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَهُمْ النُّصْرَةُ عَلَى مَنْ رَامَهُمْ وَإِنْ عَلَيْهِمْ
 نَصْرَةُ الْمُسْلِمِينَ إِذَا دَعَوْا ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ مَضَى خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً

﴿ غَزْوَةُ بُوَاطٍ ﴾

وَلَمْ يَمِضْ عَلَى رَجُوعِهِ غَيْرَ قَلِيلٍ حَتَّى بَلَغَهُ أَنَّ عَيْرًا الْقَرِيشِيِّ آيَةً مِنَ
 الشَّامِ فِيهَا أُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَمِائَةٌ مِنْ قَرِيشٍ وَأَلْفَانٌ وَخَمْسِمِائَةٌ بَعِيرٍ فَسَارَ

(١) قَرْيَةٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْإِبْوَاطِ سِتَّةَ أَمْيَالٍ

اليها في مائتين من المهاجرين وذلك في ربيع الأول وكان يحمل لواءه
سعد بن أبي وقاص فسار حتى بلغ بواط (١) فوجد العير قد قاتته
فرجع ولم يلق كيدا وذلك كله لما كان يأخذه المشركون من الحذر
على أنفسهم والاجتهاد في تعمية أخبارهم عن أهل المدينة

﴿ غزوة العُشيرة ﴾

وأعقب رجوعه عليه السلام خروج قريش بأعظم عير لها فقد
جمعوا فيها أموالهم حتى لم يبق بمكة قرشي أو قرشية لها مثقال فصاعدا
إلا بعث به في تلك العير وكان يرأسها أبو سفيان بن حرب ومعه بضعة
وعشرون رجلا فخرج لها الرسول في جمادى الأولى ومعه مائة وخمسون
من المهاجرين واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد وحمل
لواءه عمه حمزة ولم يزل سائرا حتى بلغ العشيرة فوجد العير قد مضت .
وحالف عليه السلام في هذه الغزوة بني مدلج وحلفاءهم ثم رجع عليه
السلام الى المدينة ينتظر هذه العير حينما ترجع

﴿ غزوة بدر الأولى ﴾

وبعد رجوعه عليه السلام بقليل جاءه كرز بن جابر الفهري وأغار

(١) جبال جهينة على أبراد من المدينة جهة ينبع

على سرح المدينة وهرب فخرج الرسول في طلبه واستخلف على المدينة
زيد بن حارثة الأنصاري وحمل لواءه علي بن أبي طالب فسار حتى بلغ
سفوان (١) وفاته كرز فلم يلتق حرباً وتسمى هذه الغزوة بدر الأولى

﴿ سرية ﴾

وفي رجب من هذه السنة أرسل سرية عدتها ثمانية رجال يرأسها
عبد الله بن جحش وأعطاه كتاباً مختوماً لا يفضه إلا بعد أن يسير
يومين ثم ينظر فيه فسار عبد الله يومين ثم فتح الكتاب فإذا فيه (إذا
نظرت كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة فتصد بها قريشاً وتعلم لنا
من أخبارهم) وإنما لم يخبرهم عليه السلام بمقصدهم وهم بالمدينة حذراً
من شيوخ الخبر فيدل عليهم أحد الأعداء من المنافقين أو اليهود
فتصد لهم قريش ولا يخفى أن عدد السرية قليل لا يمكنه المقاومة
ثم سار عبد الله رضي الله عنه وفي أثناء السير تخلف سعد بن أبي وقاص
وعتبة بن غزوان لأنهما أضللاً بغيرهما الذي كانا يعتقانه وسار الباقر حتى
وصلوا نخلة فمرت بهم عير قرشية تريد مكة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان
ابن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان فأجمع المسلمون
أمرهم على أن يحملوا عليهم ويأخذوا ما معهم فحملوا عليهم في آخر يوم

(١) واد من ناحية بدر

من رجب فقتلوا عمرو بن الحضرمي وأسروا عثمان والحكم وهرب نوفل واستاقوا العير وهي أول غنيمة غنمها المسلمون من أعدائهم قريش ثم رجعوا ولم يتمكن المشركون من اللحاق بهم فلما قدموا المدينة وشاع أنهم قاتلوا في الأشهر الحرم وعابتهم قريش واليهود بذلك عنفهم المسلمون وقال لهم عليه السلام ما أمرتكم بقتال في الأشهر الحرم فأنزل الله في سورة البقرة (يستلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قتل قتال فيه كبيرٌ وصدٌّ عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبرُ عند الله والفتنة أكبرُ من القتل) فسري عنهم وقد طلب المشركون فداء أسيريهما فقال عليه السلام حتى يرجع سعد وعتبة فلما رجعا قبل عليه السلام الفدية في الأسيرين فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه وبقي مع المسلمين وأما عثمان فلحق بمكة كافراً

﴿ تحويل القبلة ﴾

مكث عليه السلام بالمدينة ستة عشر شهراً يستقبل بيت المقدس في صلاته وكان يحب أن تكون قبلته الكعبة ويقلب وجهه في السماء داعياً الله بذلك فبينما هو في صلاته إذ أوحى الله إليه بتحويل القبلة إلى الكعبة فتحول وتحول من ورائه وكانت هذه الحادثة سبباً لافتتان بعض المسلمين الذين ضعفت قلوبهم فارتدوا على أعقابهم وقد أكثر

اليهود من التنديد على الاسلام بهذا التحويل وما دروا أن لله المشرق
والمغرب يهدي من يشاء الى صراطٍ مستقيم

School of Oriental Studies
of
American University at Cairo

﴿ صوم رمضان ﴾

وفي شعبان من هذه السنة أوجب الله صوم شهر رمضان على الأمة
الاسلامية وكان عليه السلام قبل ذلك يصوم ثلاثة أيام من كل شهر
والصيام من دعائم هذا الدين والفرائض التي بها يتم النظام فان الانسان
محبول على حب نفسه والسعي فيما يعود عليها بالنفع الخاص تاركاً ما وراء
ذلك من حاجات الضعفاء والمساكين فلا بد من وازع يزعه لحاجات قوم
أقعدتهم قواهم عن إدراك حاجاتهم ولا أقوى من ذوق قوارص الجوع
والعطش اذ بهما تلين نفسه ويتمدب خلقه فيسهل عليه بذل الصدقات

﴿ صدقة الفطر ﴾

ولذلك أوجب الشارع الحكيم عقب الصوم زكاة الفطر فترى
الانسان يبذلها بسخاءٍ نفسٍ ومحبةٍ خالصةٍ

﴿ زكاة المال ﴾

وفي هذا العام فرضت زكاة الأموال وهذه هي النظام الوحيد

الذي به يأكل الفقراء والمساكين من إخوانهم الأغنياء بلا ضرر على هؤلاء فإذا بلغت الدنانير عشرين أو الدراهم مائتين وحال عليها الحول وجب عليك أن تؤدي ربع عشرها أي اثنين ونصفاً في كل مائة وما زاد فبحسابه وإذا بلغت الشياه أربعين والبقر ثلاثين والإبل خمساً وحال عليها الحول وجب عليك كذلك أن تؤدي منها جزءاً مخصوصاً حدده الشارع ومثلها عروض التجارة ومحصولات الزراعة كل هذا يقبضه الامام ويوزعه على مستحقيه من الفقراء والمساكين وبقية المذكورين في آية الصدقة (أما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) واللييب العاقل البعيد عن التعصب يحكم لأول نظرة أن هذا النظام مع عدم اضراره بالأغنياء مقلل لمصائب الفقر التي ألبأت كثيراً من فقراء الأمم أن يخالفوا نظام دولهم ويؤسسوا مبادئ تقويض العمران وتداعي الأمن كما يفعله الاشتراكيون وغيرهم

﴿ غزوة بدر الكبرى ﴾

لم يطل العهد بتلك العير العظيمة التي خرج لها عليه السلام وهي متوجهة الى الشام فلم يدركها ولم ينزل مترقباً رجوعها فلما سمع برجوعها ندب اليها أصحابه وقال هذه عير قريش فاخرجوا اليها لعل الله أن

ينفلكموها فأجاب قوم وثقل آخرون لظنهم أن الرسول عليه السلام لم
يرد حرباً فإنه لم يحتفل بها بل قال من كان ظهره حاضراً فليركب معنا
ولم ينتظر من كان ظهره غائباً فخرج لثلاث ليال خلون من رمضان بعد
أن ولى على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم وكان معه ثلثمائة وثلاثة عشر
رجلاً مائتان ونيّف وأربعون من الأنصار والباقون من المهاجرين
ومعهم فرسان وسبعون بعيراً يعتقبونها والحامل للواء مصعب بن عمير
العبدري * ولما علم أبو سفيان بخروج الرسول صلى الله عليه وسلم استأجر
راكباً ليأتي قريشاً ويخبرهم الخبر فلما علموا بذلك أدركتهم حميتهم
وخافوا على تجارتهم فنفروا سراعاً ولم يتخلف من أشرافهم الا أبو هلب
ابن عبد المطلب فإنه أرسل بدله العاص بن هشام بن المغيرة وأراد أمية
ابن خلف أن يتخلف لحديث حدثه إياه سعد بن معاذ حينما كان
معتماً بعد الهجرة بقليل حيث قال كما رواه البخاري سمعت من رسول
الله يقول انهم قاتلوك قال بمكة قال لا أدري ففرغ لذلك وحلف أن
لا يخرج فعابه أبو جهل ولم يزل به حتى خرج قاصداً الرجوع بعد قليل
ولكن ارادة الله فوق كل ارادة فان منيته ساقته الى حتفه رغم أنفه
وكذلك عزم جماعة من الأشراف على القعود فعيب عليهم ذلك وبهذا
أجمعت رجال قريش على الخروج فخرجوا على الصعب والنول أمامهم
القيينات يغنين بهجاء المسلمين (وزين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب

لكم اليوم من الناس واني جار لكم) وقد ضرب الله عمل الشيطان هذا مثلاً يعتبر به ذوو الرأي من بعدهم فقال في سورة الحشر (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين) وهكذا كان عمله في هذه الواقعة (فلما تراءت الفئتان نكض على عقبه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب) وكان عدة من خرج من المشركين تسعمائة وخمسين رجلاً معهم مائة فرس وسبعمائة بعير (أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يعرف شيئاً مما فعله المشركون ولم يكن خروجه إلا للغير فعسكر ببيوت السقيا خارج المدينة واستعرض الجيش فرد من ليس له قدرة على الحرب ثم أرسل اثنين يتجسسان الأخبار عن العير ولما بلغ الروحاء (١) جاءه الخبر بمسير قريش لمنع عيرهم وجاءه مخبراه بأن العير ستصل بدرأ غداً أو بعد غد فجمع عليه السلام كبراء الجيش وقال لهم (أيها الناس ان الله قد وعدني احدي الطائفتين انها لكم العير أو النغير) فتبين له عليه السلام أن بعضهم يريدون غير ذات الشوكة وهي العير ليستعينوا بما فيها من الأموال فقد قالوا هلاً ذكرت لنا القتال فنستعد وجاء مصداق ذلك قوله تعالى في سورة الأنفال (واذ يعدكم

(١) موضع على ثلاثين أو أربعين ميلاً جنوب المدينة الغربي

الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم
 ثم قام المقداد بن الأسود رضي الله عنه فقال يا رسول الله امض لما أمرك
 الله فوالله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك
 فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما
 مقاتلون والله لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى
 تبلغه فدعا له بخير ثم قال عليه السلام أشيروا علي أيها الناس وهو يريد
 الأنصار لأن بيعة العقبة ربما يفهم منها أنه لا يجب عليهم نصرته الا
 ما دام بين أظهرهم فان فيها يا رسول الله إنا براء من ذمتك حتى تصل
 الى دارنا فاذا وصلت اليها فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا
 ونساءنا فقال سعد بن معاذ سيد الأوس كأنك تريدنا يا رسول الله
 فقال أجل فقال سعد قد آمننا بك وصدقناك وأعطيناك عهدنا فامض
 لما أمرك الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته
 لنخوضه معك وما نكره أن تكون تلقى المدون بنا غداً انا لصبر عند
 الحرب صدق عند اللقاء وعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على
 بركة الله فأشرق وجهه عليه السلام وسر بذلك وقال كما في رواية
 البخاري (أبشروا والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم) فلم القوم من
 هذه الجملة أن الحرب لا بد حاصلة وحقيقة حصلت فان أبا سفيان لما علم
 بخروج المسلمين له ترك الطريق المسلوكة وسار متبعاً ساحل البحر فنجأ

وأرسل الى قريش يعلمهم بذلك ويشير عليهم بالرجوع فقال أبو جهل
لا نرجع حتى نحضر بدرأ (١) فنقيم فيه ثلاثاً ننحر الجزر ونطعم الطعام
ونسقى الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً فقال الأحنس
ابن شريق الثقفي لبني زهرة وكان حليفاً لهم ارجعوا يا قوم فقد نجى
الله أموالكم فرجعوا ولم يشهد بدرأ زهري ولا عدوي ثم سار الجيش
حتى وصلوا وادي بدر فنزلوا عدوته ^{التصوي} (٢) عن المدينة في أرض
سهلة ^{لينة} أما جيش المسلمين فانه لما قارب بدرأ أرسل عليه السلام علي
ابن أبي طالب والزبير بن العوام ليعرفا الأخبار فصادقا سقاة لقريش
فيهم غلام لبني الحجاج وغلام لبني العاص السهميين فأتيا بهما والرسول
عليه السلام قائم يصلي ثم سألاهما عن أنفسهما فقالا نحن سقاة لقريش
بعثونا نسقيهم الماء فضر باهما لأنهما ظنا أن الغلامين لأبي سفيان فقال
الغلامان نحن لأبي سفيان فتركاهما ولما أمم الرسول عليه السلام صلاته
قال اذا صدقاكم ضر بتموها واذا كذباكم تركتموها صدقا والله انهما
لقريش ثم قال لهما أخبراني عن قريش قالاهم وراء هذا الكثيب فقال

paradise

- (١) محل بين مكة والمدينة وهو الى المدينة أقرب في الجنوب
الغربي منها على الطريق السلطاني وكان به سوق يعتقد كل سنة ثمانية أيام
(٢) عدوة الوادي شاطئه

لها كم هم فقلا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوماً تسعاً ويوماً
 عشرًا قال القوم ما بين التسعمائة والألف ثم سألها عن في النفير من
 أشرف قريش فذكر له عددًا عظيمًا فقال عليه السلام لأصحابه هذه
 مكة قد أقت اليكم أفلاذ كبدها (١) ثم ساروا حتى نزلوا بعدوة الوادي
 الدنيا من المدينة بعيدًا عن الماء في أرض مسبخة فأصبح المسلمون
 عطاشًا بعضهم جنبٌ وبعضهم محدثٌ فحدثهم الشيطان بوسوسته
 ولولا فضل الله عليهم ورحمته لثببت عزائمهم فانه قال لهم ما ينتظر
 المشركون منكم إلا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحككوا
 فيكم كيف شاؤوا

فأرسل الله لهم الغيث حتى سال الوادي فشربوا واتخذوا الحياض
 على عدوة الوادي واغتسلوا وتوضؤوا وملؤا الأسيقية ولبدت الأرض
 حتى ثبتت عليها الأقدام على حين أن كان هذا المطر مصيبة على
 المشركين فانه وحل الأرض حتى لم يعودوا يقدرون على الارتحال
 ومصدق هذا قوله تعالى في سورة الأنفال (وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ۙ
 مَاءٌ لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ
 وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) وقد أرى الله رسوله في منامه الأعداء كما أراهوه

وقت اللقاء قليلي العدة كيلا يفشل المسلمون وليقضي الله أمراً كان
 مفعولاً قال تعالى في سورة الأنفال (إذ يريدكم الله في منامك قليلاً
 ولو أراكمهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم انه علم
 بذات الصدور واذ يريدكم اذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقتلكم في
 أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً والى الله ترجع الأمور) ثم سار
 جيش المسلمين حتى نزل أدنى ماء من بدر فقال له الحباب بن المنذر
 الأنصاري وكان مشهوراً بجودة الرأي يا رسول الله أهذا منزل أنزلك
 الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال
 بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال يا رسول الله ليس لك هذا بمنزل
 فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فاني أعرف غزارة مائه
 وكثرته فنزله ونفوره ما عداه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فمماؤه ماء
 فشرب ولا يشربون فقال الرسول عليه السلام لقد أشرت بالرأي
 ونهض حتى أتى أدنى ماء من القوم ثم أمر بالآبار التي خلفهم ففجرت
 ليقطع أمل المشركين في الشرب من وراء المسلمين وبني حوضاً على
 القليب الذي نزل عليه ثم قال له سعد بن معاذ سيد الأوس يا نبي الله
 ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان
 أعزنا الله تعالى وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وان كانت
 الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام

Surah
 8:43

بئر
 ماء
 نار

tooth

يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولا أطوع لك منهم لهم رغبة في
الجهاد ونية ولو ظنوا أنك تلتقي حربا ما تخلفوا عنك انما ظنوا أنها العير
يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك فقال عليه السلام أو يقضى
الله خيرا من ذلك ثم بنى للرسول عريش فوق تل مشرف على ميدان
الحرب ولما اجتمعوا عدل عليه السلام صفوفهم منا كبهم متلاصقة
فصاروا كأنهم بنيان مرصوص ثم نظر لقريش فقال (اللهم هذه
قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولاك اللهم فصرك
الذي وعدتني به) وفي هذا الوقت وقع خلف بين رؤساء عسكر
المشركين فان عتبة بن ربيعة أراد أن يمنع الناس من الحرب ويحمل
دم حليفه عمرو بن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد الله بن جحش
ويحمل ما أصيب من غيره ودعا الناس الى ذلك فلما بلغ أبا جهل الخبر
وسمه بالجبن وقال والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وقبل
أن تقوم الحرب على ساقها خرج من صفوف المشركين الأسود بن عبد
الأسد الخزومي وقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو
لأموتن دونه فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب وضربه ضربة قطع بها
قدمه بنصف ساقه فوقع على ظهره فزحف على الحوض حتى اقتحم فيه
ليبر قسمه فأتبعه حمزة فقتله ثم وقف عليه السلام يجرض الناس على
الثبات والصبر وكان فيما قال (وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج

الله به الهم وينجي به من الغم) ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج من صفوف المشركين ثلاثة نفر عتبة بن ربيعة بن أخيه شيبة وابنه الوليد فطلبوا أكفاءهم فخرج اليهم ثلاثة من الأنصار فقالوا لا حاجة لنا بكم انما نريد أكفاءنا من بني عمنا فأخرج لهم عليه السلام عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب للأول وحمزة بن عبد المطلب للثاني وعلي بن أبي طالب للثالث فأما حمزة وعلي فقتلا صاحبيهما وأما عبيدة وعتبة فاختلفا بضربتين كلاهما جرح صاحبه فحمل رفيقا عبيدة على عتبة فأجهزا عليه وحمل عبيدة من بين الصفوف جريحا يسيل مخ ساقه وأخجعه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله قدمه الشريفة فوضع خده عليها وبشره عليه السلام بالشهادة فقال وددت والله أن أبا طالب كان حيا ليعلم أننا أحق منه بقوله

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وبعد انقضاء هذه المبارزة وقف عليه السلام بين الصفوف يعدها بقضيب في يده فمر بسواد بن غزية حليف بني النجار وهو خارج من الصف فضربه بالقضيب في بطنه وقال استقم يا سواد فقال أوجعتني يا رسول الله وقد بعثت بالحق والعدل فأقديني من نفسك فكشف الرسول عليه السلام عن بطنه وقال استقد يا سواد فاعتقه سواد وقبل بطنه فقال عليه السلام ما حملك على ذلك فقال يا رسول الله قد حضر

ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد أن يمس جلدي جلدك فدعا له بخير
 ثم ابتداء عليه السلام بوصي الجيش فقال (لا تحملوا حتى آمركم وان
 اكتنفتكم القوم فانضحوم بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى ينفشوكم) ثم
 حضهم على الصبر والثبات ثم رجع الى عريشه ومعه رفيقه أبو بكر
 وحارسه سعد بن معاذ واقف على باب العريش متوشح سيفه وكان من
 دعاء الرسول عليه السلام ذاك الوقت كما جاء في صحيح البخاري (اللهم
 أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد) فقال أبو بكر حسبك
 فان الله سينجز لك وعدك فخرج عليه السلام من العريش وهو يقول
 (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ) ثم قال عليه السلام يحرض الجيش
 (والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً
 مقبلاً غير مدبر الا أدخله الله الجنة ومن قتل قتيلاً فله سلبه) فقال عمير
 ابن الحمام ويده تمرات يأكلها ينجح ما بيني وبين أن أدخل الجنة
 الا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل حتى
 قتل واشتد القتال وحمل الوطيس وأيد الله المسلمين بالملائكة بشري
 لهم ولتطمئن به قلوبهم فلم تكن إلا ساعة حتى هزم الجمع وولوا الدُّبُرَ
 وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل من المشركين نحو السبعين
 منهم من قریش عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة قتلوا مبارزة
 أول القتال وأبو البخترى بن هشام والجراح والد أبي عبيدة قتله ابنه

بعد أن ابتعد عنه فلم يزدجر وقتل أمية بن خلف وابنه علي اشترك في قتلها جماعة من الأنصار مع بلال بن رباح وعمار بن ياسر وقد سعيوا في ذلك لما كان يفعله بهما أمية في مكة ومن القتلى حنظلة بن أبي سفيان وأبو جهل بن هشام أمخنة فتيان صغيران من الأنصار لما كانا يسمعان من أنه كان شديد الأيذاء لرسول الله وأجهز عليه عبد الله بن مسعود وقتل نوفل بن جويلد قتله علي بن أبي طالب وقتل عبيدة والعاصي ولدا أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية وقتل كثيرون غيرهم أما الأسرى فكانوا سبعين أيضاً قتل منهم عليه السلام وهو راجع عقبه ابن أبي معيط والنضر بن الحارث اللذين كانا بمكة من أشد المستهزئين وكانت هذه الواقعة في ١٧ رمضان وهو اليوم الذي ابتداء فيه نزول القرآن وبين التاريخين ١٤ سنة كاملة

وقد أمر عليه السلام بالقتلى فنقلوا من مصارعهم التي كان الرسول عليه السلام أخبر بها قبل حصول الواقعة الى قليب بدر لأنه عليه السلام كان من سننه في مغازيه اذا مر بجيفة انسان أمر بها فدفنت لا يسأل عنه مؤمناً أو كافراً ولما ألقى عتبة والد أبي حذيفة أحد السابقين الى الاسلام تغير وجه ابنه ففطن الرسول عليه السلام لذلك فقال لملك دخلك من شأن أبيك شيء فقال لا والله ولكنني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام فلما

رأيت ما مات عليه حزنتي ذلك فدعا له الرسول عليه السلام بخير ثم
 أمر عليه السلام براحلته فشد عليها حتى قام على شفة القلب الذي روى
 فيه المشركون فحصل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان ابن فلان
 ويا فلان ابن فلان أيسركم أنكم كنتم أظعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا
 ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فقال عمر يا رسول الله
 ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها فقال والذي نفس محمد بيده ما أنتم
 بأسمع لما أقول منهم وتقول عائشة رضي الله عنها انما قال انهم الآن
 ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق ثم قرأت انك لا تسمع الموتى وما
 أنت بمسمع من في القبور تقول يعلمون ذلك حينما تبوؤا مقاعدهم من
 النار (رواه البخاري) ثم أرسل عليه السلام المبشرين فأرسل عبد الله
 ابن رواحة لأهل العالية (١) وأرسل زيد بن حارثة لأهل السافلة
 راكباً على ناقه رسول الله وكان المنافقون والكفار من اليهود قد أرجفوا
 بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين عادة الأعداء في اذاعة الضراء
 يقصدون بذلك فتنة المسلمين فجاؤ أولئك المبشرون بما سرّ أهل
 المدينة وكان ذلك وقت انصرفهم من دفن رقية بنت رسول الله وزوج
 عثمان ثم قفل رسول الله راجعاً وهنا وقع خلف بين بعض المسلمين

في قسمة الغنائم فالتشبان يقولون باشرنا القتال فهي لنا خالصة والشيوخ
 يقولون كنا ردوا لكم فنشارككم ولما كان هذا الاختلاف مما يدعو الى
 الضعف ويزرع في القلوب العداوة والبغضاء المؤديين الى تشتت الشمل
 أنزل الله حسماً لهذا الخلاف أول سورة الأنفال (يسئلونك عن الأنفال
 قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله
 ورسوله ان كنتم مؤمنين) فسطع على أفئدتهم نور القرآن فتألفت بعد
 أن كادت تفترق وتركوا أمر الغنائم لرسول الله يضعها كيف شاء كما
 حكم القرآن فقسمها عليه السلام على السواء الراجل مع الراجل والفارس
 مع الفارس وأدخل في الأسهم بعض من لم يحضر لأمر كلف به وهم
 أبو لبابة الأنصاري لأنه كان مخلصاً على أهل المدينة والحارث بن حاطب
 لأن الرسول عليه السلام خلفه على بني عمرو بن عوف ليحقق أمراً
 يلغه والحارث بن الصمة وخوات بن جبير لأنهما كسرا بالروحاء فلم
 يتمكنوا من الصبر وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد لأنهما أرسلوا
 يتجسسان الأخبار فلم يرجعا إلا بعد انتهاء الحرب وعثمان بن عفان لأن
 الرسول عليه السلام خلفه على ابنته رقية يمرضها وعاصم بن عدي لأنه
 خلفه على أهل قباء والعالية وكذلك أسهم لمن قتل بسدر وهم أربعة
 عشر منهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الذي جرح في
 المبارزة الأولى فإنه رضي الله عنه مات عند رجوع المسلمين من بدر

viii 1

س

ودفن بالصفراء ولما قارب عليه السلام المدينة تلقته الولاة بالدفوف يقان

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع



﴿ أسرى بدر ﴾

ولما دخلوا المدينة استشار عليه السلام أصحابه فيما يفعل بالأسرى فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله قد كذبوك وقاتلوك وأخرجوك فأرى أن تمكني من فلان لقریب له فأضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه العباس وعلياً من أخيه عقيل وهكذا حتى يعلم أنه ليس في قلوبنا مودة للمشركين ما أرى أن تكون لك أسرى فأضرب أعناقهم هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم وواقفه على ذلك سعد بن معاذ وعبد الله بن رواحة وقال أبو بكر يا رسول الله هؤلاء أهلك وقومك قد أعطاك الله الظفر والنصر عليهم أرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى أن الله يهديهم بك فيكونوا لك عضداً فقال عليه السلام ان الله ليُسلين قلوب أقوام حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب أقوام حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال (فمن اتبعني فانه مني ومن

عصاني فانك غفورٌ رحيم) وان مثلك يا عمر مثل نوح قال (رب
لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) ورأى عليه السلام رأي أبي
بكر بعد أن مدح كلاً من الصاحبين لأن الوجهة واحدة وهي اعزاز
الدين وخذلان المشركين ثم قال لأصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد
من أسراكم إلا بفداء وقد بلغ قريشاً ما عزم عليه الرسول في أمر
الأسرى فناحت على القتلى شهراً ثم أشير عليهم من كبارهم أن لا يفعلوا
كيلاً يبلغ محمداً وأصحابه جزعهم فيشمتوا بهم فسكتوا وصمموا على أن
لا يبكوا قتلاهم حتى يأخذوا بثأرهم وتواصوا فيما بينهم أن لا يعجلوا في
طلب الفداء لئلا يتغالي المسامون فيه

﴿ الفداء ﴾

فلم يلتفت الى ذلك المطلب بن أبي وداعة السهمي وكان أبوه من
الأسرى فخرج خفية حتى أتى المدينة وفدى أباه بأربعة آلاف درهم
وعند ذلك بعثت قريش في فداء أسراها وكان أربعة آلاف الى ألف
درهم ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة
من غلمان المدينة يعلمهم وكان ذلك فداءه (ومن) الأسرى عمرو بن
أبي سفيان وما طلب من أبيه فداؤه أبي وقال والله لا يجمع محمد بين
ابني ومالي دعوه يمسكوه في أيديهم ما بدا لهم فيينا أبو سفيان بمكة إذ

وجد سعد بن النعمان الأنصاري معتمراً فعدا عليه فحبسه بابنه عمرو
 فمضى قوم سعد إلى رسول الله وأخبروه الخبر فأعطاهم عمراً ففكوا به
 سعداً (ومن) الأسرى أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول
 وكان عليه السلام قد أثنى عليه خيراً في مصاهرته فانه لما استحكمت
 العداوة بين قريش ورسول الله بمكة طلبوا من أبي العاص أن يطلق
 زينب كما فعل ابنا أبي لهب بابنتي الرسول فامتنع وقال والله لا أفارق
 صاحبتي وما أحب أن لي بها امرأة من قريش ولما أسر أرسلت زينب
 في فدائه قلادة لها كانت حلتها بها أمها خديجة ليلة عرسها فلما رأى
 عليه السلام تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال لأصحابه ان رأيتم أن
 تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا فرضى الأصحاب بذلك
 فأطلقه عليه السلام بشرط أن يترك زينب مهاجرة إلى المدينة فلما وصل
 إلى مكة أمرها بالحقق بأبيها وكان الرسول أرسل لها من يأتي بها
 فاحتملوا (هذا) ولما أسلم أبو العاص بن الربيع قبيل الفتح رد عليه
 امرأته بالنكاح الأول (ومن) الأسرى سهيل بن عمرو وكان من
 خطباء قريش وفصحائها وطالما آذى المسلمين بلسانه فقال عمر بن
 الخطاب دعني يا رسول الله أنزع ثنيتي سهيل يدلع (١) لسانه فلا يقوم

عليك خطيباً في موطن أبداً فقال عليه السلام (لا أمثل فيمثل الله بي
 وان كنت نبياً وعسى أن يقوم مقاماً لا تدمه) (وقدّم بفدائه مكرز بن
 حفص ولما ارتضى معهم على مقدار حبس نفسه بدله حتى جاء بالفداء .
 هذا وقد حقق الله خبر الرسول في سهيل فإنه لما مات عليه السلام أراد
 أهل مكة الارتداد كما فعل غيرهم من الأعراب فقام سهيل هذا خطيباً
 وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله أيها الناس من كان
 يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت
 ألم تعلموا أن الله قال (انك ميتٌ وانهم ميتون) وقال (وما محمد إلا
 رسولٌ قد خلت من قبله الرسلُ أفأئن مات أو قتل انقلبتم على
 أعقابكم) ثم قال والله اني أعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس
 في طلوعها فلا يغرنكم هذا (يريد أبا سفيان) من أنفسكم فإنه ليعلم
 من هذا الأمر ما أعلم ولكنه قد ختم على صدره حسد بني هاشم
 وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان الله ناصر من نصره
 ومقوّ دينه وقد جمعكم الله على خيركم (يريد أبا بكر) وان ذلك لم يزد
 الاسلام الا قوّة فمن رأيناه ارتدّ ضربنا عنقه فتراجع الناس عما كانوا
 عزموا عليه وكان هذا الخبر من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم
 (ومن) الأسرى الوليد بن الوليد افتكه أخواه خالد وهشام فلما
 افتدى ورجع الى مكة أسلم فقيل له هلا أسلمت قبل الفداء فقال خفت

أن يعدوا إسلامي خوفاً ولما أراد الهجرة منعه أخواه ففرّ إلى النبي في
 عمرة القضاء (ومن) الأسرى السائب بن يزيد وكان صاحب الراية
 في تلك الحرب فدى نفسه وهو الجد الخامس للإمام محمد بن إدريس
 الشافعي (ومنهم) وهب بن عمير الجمحي كان أبوه عمير شيطاناً من
 شياطين قريش كثير الأيذاء لرسول الله جلس يوماً بعد انتهاء هذه
 الحرب مع صفوان بن أمية يتذاكران مصاب بدر فقال عمير والله لولا
 دين عليّ ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الفقر بعدي كنت
 آتي محمداً فأقتله فإن ابني أسير في أيديهم فقال له صفوان دينك عليّ
 وعيالك مع عيالي فأخذ عمير سيفه وشحنه وسمه وانطلق حتى قدم
 المدينة فبينما عمر مع نفر من المسلمين إذ نظر إلى عمير متوشحاً سيفه فقال
 هذا الكلب عدو الله ما جاء إلا بشرّ ثم قال للنبي عليه السلام هذا
 عدو الله عمير قد جاء متوشحاً سيفه فقال أدخله عليّ فأخذ عمر بمجامل
 سيفه وأدخله فلما رآه عليه السلام قال أطلقه يا عمر ادن يا عمير فدنا
 وقال انعموا صباحاً فقال عليه السلام قد أبدلنا الله تحية خيراً من تحيتك
 وهي السلام ثم قال ما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الأسير الذي في
 أيديكم فأحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبحها الله من سيوف وهل
 أغنت عنا شيئاً فقال عليه السلام أصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت
 إلا لذلك قال عليه السلام كلا بل قدمت أنت و صفوان في الحجر وقلما

كيت وكيت فأسلم عمير وقال كنا نكذبك بما تأتي به من خبر السماء
 وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فقال
 عليه السلام فقهوا أخاكم في دينه وأقرؤه القرآن وأطلقوا أسيره فعاد عمير
 الى مكة وأظهر اسلامه (ومن) الأسرى أبو عزيز بن عمير أخو مصعب
 ابن عمير مرّ به أخوه فقال للذي أسره شد يدك به فان أمه ذات متاع
 لعلها تفديه منك فقال له يا أخي هذه وصايتك بي ثم بعثت أمه بفدائه
 أربعة آلاف درهم (ومن) الأسرى العباس بن عبد المطلب عم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم كان قد خرج لهذه الحرب مكرهاً ولما وقع في
 الأسر طلب منه فداء نفسه وابن أخيه عقيل بن أبي طالب فقال علام
 ندفع وقد استكرهنا على الخروج فقال عليه السلام لقد كنت في الظاهر
 علينا فأخذت منه فدية نفسه وابن أخيه ثم قال للرسول لقد تركتني فقير
 قريش ما بقيت قال كيف وقد تركت لأم الفضل أموالاً وقلت لها ان
 مت فقد تركتك غنية فقال العباس والله ما اطلع على ذلك أحد . وهذا
 العمل غاية ما يفعل من العدل والمساواة فانه عليه السلام لم يعف عمه
 مع علمه بأنه انما خرج مكرهاً وقد أعنى غيره جماعة تحقق له فقرهم فهكذا
 العدل ولا غرابة فذلك أدب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا
 قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)
 (ومن) الأسرى أبو عزة الجمحي الشاعر كان شديد الايذاء لرسول الله

بمكة فلما أسر قال يا محمد اني فقير وذو عيال وذو حاجة قد عرقها
فامنن علي فمن عليه فضلاً منه

﴿ العتاب في الفداء ﴾

ولما تم الفداء أنزل الله في شأنه (ما كان لني أن يكون له أسرى
حتى يشخن في الأرض تر يدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله
عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)
نهى سبحانه عن اتخاذ الأسرى قبل الأئمان في قتل الذين يصدون عن
سبيل الله ويمنعون دين الله من الانتشار وعاب بعض المسلمين على ارادة
عرض الدنيا وهو الفدية ولولا حكم سابق من الله أن لا يعاقب مجتهداً
على اجتهاده ما دام المقصد خيراً لكان العذاب ثم أباح لهم الأكل من
تلك الفدية المبني أخذها على النظر الصحيح وهذا من أقوى الأدلة
على صدق نبينا عليه السلام فيما جاء به لأنه لو كان من عنده ما كان
يعاتب نفسه على عمل عمله بناء على رأي كثير من الصحابة وقد وعد
الله الأسرى الذين يعلم في قلوبهم خيراً بأن يؤتيمهم خيراً مما أخذ منهم
ويغفر لهم فقال (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ان يعلم
الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور
رحيم) وهذه الغزوة هي التي أعز الله بها الاسلام وقوى أهله ودمغ

فيه الشرك وخرب محله مع قلة المسلمين وكثرة عدوهم فهي آية ظاهرة
 على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان عليه العدو من القوة
 بسوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيل المسومة والخيلاء الزائدة ولذلك
 قال الله ممتنا على عباده بهذا النصر (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة)
 أي قليل عددكم لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله فهي أعظم
 غزوات الاسلام إذ فيها كان ظهوره وبعد وقوعها أشرق على الآفاق
 نوره فقد قتل فيها من صناديد قريش من كانوا الأعداء الألداء
 للاسلام ودخل الرعب في قلوب العرب الآخرين فكانت للمسلمين
 هيبة بها يكسرون الجيوش ويهزمون الرجال فلا جرم ان شكرنا العلي
 الأعلى على هذه العناية واتخذنا يوم النصر في بدر وهو السابع عشر من
 رمضان عيداً نتذكر فيه نعمة الله على رسوله وعلى المسلمين

﴿ غزوة قينقاع ﴾

هذا واذا كان للشخص عدوان فاتتصر على أحدها حرك ذلك
 شجوا الآخر وهاج فؤاده فتبدو بغضاًؤه غير مكترث بعاقبة عدائه وهذا
 ما حصل من يهود بني قينقاع عند تمام الظفر في بدر فانهم نبذوا
 ما عاهدوا المسلمين عليه وأظهروا مكنون ضمائرهم فبستت البغضاء من
 أفواههم وانتهكوا حرمة سيدة من نساء الأنصار وهذا مما يدعو المسلمين

للتحرز منهم وعدم ائتمانهم في المستقبل اذا شبت الحرب في المدينة بين
المسلمين وغيرهم فأنزل الله في سورة الأنفال (وإما تخافن من قوم خيانة
فانبذ (١) اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) فدعا عليه السلام
رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغي ونكث العهد فقالوا يا محمد لا يغرنك
ما لقيت من قومك فانهم لا علم لهم بالحرب ولو لقيتنا لتعلمن أنا نحن
الناس وكانوا أشجع يهود فأنزل الله في سورة آل عمران (قل للذين
كفروا ستعذبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية
في فتنين التفتا فثة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثلهم رأي
العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)
وعند ذلك تبرأ من حلفهم عبادة بن الصامت أحد رؤساء الخزرج
وتشبت بالحلف عبد الله بن أبي وقال اني رجل أخشى الدوائر فأنزل
الله تعليماً للمسلمين في سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم ان الله
لا يهدي القوم الظالمين فتري الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم
يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من

(١) أي فاطرح لهم العهد على طريق مستو قصد بأن تظهر لهم نبذ
العهود ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد لأن ذلك خيانة ولذا
قال (ان الله لا يحب الخائنين)

عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) وعند ما تظاهر يهود
 قينقاع بالعداوة وتحصنوا بحصونهم سار اليهم عليه السلام في نصف
 شوال من هذه السنة يحمل لواءه عمه حمزة وخلف علي المدينة أبا لبابة
 الأ نصاري فحاصرهم خمس عشرة ليلة

﴿ جلاء قينقاع ﴾

ولما رأوا من أنفسهم العجز عن مقاومة المسلمين وأدركهم الرعب
 سألوا رسول الله أن يخلي سبيلهم فيخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية
 وللمسلمين الأموال فقبيل ذلك عليه السلام ووكل بجلائهم عبادة بن
 الصامت وأمهاتهم ثلاث ليال فذهبوا الى أذرعات (١) ولم يحل عليهم
 الحول حتى هلكوا كلهم وخمس عليه السلام أموالهم وأعطى سهم ذوي
 القربى لبني هاشم ولبني المطلب دون بني أخويهما عبد شمس ونوفل
 ولما سئل عن ذلك قال إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد في
 الجاهلية والاسلام هكذا وشبك بين أصابعه

﴿ غزوة السويق ﴾

كان أبو سفیان متهيئاً لأنه لم يشاهد بدرًا التي قتل فيها ابنه

وذوو قرباه فحلف أن لا يمس رأسه الماء حتى يغزو محمداً وليبرّ بقسمه
 خرج بمائتين من أصحابه يريد المدينة ولما قاربها أراد أن يقابل اليهود
 من بني النضير ليهيجهم ويستعين بهم على حرب المسلمين فأتى سيدهم
 حبي بن أخطب فلم يرض مقاتلته فأتى سلام بن مشكم فأذن له واجتمع
 به ثم خرج من عنده وأرسل رجالاً من قريش إلى المدينة فخرقوا بعض
 نخلها ووجدوا أنصارياً فقتلوه ولما علم بذلك رسول الله خرج أثرهم في
 مائتين من أصحابه خمس خلون من ذي الحجة بعد أن ولي على المدينة
 بشير بن عبد المنذر ولكن لم يلحقهم لأنهم هربوا وجعلوا يخفون
 ما يحملونه ليكونوا أقدر على الاسراع فالتقوا ما معهم من جرب السويق
 فأخذه المسلمون ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويق

﴿ صلاة العيد ﴾

وفي هذا العام سنّ الله للعالم الاسلامي سنة عظيمة بها يتمكن
 أبناء البلد الواحد من المسلمين أن يجددوا عهد الاخوان ويقووا عزوة
 الدين الوثقي وهي الاجتماع في يوم عيد الفطر وعيد الأضحى وكان عليه
 السلام يجمع المسلمين في صعيد واحد ويصلي بهم ركعتين تضرعاً إلى
 الله أن لا يفصم عروتهم وأن ينصرهم على عدوهم ثم يخطبهم حاضاً لهم
 على الائتلاف ومذكراً لهم ما يجب عليهم لأنفسهم ثم يصافح المسلمون

بعضهم بعضاً وبعد ذلك يخرجون لأداء الصدقات للفقراء والمساكين حتى يكون السرور عاماً لجميع المسلمين فبعد الفطر زكاته وبعد الأضحية تضحيته نسأله تعالى أن يؤلف قلوبنا ويوفقنا لأعمال سلفنا

﴿ زواج علي بفاطمة عليهما السلام ﴾

وفي هذه السنة تزوج علي بن أبي طالب وعمره إحدى وعشرون سنة بفاطمة بنت رسول الله وسنها خمس عشرة سنة وكان منها عقب رسول الله بنو الحسن والحسين وزينب (وفيها) دخل عليه السلام بعائشة بنت أبي بكر وسنها إذ ذاك تسع سنوات

﴿ السنة الثالثة ﴾

يا لله يقضي على الشقي بالشقاوة حتى لا يسمع ولا يبصر فيتخذ الغدر رداءً والخيانة شعاراً فلا ينجح معه إلا اراحة العالم من شره هذا كعب بن الأشرف اليهودي عظيم بني النضير أعمته عداوة المسلمين حتى خلع برقع الحياء وصار يجرس قريشاً على حرب رسول الله ويهجوهم بالشعر ويجهد في إثارة الشحناء بين المسلمين فكلم جبر عليه السلام كسراً هاضه هذا الشقي بما ينفته من سموم لسانه

﴿ قتل كعب بن الأشرف ﴾

ولما انتصر المسلمون بيدرو رأى الأسرى مقرنين في الجبال خرج
الى قریش يبكي قتلاهم ويحرضهم على حرب المسلمين فقال عليه السلام
من لكعب بن الأشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة
الأصاري الأوسي أحب أن أقتله قال نعم قال أنا لك به وأذن لي أن
أقول شيئاً أتمكن به فأذن له ثم خرج ومعه أربعة من قومه حتى أتى
كعباً فقال له ان هذا الرجل (يريد رسول الله) قد سألنا صدقة وانه
قد عنانا واني قد أتيتك أستسلفك قال وأيضاً والله لمتلته قال انا قد
اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى أي شيء يصير شأنه وقد
أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين قال نعم ولكن ارهنوني قالوا أي شيء
تريد قال ارهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب
قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال
رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح
فرضي فواعده ليلاً أن يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة أخو كعب من
الرضاع وعباد بن بشر والحارث بن أوس وأبو عيس بن جبر وكلهم
أوسيون فناده محمد بن مسلمة فأراد أن ينزل فقالت له امرأته أين
تخرج الساعة وانك امرؤ تحارب فقال انما هو ابن أخي محمد بن مسلمة

ورضيبي أبو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة بليل لأجاب ثم قال محمد
 لمن معه اذا جاني فاني آخذ بشعره فأشمه فاذا رأيتوني استمكنت
 من رأسه فاضربوه فنزل اليهم كعب متوشحاً سيفه وهو ينفخ منه ريح
 المسك فقال محمد ما رأيت كاليوم ريحاً أطيب أتأذن لي أن أشم رأسك
 قال نعم فشمه فلما استمكن منه قال دونكم فاقتلوه ففعلوا وأراح الله
 المسلمين من شر أعماله التي كان يقصدها بهم ثم أتوا النبي فأخبروه
 وكان قتل هذا الشقي في ربيع الأول من هذا العام وكان عليه السلام
 اذا رأى من رئيس غدراً ومقاصد سوء ومحبة لاثارة الحرب أرسل له
 من يريجه من شره وقد فعل كذلك مع أبي عفاك اليهودي وكان مثل
 كعب في الشر

﴿ غزوة غطفان ﴾

بلغ رسول الله أن بني ثعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا برياسة
 رئيس منهم اسمه دعثور يريدون الغارة على المدينة فأراد عليه السلام
 أن يغل أيديهم كيلا يتمكنوا من هذا الاعتداء فخرج اليهم من المدينة
 في أربعمئة وخمسين رجلاً لثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول
 وخلف على المدينة عثمان بن عفان ولما سمعوا بسير رسول الله هربوا الى
 رؤوس الجبال ولم يزل المسلمون سائرين حتى وصلوا ماء يسمى ذا أمر

فمكروا به وحدث أنه عليه السلام نزع ثوبه يجففه من مطر بله
وارتاح تحت شجرة والمسلمون متفرقون فأبصره دعشور فأقبل إليه بسيفه
حتى وقف على رأسه وقال من يمنعك مني يا محمد فقال الله فأدركت
الرجل هيبية ورعب أسقطا السيف من يده فتناوله عليه السلام وقال
لدعشور من يمنعك مني قال لا أحد فعفا عنه فأسلم الرجل ودعا قومه
للإسلام وحول الله قلبه من عداوة رسول الله وجمع الناس لحربه إلى
محبه وجمع الناس له ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا ما ينتجه
حسن المعاملة والبعد عن الغضاظة وغاظ القلب (فيما رحمة من الله لنت
لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر
لهم وشاورهم في الأمر)

﴿ غزوة بجران ﴾

بلغه عليه السلام أن جمعاً من بني سليم يريدون الغارة على المدينة
فسار إليهم في ثلاثمائة من أصحابه است خلون من جمادى الأولى وخلف
على المدينة ابن أم مكتوم ولما وصل إلى بجران (١) تفرقوا ولم يلق
كيداً فرجع

(١) موضع بناحية الفرع وهذا موضع من أضخم أعراض المدينة

﴿ سرية ﴾

لما تبينت قريش أن طريق الشام من جهة المدينة أغلق في وجه تجارتهم ولا يمكنهم الصبر عنها لأن بها حياتهم أرسلوا عيراً إلى الشام من طريق العراق وكان فيها جمع من قريش منهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى فجاءت أخبارهم لرسول الله فأرسل لهم زيد بن حارثة في مائة راكب يترقبونهم وكان ذلك في جمادى الآخرة فسارت السرية حتى لقيت العير على ماء اسمه (القردة) بناحية نجد فأخذت العير وما فيها وهرب الرجال وقد خمس الرسول عليه السلام هذه حينما وصلت له

﴿ غزوة أحد ﴾

لما أصاب قريشاً ما أصابها ببدر وأغلقت في وجوههم طرق التجارة اجتمع من بقي من أشرفهم إلى أبي سفيان رئيس تلك العير التي جلبت عليهم المصائب وكانت موقوفة بدار الندوة ولم تكن سلمت لأصحابها بعد فقالوا إن محمداً قد وترنا وقتل خيارنا وانا رضينا أن نترك ربح أموالنا فيها استعداداً لحرب محمد وأصحابه وقد رضي بذلك كل من له فيها نصيب وكان ربحها نحواً من خمسين ألف دينار فجمعوا

لذلك الرجال فاجتمع من قريش ثلاثة آلاف رجل ومعهم الاحابيش
 وهم حلفاؤهم من بني المصطلق و بني الهون بن خزيمه ومعهم أبو عامر
 الراهب الأوسي وكان قد فارق المدينة كراهية لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم ومعه عدد ممن هم على شاكلته وخرج معهم جماعات من أعراب
 كنانة و تهامة وقال صفوان بن أمية لأبي عزة الشاعر الذي لا ينسى
 القاري أن الرسول منّ عليه ببدر وأطلقه من غير فداء انك رجل
 شاعر فأعنا بلسانك فقال اني عاهدت محمدا أن لا أعين عليه وأخاف
 ان وقعت في يده مرة ثانية أن لا أنجو فلم يزل به صفوان حتى أطاعه
 وذهب يستنفر الناس لحرب المسلمين ودعا جبير بن مطعم غلاماً حبشياً
 له اسمه وحشي وكان رامياً قلماً يخطي فقال له اخرج مع الناس فان
 أنت قتلت حمزة بعمي طعيمة فأنت حر ثم خرج الجيش ومعهم التقيان
 والدفوف والمعازف والخمور واصطحب الأشراف منهم نساءهم كيلا
 ينهزموا ولم يزلوا سائرين حتى نزلوا مقابل المدينة بندي الخليفة . أما
 رسول الله عليه الصلاة والسلام فكان قد بلغه الخبر من كتاب بعث
 به اليه عمه العباس بن عبد المطلب الذي لم يخرج مع المشركين في هذه
 الحرب محتجاً بما أصابه يوم بدر ولما وصلت الأخبار باقترب المشركين
 جمع عليه السلام أصحابه وأخبرهم الخبر وقال ان رأيتم ان تقيموا بالمدينة
 وتدعوهم حيث نزلوا فان هم أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا

قاتلناهم فكان مع رأيه شيوخ المهاجرين والانصار ورأى ذلك أيضاً
عبد الله بن أبيّ أما الأحداث وخصوصاً من لم يشهد بدرًا منهم
فأشاروا عليه بالخروج وكان مع رأيهم حمزة بن عبد المطلب وما زال
هؤلاء بالرسول حتى تبع رأيهم لأنهم الأكثر عددًا والأقوون
جلدًا فصلى الجمعة بالناس في يومها لعشر خلون من شوال وحضهم في
خطبتها على الثبات والصبر وقال لهم (لستم النصر ما صبرتم) ثم دخل
حجرته ولبس عدته فظاهر بين درعين (١) وتقلد السيف وألقى الترس
وراء ظهره ولما رأى ذوو الرأي من الأنصار أن الأحداث استكروهوا
الرسول على الخروج لاموهم وقالوا ردوا الأمر لرسول الله فما أمر ائتمرنا
فلما خرج عليه السلام قالوا يا رسول الله تتبع رأيك فقال ما كان لنبي
لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ثم عقد الألوية
فأعطى لواء المهاجرين لمصعب بن عمير ولواء الخزرج للحباب بن المنذر
ولواء الأوس لأسيد بن الحضير وخرج من المدينة بألف رجل فلما وصلوا
رأس الثنية نظر عليه السلام كتيبة كبيرة فسأل عنها فقبل هؤلاء حلفاء
عبد الله بن أبيّ من اليهود فقال انا لا نستعين بكافر على مشرك وأمر
بردهم لأنه لا يأمن جانبهم من حيث لهم اليد الطولى في الخيانة ثم

(١) أي لبس درعاً فوق درع وهما ذات الفضول وفضة التي أصابها

من بني قينقاع

استعرض الجيش فرد من استصغر وكان فيمن رد رافع بن خديج وسمرة
ابن جندب ثم أجاز رافعاً لما قيل له انه رام فيكي سمرة وقال لزوج أمه
أجاز رسول الله رافعاً وردني مع أني أصرعه فبلغ رسول الله الخبر فأمرهما
بالمصارعة فكان الغالب سمرة فأجازه ثم بات عليه السلام محله ليلة
السبت واستعمل على حرس الجيش محمد بن مسلمة وعلى حرسه الخاص
ذكوان بن قيس وفي السحر سار الجيش حتى اذا كان بالشوط وهو
بستان بين أحد والمدينة رجع عبد الله بن أبي بثلاثمائة من أصحابه
وقال عصاني وأطاع الولدان فعلام تقتل أنفسنا فتبعهم عبد الله بن عمرو
والد جابر وقال يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبئكم قالوا (لو نعلم
قتالاً لا تبعناكم) فقال لهم أبعدم الله فسيغني الله عنكم نبيه . ولما فعل
ذلك عبد الله بن أبي همت طائفتان من المؤمنين أن تفشلا بنو حارثة
من الخزرج وبنو سلمة من الأوس فعصمهما الله وقد افترق المسلمون
فريقين فيما يفعلون بالمنخذلين فقوم يقولون تقاتلهم وقوم يقولون تتركهم
فأنزل الله في سورة النساء (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما
كسبوا أتريدون أن تهتدوا من أضل الله ومن يضل الله فلن تجد له
سبيلاً) ثم سار الجيش حتى نزل الشعب من أحد (١) وجعل ظهره
للجبل ووجهه للمدينة أما المشركون فنزلوا ببطن الوادي من قبل أحد

وكان على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل
 وعلى المشاة صفوان بن أمية فجعل عليه السلام الزبير بن العوام بازاء خالد
 وجعل آخرين أمام الباقيين واستحضر الرماة وكانوا خمسين رجلاً يرأسهم
 عبد الله بن جبير الأنصاري فوقفهم خلف الجيش على ظهر الجبل وقال
 لا تبرحوا ان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهرنا علينا
 فلا تبرحوا ثم عدل عليه السلام الصفوف وخطب المسلمين وكان فيما
 قال (ألقى في قلبي الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفى
 أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وان أبطأ عنها فاتقوا ربكم وأجلوا في
 طلب الرزق لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من
 المؤمن كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعى له سائر جسده) ثم ابتداء
 القتال بالمبارزة فخرج رجل من صفوف المشركين فبرز له الزبير فقتله ثم
 حمل اللواء طلحة بن أبي طلحة فقتله علي فحمل اللواء أخوه عثمان فقتله
 حمزة فحملة أخ لها اسمه أبو سعيد فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم
 قضى عليه فتناوب اللواء بعده أربعة من أولاد طلحة بن أبي طلحة
 وكلهم يقتلون وخرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن أبي بكر
 يطلب البراز فأراد أبوه أن يبرز له فقال له عليه السلام متعنا بنفسك
 يا أبا بكر ثم حملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات وفي
 كلها ينضحهم المسامون بالنبل فيقتلهم ولما التقت الصفوف وحملت

الحرب ابتداء نساء المشركين يضربن بالدفوف وينشدن الأشعار
 تهيباً لعواطف الرجال وكان عليه السلام كلما سمع نشيد النساء يقول
 (اللهم بك أجول وبك أصول وفيك أقاتل حسبى الله ونعم الوكيل)
 وفي هذه المعركة قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله سيد الشهداء
 غافله وحشي وهو يجول في الصفوف وضربه بحربة لم تخطى ثنايا بطنه
 (هذا) ولما قتل حملة اللواء من المشركين ولم يقدر أحد على
 الدنو منه ولوا الأديبار ونسأؤهم ينيكين ويولون وتبعهم المسلمون يجمعون
 الغنائم والأسلاب فلما رأى ذلك الرماة الذين يحمون ظهور المسلمين
 فوق الجبل قالوا ما لنا في الوقوف من حاجة ونسوا أمر السيد الحكيم
 صلى الله عليه وسلم فذكروهم رئيسهم به فلم يلتفتوا وانطلقوا ينتهبون أما
 رئيسهم فثبت معه قليل منهم فلما رأى خالد بن الوليد أحد رؤساء
 المشركين خلوا الجبل من الرماة انطلق ببعض الجيش فقتل من ثبت
 من الرماة وأتى المسلمين من ورائهم وهم مشتغلون بديناهم فلما رأوا ذلك
 البلاء دهشوا وتركوا ما بأيديهم وانتقضت صفوفهم واختلطوا من غير
 شعور حتى صار يضرب بعضهم بعضاً ورفعت إحدى نساء المشركين اللواء
 فاجتمعوا حوله وكان من المشركين رجل يقال له ابن قنمة قتل مصعب
 ابن عمير صاحب اللواء وأشاع أن محمداً قد قتل فدخل الفشل في المسلمين
 حتى قال بعضهم علام نقاتل إذا كان محمد قد قتل فارجعوا إلى قومكم

يؤمنونكم وقال جماعة اذا كان محمد قد قتل فقاتلوا عن دينكم وكان من
 نتيجة هذا الفشل أن انهزم جماعة من المسلمين من بينهم الوليد بن
 عقبة وخارجة بن زيد ورفاعة بن المعلي وعثمان بن عفان وتوجهوا الى
 المدينة ولكنهم استحيوا أن يدخلوها فرجعوا بعد ثلاث وثبت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة منهم أبو طلحة الأنصاري استمر
 بين يديه يمنع عنه بحجفته وكان رامياً شديداً الرمي فنثر كنانته بين يدي
 رسول الله وصار يقول وجهي لوجهك فداء وكل من كان يمر ومعه كنانة
 يقول له عليه السلام انثرها لأبي طلحة وكان ينظر الى القوم ليرى ماذا
 يفعلون فيقول له أبو طلحة يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تنظر يصيبك
 سهم من سهام القوم نحري دون محرك (ومن) ثبت سعد بن أبي وقاص
 فكان عليه السلام يقول له ارم سعد فداك أبي وأمي (ومنهم) سهل
 ابن حنيف وكان من مشاهير الرماة نضح عن رسول الله بالنبل حتى
 انفرج عنه الناس (ومنهم) أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري تترس
 على رسول الله فصار النبل يقع في ظهره وهو منحني حتى كثر فيه (وكان)
 يقاتل عن الرسول زيادة بن الحارث حتى أصابت الجراح مقاتله فأمر
 به فأدنى منه ووسده قدمه حتى مات (وقد) أصابه عليه السلام شدائد
 عظيمة تحملها بما أعطاه الله من الثبات فقد أقبل أبي بن خلف يريد
 قتله فأخذ عليه السلام الحربة ممن كانوا معه وقال خلوا طريقه فلما قرب

منه ضرب به ضربة كانت سبب هلاكه وهو راجع ولم يقتل رسول الله
 غيره لا في هذه الغزوة ولا في غيرها (وكان) أبو عامر الراهب قد
 حفر حفراً وغطاها ليقع فيها المسلمون فوق الرسول في حفرة منها فأغشى
 عليه وخذشت ركبته فأخذ عليّ بيده ورفع طلحة بن عبيد الله وهما
 ممن ثبت حتى استوى قائماً فرماه عتبة بن أبي وقاص بحجر كسر رباعيته
 فتبعه حاطب بن أبي بلتعة فقتله وشجّ وجهه عليه السلام عبد الله بن
 شهاب الزهري وجرحته وجنتاه بسبب دخول حلقتي المغفر فيهما من
 ضربة ضرب به بها ابن قمئة غضب الله عليه فجاء أبو عبيدة وعالج الخلقين
 حتى نزعهما فكسرت في ذلك ثنيتاه وقال حينئذ عليه السلام كيف
 يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم فأنزل الله في سورة آل عمران (ليس لك
 من الأمر شيء) أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) وكان أول
 من عرف رسول الله بعد هذه الدهشة كعب بن مالك الأنصاري
 فننادى يا معشر المسلمين ابشروا فأشار إليه الرسول أن اصمت ثم سار
 بين سعد بن أبي وقاص وسعد بن عباد يريد الشعب ومعه جمع
 منهم أبو بكر وعمر وعلي وطاحه والزبير والحارث بن الصمة وأقبل عليه
 إذ ذاك عثمان بن عبد الله بن المغيرة يقول أين محمد لا نجوت ان نجنا
 فعثر به فرسه ووقع في حفرة فمشى إليه الحارث بن الصمة وقتله ولما وصل
 الشعب جاءت فاطمة فغسلت عنه الدم وكان عليّ يسكب الماء ثم أخذت

قطعة من حصير فأحرقها ووضعتها على الجرح فاستمسك الدم ثم أراد عليه
 السلام أن يعلو الصخرة التي في الشعب فلم يمكنه القيام لكثرة ما نزل
 من دمه فحمله طلحة بن عبيد الله حتى أصعده فنظر الى جماعة من
 المشركين على ظهر الجبل فقال لا ينبغي لهم أن يعلونا اللهم لا قوة لنا الا
 بك ثم أرسل اليهم عمر بن الخطاب في جماعة فأنزلوهم (وقد) أصاب
 المسلمين الذين كانوا يحوطون رسول الله كثير من الجراحات لأن
 الشخص منهم كان يتلقى السهم خوفاً أن يصل للرسول فوجد بطلحة
 نيف وسبعون جراحة وشلت يده وأصاب كعب بن مالك سبع عشرة
 جراحة أما القتلى فكانوا نيفاً وسبعين منهم ستة من المهاجرين والباقيون
 من الأنصار (ومن) المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير
 ومن الأنصار حنظلة بن أبي عامر وعمرو بن الجموح وابنه خلاد بن
 عمرو وأخو زوجته والد جابر بن عبد الله فأنت زوج عمرو هند بنت
 حرام وحملهم زوجها وابنها وأخاها على بعير لتدقهم بالمدينة فنهي عليه
 السلام عن الدفن خارج أحد فرجموا (وقتل) سعد بن الربيع وأرسل
 عليه السلام من يأتيه بخبره فوجده بين القتلى وبه رمق فقبيل له ان
 رسول الله يسأل عنك فقال لمبلغه قل لقومي يقول لكم سعد بن الربيع
 الله الله وما عاهدتم عليه رسوله ليلة العقبة فوالله ما لكم عندي عذر
 (وقتل) أنس بن النضر عم أنس بن مالك فانه لما سمع بقتل رسول الله

قال يا قوم ما تصنعون بالبقاء بعده موتوا على ما مات عليه اخوانكم فلم
 يزل يقاتل حتى قتل رضى الله عنه ومثلت قریش بقتلى أحد حتى أن
 هنداً زوج أبي سفيان بقرت بطن حمزة وأخذت كبده لتأكلها فلا كتبها
 ثم أرسلتها وفعلاوا قريباً من ذلك باخوانه الشهداء (ثم) ان أبا سفيان
 صعد الجبل ونادى بأعلى صوته نسيتمت فعال ان الحرب سجال يوم
 بيوم بدر وموعدكم بدر العام المقبل ثم قال انكم ستجدون في قتلاكم مثله
 لم أمر بها ولم تسؤني . ثم ان المشركين رجعوا الى مكة ولم يرجعوا على
 المدينة وهذا مما يدل على أن المسلمين لم يهزموا في ذلك اليوم والا لم
 يكن بد من تعقب المشركين لهم حتى يغيروا على مدينتهم . ثم تفقد
 عليه السلام القتلى وحزن على عمه حمزة حزناً شديداً ودفن الشهداء كلهم
 بأحد كل شهيد بثوبه الذي قتل فيه وكان يدفن الرجلين والثلاثة
 في لحد واحد لما كان عليه المسلمون من التعب فكان يشق عليهم أن
 يحفروا لكل شهيد حفرة (ولما) رجع المسلمون الى المدينة سخر بهم
 اليهود والمنافقون وأظهروا ما في قلوبهم من البغضاء وقالوا لاخوانهم (لو
 كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا)

وهذا الذي ابتلي به المسلمون درس مهم لهم يذكرهم بأمرين
 عظيمين تركهما المسلمون فأصيبوا (أولهما) طاعة الرسول في أمره فقد
 قال للرماة لا تبرحوا من مكانكم ان نحن نصرنا أو قهرنا فعضوا أمره

ونزلوا (الثاني) أن تكون الأعمال كلها لله غير منظور فيها لهذه الدنيا التي كثيراً ما تكون سبباً في مصائب عظيمة وهؤلاء أرادوا عرض الدنيا والهوا بالغنائم حتى عوقبوا وفي ذلك أنزل الله في سورة آل عمران التي فصلت غزوة أحد (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسبونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما يحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) فسبب هذا الابتلاء التنازع فينبغي الاتفاق . والفشل فينبغي الثبات . والعصيان فينبغي طاعة الرئيس تسأل الله التوفيق

﴿ غزوة حمراء الأسد ﴾

لما رجع عليه السلام الى المدينة أصبح حذرًا من رجوع المشركين الى المدينة ليتمموا انتصارهم فنادى في أصحابه بالخروج خلف العدو وأن لا يخرج إلا من كان معه بالأمس فاستجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرع فضمدوا جراحاتهم وخرجوا واللواء معقود لم يحل فأعطاه علي بن أبي طالب وولى على المدينة ابن أم مكتوم ثم سار الجيش حتى وصلوا حمراء الأسد (١) وقد كان ما ظنه الرسول حقاً فان المشركين

(١) موضع على ثمانية أميال من المدينة في طريق مكة

تلاوموا على ترك المسلمين من غير شن الغارة على المدينة حتى يتم لهم النصر
فأصروا على الرجوع ولكن لما بلغهم خروج الرسول في أثرهم ظنوا
أنه قد حضر معه من لم يحضر بالأمس وألقى الله الرعب في قلوبهم
فمادوا في سيرهم الى مكة وظفر عليه السلام وهم في حمراء الأسد بأبي
عزة الشاعر الذي من عليه بيدر بعد أن تعهد أن لا يكون على المسلمين
فأمر بقتله فقال يا محمد أقلني وامنن عليّ ودعني لبناتي وأعطيك عهداً
أن لا أعود لمثل ما فعلت فقال عليه السلام لا والله لا تمسح عارضيك
بمكة تقول خدعت محمداً مرتين (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)
أضرب عنقه يا زيد فضرب عنقه وفي هذا تأديب عظيم من صاحب
الشرع الشريف فان الرجل الذي لا يحترز مما أصيب منه ليس بعاقل
فلا بد من الحزم لاقامة دعائم الملك

﴿ حوادث ﴾

وفي هذه السنة زوج عليه السلام بنته أم كلثوم لعثمان بن عفان
بعد أن ماتت رقية عنده ولذلك كان يسمى ذا النورين (وفيها) تزوج
عليه السلام حفصة بنت عمر بن الخطاب وأمها أخت عثمان بن مظعون
وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه فتوفي عنها
بجراحة أصابته بيدر (وفيها) تزوج عليه السلام زينب بنت خزيمة

الهلالية من بني هلال بن عامر كانت تدعى في الجاهلية أم المساكين
لأقربها واحسانها اليهم وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها
بأحد وهي أخت ميمونة بنت الحارث لأُمها (وفيها) ولد الحسن بن
علي رضي الله عنهما (وفيها) حرمت الخمر وكان تحريمها بالتدريج لما
كان عليه العرب من المحبة الشديدة لها فيصعب إذا تحريمها دفعة
واحدة وكان ذلك التحريم تابعا لحوادث تنفر عنها لأن المنكر اذا أسند
تحريمه لحادثة أقرّ الجميع على تقييدها كان ذلك أشد تأثيرا في النفس
فأول ما بين فيها قوله تعالى في سورة البقرة (يسئلونك عن الخمر والميسر
قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس) فنفع الميسر التصديق بربحه على
الفقراء كما كانت عادة العرب ومنفعة الخمر تقوية الجسم ولما شربها بعض
المسلمين وخلط في القراءة حرمت الصلاة على السكران فقال تعالى في
سورة النساء (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى
تعلموا ما تقولون) ولما حدث من شربها اعتداء بعض المسلمين على
أخوانهم حرمت قطعياً بقوله تعالى في سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا
إنما الخمر والميسر والأنصاب (١) والأزلام (٢) رجس من عمل الشيطان

(١) هي حجارة تصب عليها دماء الذبح وتعبد (٢) هي القداح
التي كانوا يستسمون بها وفي قرن الخمر والميسر بالأنصاب والأزلام
نهاية التنفير ولذلك قال عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن

فاجتنبوه لعلمكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم
متهنون) وقد أجاب المسلمون على ذلك بقولهم انهم انما فليجب المسلمون الآن

﴿ السنة الرابعة ﴾

في بدء السنة الرابعة بلغ رسول الله أن طليحة وسلمة ابني خويلد
الأسديين يدعوان قومهما بني أسد لحربه عليه السلام فدعا أباسلمة بن
عبد الأسد المخزومي وعقد له لواء وقال له سر حتى تنزل أرض بني
أسد بن خزيمه فأغر عليهم وأرسل معه رجلاً فسار في هلال المحرم حتى
بلغ قطناً (١) فأغار عليهم فهربوا عن منازلهم ووجد أبو سلمة إبلاً وشاء
فأخذها ولم يلق حرباً ورجع بعد عشرة أيام من خروجه (وفي) بدنها
أيضاً بلغه عليه السلام أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي المقيم
بعرنة (٢) يجمع الجوع لحربه فأرسل له عبد الله بن أنيس الجهني
وحده ليقتله فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول حتى
يتمكن فأذن له وقال انتسب لخزاعة فخرج لحس خلون من المحرم ولما
وصل اليه قال له سفيان ممن الرجل قال من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد

(١) جبل لبني أسد بناحية فيد شرق المدينة

(٢) موضع قريب من عرفات

فجئت لأكون معك فقال له أجل اني اني الجمع له فمشى عبد الله معه
 وحدثه وسفيان يستحلي حديثه فلما انتهى الى خبائه تفرق الناس عنه
 فجلس معه عبد الله حتى نام فقام وقتله ثم ارتحل حتى أتى المدينة ولم
 يلحقه الطلب وكفى الله المؤمنين القتال

﴿ سرية ﴾

وفي صفر أرسل عليه الصلاة والسلام عشرة رجال عيوناً على
 قريش مع رهط عضل والقارة الذين جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يطلبون من يفقههم في الدين وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري
 فخرجوا يسرون الليل ويكتمون النهار حتى اذا كانوا بالرجيع (١) غدر
 بهم أولئك الرهط ودلوا عليهم هذيلاً قوم سفيان بن خالد الهذلي الذي
 كان قتله عبد الله بن أنيس فنفروا اليهم فيما يقرب من مائتي رام
 واقتفوا آثارهم حتى قربوا منهم فلما أحس بهم رجال السرية لجؤا الى
 جبل هناك فقال لهم الأعداء انزلوا ولكم العهد أن لا تقتلكم فنزل اليهم
 ثلاثة اغتروا بعهدهم وقتلهم الباقون ومعهم عاصم غير راضين بالنزول في
 ذمة مشرك ولما رأى الثلاثة الذين سلموا عين الغدر امتنع أحدهم فقتلوه
 وأما الاثنان فباعوهما بمكة ممن كان له نار عند المسلمين وهناك قتلا

(١) ماء لبني هذيل بين مكة وعسفان

وقد قال أحدهما وهو خبيب بن عدي حين أرادوا قتله
 واست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي
 وذلك في ذات الاله وان يشأ يبارك على أوصال شلو همزع

﴿ سرية ﴾

في صفر وفد على رسول الله أبو عامر بن مالك ملاعب الأسننة
 وهو من رؤس بني عامر فدعاه عليه السلام الى الاسلام فلم يسلم ولم
 يبعد بل قال اني أرى أمرك هذا حسناً شريفاً ولو بعثت معي رجالاً
 من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك
 فقال عليه السلام اني أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو عامر أنا لهم جار
 فأرسل معه المنذر بن عمرو في سبعين من أصحابه كانوا يسمون القراء
 لكثرة ما كانوا يحفظون من القرآن فساروا حتى نزلوا بئر معونة (١)
 فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب الى عامر بن الطفيل سيد بني عامر فلما
 وصل اليه لم يلتفت الى الكتاب بل عدا على حرام فقتله ثم استصرخ
 على بقية البعثة أصحابه من بني عامر فلم يرضوا أن يخفروا جوار ملاعب
 الأسننة فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم وهم رعل وذكوان وعصية

(١) شرقي المدينة بين أرض بني عامر وحره بني سليم

فأجابوه وذهبوا معه حتى اذا التقوا بالقراء أحاطوا بهم وقتلوهم حتى
قتلوه عن آخرهم بعد دفاع شديد لم يجدهم نفعا لقله عددهم وكثرة
عدوهم ولم ينج الا كعب بن زيد وقع بين القتلى حتى ظن أنه منهم
وعمر بن أمية كان في سرح القوم وأبلغ عليه السلام خبر القراء فخطب
في أصحابه وكان فيما قال (ان اخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم وانهم
قالوا ربنا بلغ قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضينا عنه ورضى عنا) وكان
وصول خبر هذه السرية وسرية الرجيع في يوم واحد فحزن عليهم صلى
الله عليه وسلم حزنا شديدا وأقام يدعو على الغادرين بهم شهرا في الصلاة

﴿ غزوة بني النضير ﴾

يا لله ما أسوأ عاقبة الطيش فقد تكون الأمة مرتاحة البال هادئة
الجواطر حتى تقوم جماعة من رؤسائها بعمل غدر يظنون من ورائه النجاح
فيجلب عليهم الشرور ويشتمهم من ديارهم وهذا ما حصل ليهود بني
النضير حلفاء الخزرج الذين كانوا يجاورون المدينة فقد كان بينهم وبين
المسلمين عهد يأمن بها كل منهم الآخر ولكن بنو النضير لم يوفوا
بهذه العهد حسدا منهم وبغيا فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعض من أصحابه في ديار بني النضير اذا ائتم جماعة منهم على قتله بأن
يأخذ أحد منهم صخرة ويلقيها عليه من علو فاطلع عليه السلام على

قصدهم فرجع وتبعه أصحابه ثم أرسل لهم محمد بن مسلمة يقول لهم اخرجوا
 من بلادى فقد همتم بما همتم من الغدر (إذ الحزم كل الحزم أن
 لا يتهاون الانسان مع من عرف منه الغدر) فهياً القوم للرحيل فأرسل
 لهم اخوانهم المنافقون يقولون لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم (لئن
 أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلم لنصرنكم
 والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا
 لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون) ولكن
 اليهود طمعوا بهذا الوعد وتأخروا عن الجلاء فأمر عليه السلام بالتهيؤ
 لقتالهم فلما اجتمع الناس خرج بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم
 وأعطى رايته علياً أما بنو النضير فتحصنوا في حصونهم وظنوا أنها
 مانعتهم من الله فحاصرهم عليه السلام ست ليال ثم أمر بقطع نخيلهم
 ليكون أدعى الى تسليمهم فخذف الله في قلوبهم الرعب ولم يروا من
 عبد الله بن أبي مساعدة بل خذلهم كما خذل بني قينقاع من قبلهم
 فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دماهم وأن لهم ما حملت
 الإبل من أموالهم الا آلة الحرب ففعل وصار اليهود يخربون بيوتهم
 بأيديهم كيلا يسكنها المسلمون ولما سار اليهود نزل بعضهم بخيبر ومنهم
 أكبرهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق ومنهم من سار الى
 أذرعات بالشام وأسلم منهم اثنان يامين بن عمرو وأبو سعد بن وهب ولم

بخمس رسول الله ما أخذ من بني النضير فانه فيء لم يوجف عليه بخيل
 ولا ركاب ومثل هذا يكون لمعدات الحرب وللرسول يطعم منه أهله
 ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كما قال تعالى في سورة
 الحشر (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لله وللرسول ولذوي
 القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء
 منكم) فأعطى عليه السلام من هذا الفيء فقراء المهاجرين الذين أخرجوا
 من ديارهم وأموالهم وردوا لآخوانهم من الأنصار ما كانوا قد أخذوه
 منهم أيام هجرتهم وأخذ عليه السلام أرضاً يزرعها ويدخر منها قوت
 أهله عاماً

﴿ غزوة ذات الرقاع ﴾

وفي ربيع الآخر بلغه عليه السلام أن قبائل من نجد يتهيئون لحربه
 وهم بنو محارب وبنو ثعلبة فتجهز لهم وخرج في سبعمائة مقاتل وولى على
 المدينة عثمان بن عفان ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا ديار القوم فلم يجدوا
 فيها أحداً غير نسوة فأخذهن فبلغ الخبر رجالهم فخافوا وتفرقوا في رؤوس
 الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاؤا للحرب فتقارب الناس وأخاف بعضهم
 بعضاً ولما حانت صلاة العصر وخاف عليه السلام أن يغدر بهم الأعداء
 وهم يصلون صلى بالمسلمين صلاة الخوف فألقى الله الرعب في قلوب

الأعداء وتفرقت جموعهم خائفين منه صلى الله عليه وسلم
ومال الامام البخاري الى أن هذه الغزوة كانت في السنة السابعة
وأجمع أهل السير على خلافه

﴿ غزوة بدر الآخرة ﴾

لما أهل شعبان هذا العام كان موعد أبي سفيان فانه بعد اتقضاء
غزوة أحد قال للمسلمين موعدنا بدر العام المقبل فأجابه الرسول الى
ذلك وكان بدر محل سوق تعقد كل عام للتجارة في شعبان يقيم التجار
فيه ثمانياً فلما حل الأجل وقريش مجدبون لم يتمكن أبو سفيان من
الايفاء بوعدته فأراد أن يخذل المسلمين عن الخروج كيلا يوسم بخلف
الوعد فاستأجر نعيم بن مسعود الأشجعي ليأتي المدينة ويرجف بما
جمعه أبو سفيان من الجوع العظيمة فقدم نعيم المدينة وقال للمسلمين
(ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم
الوكيل) ولم يلتفت عليه السلام لهذا الارجاف اتكلاً على ربه بل خرج
بألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف على المدينة عبد الله بن عبد الله
ابن أبي ولم يزلوا سائرين حتى أتوا بدرًا فلم يجسدوا بها أحدًا لأن أبا
سفيان أشار على قريش بالخروج على نية الرجوع بعد مسير ليلة أو
ليلتين ظاناً أن إرجاف نعيم يفيد فيكون الخلف هم المسلمون فسار حتى

أتى مجنة وهي سوق معروفة من ناحية مر الظهران فقال لقومه ان هذا عام جذب ولا يصلحنا إلا عام عشب فارجعوا أما المسلمون فأقاموا يسدر لا يشاركهم في تجارته أحد (فاتقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوءٌ واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) ولما سمع بذلك صفوان بن أمية قال لأبي سفيان قد والله نهيتك أن تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأوا أنا أخلفناهم

﴿ حوادث ﴾

وفي هذا العام ولد الحسين بن علي (وفيه) توفيت زينب بنت خزيمة أم المؤمنين (وفيه) توفي أبو سلمة رضی الله عنه ابن عمه رسول الله وأخوه من الرضاعة وأول من هاجر الى الحبشة (وفيه) تزوج عليه السلام أم سلمة هنداً زوج أبي سلمة بعد وفاته

﴿ السنة الخامسة غزوة دومة الجندل ﴾

في ربيع الأول من هذا العام بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من الأعراب بدومة الجندل (١) يظلمون من مرتبهم وأنهم يريدون الدنو من المدينة فتجهز لغزوهم وخرج في ألف من أصحابه بعد أن ولي

(١) مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين طيبة خمس

على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ولم يزل يسير الليل ويكن النهار حتى قرب منهم فلما بلغهم الخبر تفرقوا فهجم المسلمون على ماشيتهم ورعاتهم فأصيب من أصيب وهرب من هرب ثم نزل بساحتهم فلم يلق أحداً وبث السرايا فلم تجد منهم أحداً فرجع عليه السلام غانماً وصالح وهو عائد عينة بن حصن الفزاري وهو الذي كان يسميه عليه السلام الأحمق المطاع لأنه كان يتبعه ألف قناة وأقطعه عليه السلام أرضاً يرعى فيها بهمه على بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة لأن أرضه كانت قد أجدبت

﴿ غزوة بني المصطلق ﴾

في شعبان بلغه عليه السلام أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق الذين ساعدوا قريشاً على حرب المسلمين في أحد يجمع الجموع لحربه فخرج له عليه السلام في جمع كثير وولى على المدينة زيد بن حارثة وخرج معه من نسائه عائشة وأم سلمة وخرج معه ناس من المنافقين لم يخرجوا قط في غزوة قبلها يرجون أن يصيبوا من عرض الدنيا وفي أثناء مسيره عليه السلام التقى بعين بني المصطلق فسأله عن أحوال العدو فلم يجب فأمر بقتله . ولما بلغ الحارث رئيس الجيش مجيء المسلمين لحربه وأنهم قتلوا جاسوسه خاف هو وجيشه خوفاً شديداً حتى تفرق عنه

بعضهم ولما وصل المسلمون الى المريسيع (١) تصاف الفريقان للقتال بعد أن عرض عليهم الاسلام فلم يقبلوا فتراموا بالنبل ساعة ثم حمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد فلم يتركوا لرجل من عدوهم مجالاً للهرب بل قتلوا عشرة منهم وأسروا باقيهم مع النساء والذرية واستاقوا الابل والشاء وكانت الابل ألفي بعير والشاء خمسة آلاف استعمل الرسول على ضبطها مولاة شقران وعلى الأسرى بريدة وكان في نساء المشركين برة بنت الحارث سيد القوم وقد أخذ من قومها مئتا بيت أسرى وزعت على المسامين وهنا يظهر حسن السياسة ومنتهى الكرم فان بني المصطلق من أعز العرب داراً فأسر نساءهم بهذه الحال صعب جداً فأراد عليه السلام أن يجعل المسامين يمتنون على النساء بالحرية من تلقاء أنفسهم فزوج برة بنت الحارث التي سماها جويرية فقال المسلمون أصهار رسول الله لا ينبغي أسرهم في أيدينا فنوا عليهم بالعتق فكانت جويرية أئمن امرأة على قومها كما قالت عائشة رضی الله عنها وتسبب عن هذا الكرم العظيم وهذه المعاملة الجميلة أن أسلم بتو المصطلق عن بكرة أبيهم وكانوا للمسلمين بعد أن كانوا عليهم (وقد) حصل في هذه الغزوة نادرتان لولا أن صاحبتهما حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعادت بالتفريق على المسامين (فأولاهما) أن أجيراً لعمر بن الخطاب

اختصم مع حليف للخزرج فضرب الأجير الحليف حتى سال دمه
 فاستصرخ بقومه الخزرج واستصرخ الأجير بالمهاجرين فأقبل الذعر
 من الفريقين وكادوا يقتتلون لولا أن خرج عليهم رسول الله فقال
 ما بال دعوى الجاهلية (وهي ما يقال في الاستغاثة يا فلان) فأخبر
 الخبر فقال دعوا هذه الكلمة فانها منتنة ثم كلم المضروب حتى أسقط
 حقه وبذلك سكنت الفتنة فلما بلغ عبد الله بن أبي هذا الخصام غضب
 وكان عنده رهط من الخزرج فقال ما رأيت كاليوم مذلة أو قد فعلوها
 نافرونا في ديارنا والله ما نحن والمهاجرون إلا كما قال الأول سمن كلبك
 يأكلك أما والله (لئن رجعنا الى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها
 الأذلَّ) ثم التفت الى من معه وقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم
 بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتهم عنهم بأيديكم لتحوّلوا
 الى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم غرضاً للمنايا دون
 محمد فأيتتم أولادكم وقلتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من
 عنده وكان في مجلسه شاب حديث السن قويّ الاسلام اسمه زيد بن
 أرقم فأخبر رسول الله الخبر فتغير وجهه وقال يا غلام لعلك غضبت عليه
 فقلت ما قلت فقال والله يا رسول الله لقد سمعته قال لعله أخطأ سمعك
 فاستأذن عمر الرسول في قتل ابن أبي أو أن يأمر أحداً غيره بقتله
 فقهاه عن ذلك وقال كيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه

ثم أذن بالرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه حين اشتد الحرّ يقصد بذلك عليه السلام شغل الناس عن التكلم في هذا الموضوع فجاء أسيد بن حضير وسأله عن سبب الارتحال في هذا الوقت فقال أو ما بلغك ما قال صاحبكم زعم أنه ان رجع الى المدينة ليخرجنّ الأعرس منها الأذلّ قال أنت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم سار عليه السلام بالناس سيراً حثيثاً حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض حتى وقعوا نياماً وكلم رجال من الأ نصار عبد الله بن أبي في أن يطلب من الرسول الاستغفار فلوى رأسه واستكبر وهنا نزل على الرسول سورة المنافقين التي فضحت عبد الله بن أبيّ واخوانه وصدقت زيد بن أرقم ولما بلغ ذلك عبد الله ابن عبد الله بن أبيّ استأذن رسول الله في قتل أبيه حذراً من أن يكلف بذلك غيره فيكون عنده من ذلك أضعاف وأحقاد فأمره عليه السلام بالاحسان الى أبيه

﴿ حديث الافك ﴾

(النادرة الثانية) وهي أفضع من الأولى وأجلب منها للمصائب وهي رمى عائشة الصديقة زوج رسول الله بالافك فاتهموها بصفوان بن المعطل السلمي وذلك أنهم لما دنوا من المدينة أذن عليه السلام لييلة

بالرحيل وكانت السيدة قد مضت لقضاء حاجتها حتى جاوزت الجيش
 فلما قضت شأنها أقبلت الى رحلها فلمست صدرها فاذا عقد لها من
 جزع ظفار قد انقطع فرجعت تلمس عقدها فخبسها ابتغائه فأقبل
 الرهط الذين كانوا يرحلون فاحتملوا هودجها ظانين أنها فيه لأن النساء
 كنن إذ ذاك خفافاً لم يغشهن اللحم فلم يستنكر القوم خفة الهودج وكانت
 عائشة جارية حديثة السن فجاءت منزل الجيش بعد أن وجدت عقدها
 وليس بالمنزل داع ولا مجيب فغلبها عيناها فنامت وكان الذي يسير
 وراء الجيش يفتقد ضائعه صفوان بن المعطل فأصبح عند منزلها فعرفها
 لأنه كان رآها قبل الحجاب فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه وستر
 وجهها بجلبابها فأناخ راحته وأركبها من غير أن يتكلم بكلمة ثم انطلق
 يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل للراحة فقامت قيامة أهل
 الافك وقالوا ما قالوا في عائشة وصفوان والذي تولى كبر الافك عبد الله
 ابن أبيّ ولما قدموا المدينة مرضت عائشة شهراً والناس يفيضون في قول
 أهل الافك وهي لا تشعر بشيء وكانت تعرف في رسول الله رقة اذا
 مرضت فلم يعطها نصيباً منها في هذا المرض بل كان يمر على باب الحجر
 لا يزيد على قوله كيف حالكم مما جعلها في ريب عظيم فلما نقهت
 خرجت هي وأم مسطح بن أثانة أحد أهل الافك للتبرز خارج البيوت
 فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقالت عائشة بتس

ما قلت أتسمين رجلاً شهد بدرًا فقالت يا هنتاه أو لم تسمعي ما قالوا
 فسألته عائشة عن ذلك فأخبرتها الخبر فازدادت مرضاً على مرضها ولما
 جاءها عليه السلام كعادته استأذنته أن تمرض في بيت أبيها فأذن لها
 فسألت أمها عما يقول الناس فقالت يا بنية هوّني عليك فوالله لقلما
 كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها
 فقالت عائشة سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا وبكت تلك الليلة
 حتى أصبحت لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم وفي خلال ذلك كان
 عليه السلام يستشير كبار أهل بيته فيما يفعل فقال له أسامة بن زيد لما
 يعلمه من براءة عائشة أهلك أهلك ولا نعلم عليهم إلا خيراً وقال علي
 ابن أبي طالب لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية
 تصدقك فدعا عليه السلام بريرة جارية عائشة وقال لها هل رأيت من
 شيء يريبك فقالت والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه
 غير أنها جارية حديثثة السن تنام عن عجينها فتأتي الداجن فتأكله
 فقام عليه السلام من يومه وصعد المنبر والمسلمون مجتمعون وقال من
 يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا
 خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما يدخل على أهلي
 إلا معي فقال سعد بن معاذ أنا يا رسول الله أعذرك منه فإن كان من
 الأوس ضربت عنقه وإن كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا

أمرك فقام سعد بن عبادة الخزرجي وقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا
 تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحبيت أنه يقتل فقام أسيد بن
 حضير وقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لتقتلنه فانك منافق تجادل
 عن المنافقين وكادت تكون فتنة بين الأوس والخزرج لولا أن رسول
 الله نزل من فوق المنبر وخفضهم حتى سكتوا أما عائشة فبقيت ليلتين
 لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم . وبينما هي مع أبوها اذ دخل النبي
 عليه السلام فسلم ثم جلس فقال أما بعد يا عائشة انه بلغني عنك كذا
 وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألمت بذنب فاستغفري
 الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف وتاب تاب الله عليه فتخلص دمع
 عائشة وقالت لأبوها أجيبا رسول الله فقالا والله ما ندري ما تقول
 فقالت اني والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر في
 أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني وان اعترفت
 لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم
 مثلاً الا أبا يوسف قال (فصبّر جميلٌ والله المستعان على ما تصفون)
 ثم تحولت واضطجعت على فراشها ولم يزاول رسول الله صلى الله عليه
 وسلم مجلسه حتى نزلت عليه الآيات من سورة النور ببراءة السيدة
 المطهرة عائشة الصديقة (ان الذين جاؤا بالافك عصبه منكم لا تحسبوه
 شرّاً لكم بل هو خير لكم لكل امري منهم ما اكتسب من الإثم

والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون
 والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين . لولا جاؤا عليه بأربعة
 شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون . ولولا فضل
 الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم .
 إذ تلقونهم بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه
 هينا وهو عند الله عظيم . ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم
 بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم . يعظكم الله أن تعودوا مثله أبداً ان
 كنتم مؤمنين . ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . ان الذين
 يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم . في الدنيا
 والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن
 الله رؤوف رحيم . يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن
 يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم
 ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء والله
 سميع عليم) فسرى عن رسول الله وهو يضحك وبشر عائشة بالبراءة
 فقالت لها أمها قومي فاشكري رسول الله فقالت لا والله لا أشكر الا
 الله الذي برأني وبعد ذلك أمر عليه السلام بأن يجلد من صرح
 بالافك ثمانين جلدة وهي حد القاذف وكانوا ثلاثة حمئة بنت جحش
 ومسطح بن أنثة وحسان بن ثابت وكان أبو بكر ينفق على مسطح بن

أثأثة لقربأته منه فلما تكلم بالالفك قطع عنه النفقة فأنزل الله (ولا يأتل
 أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين
 في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور
 رحيم) فقال أبو بكر بل نحب ذلك يا رسول الله وأعاد النفقة على مسطح
 فهذه مضار المناقين الذين يدخلون بين الأمم مظهرين لهم المحبة وقلوبهم
 مملوءة حقدًا يتر بصون الفتن فتى رأوا بأبأ لها ولجوه فنعوذ بالله منهم

﴿ غزوة الخندق ﴾

لم يقر لعطاء بني النضير قرار بعد جلاهم عن ديارهم وإرث
 المسلمين لها بل كان في نفوسهم دائماً أن يأخذوا ثارهم ويستردوا بلادهم
 فذهب جمع منهم الى مكة وقابلوا رؤساء قريش وحرصوهم على حرب
 رسول الله ومنوهم المساعدة فوجدوا منهم قبولاً لما طلبوه ثم جاؤا الى
 قبيلة غطفان وحرصوا رجالها كذلك وأخبروهم بمبايعة قريش لهم على
 الحرب فوجدوا منهم ارتياحاً فتجهزت قريش وأتباعها يرأسهم أبو سفيان
 ويحمل لواءهم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري وعددهم أربعة
 آلاف معهم ثلاثمائة فرس وألف بعير وتجهزت غطفان يرأسهم عيينة
 ابن حصن الذي جازى إحسان رسول الله كفرةً فانه كما قدمنا أقطعه
 أرضاً يرعى فيها سوائمه حتى اذا سمن خفه وحافره قام يقود الجيوش

لحرب من أنعم عليه وكان معه ألف فارس وتجهزت بنو مرة يرأسهم
الحارث بن عوف المري وهم أربعمائة وتجهزت بنو أشجع يرأسهم أبو
مسعود بن رخيالة وتجهزت بنو سليم يرأسهم سفيان بن عبد شمس وهم
سبعمائة وتجهزت بنو أسد يرأسهم طليحة بن خويلد الأسدي وعدة
الجميع عشرة آلاف محارب قائدهم العام أبو سفيان ولما بلغه عليه السلام
أخبار هاتمة التجهيزات استشار أصحابه فيما يصنع أيحكث بالمدينة أم يخرج
للقاء هذا الجيش الجرار فأشار عليه سلمان الفارسي بعمل الخندق وهو
عمل لم تكن العرب تعرفه فأمر عليه السلام المسلمين بعمله وشرعوا في
حفره شمالي المدينة من الحرة الشرقية الى الحرة الغربية وهذه هي الجهة
التي كانت عورة تؤنى المدينة من قبلها أما بقية حدودها فمشتبكة بالبيوت
والنخيل لا يتمكن العدو من الحرب جهتها وقد قاسى المسلمون صعوبات
جسيمة في حفر الخندق لأنهم لم يكونوا في سعة من العيش حتى يتيسر
لهم العمل وعمل معهم عليه الصلاة والسلام فكان ينقل التراب متمثلاً
بشعر ابن رواحة

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صاينا

فأنزلن سكينتنا علينا وثبت الأقدام ان لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا وان أرادوا فتنة أيينا

وأقام الجيش في الجهة الشرقية مسنداً ظهره الى سلع وهو جبل مطل

على المدينة وعدتهم ثلاثة آلاف وكان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة
ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة أما قريش فنزلت بمجمع الأسيال
وأما غطفان فنزلت جهة أحد وكان المشركون معجبين بمكيدة الخندق
التي لم تكن العرب تعرفها فصاروا يترامون مع المسلمين بالنبل ولما طال
المطال عليهم أكره جماعة منهم أفراسهم على اقتحام الخندق منهم
عكرمة بن أبي جهل وعمر بن ودّ وآخرون وقد برز علي بن أبي طالب
لعمر بن ودّ فقتله وهرب اخوانه وهوى في الخندق نوفل بن عبد الله
فاندقت عنقه (ورُمي) سعد بن معاذ رضى الله عنه بسهم قطع أكله
وهو شريان الذراع واستمرت المناوشة والمرامة بالنبل يوماً كاملاً حتى
فانت المسلمين صلاة ذلك اليوم وقضوها بعد وجعل عليه السلام على
الخندق حراساً حتى لا يقتحمه المشركون بالليل وكان يحرس بنفسه ثلثة
فيه مع شدة البرد وكان عليه السلام يبشر أصحابه بالنصر والظفر ويعدم
الخير أما المنافقون فقد أظهروا في هذه الشدة ما تكنه ضمائرهم حتى
قالوا (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) وانسحبوا قائلين أن بيوتنا
عورة نخاف أن يغير عليها العدو (وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا)
واشدت الحال بالمسلمين فان هذا الحصار صاحبه ضيق على فقراء
المدينة والذي زاد الشدة عليهم ما بلغهم من أن يهود بني قريظة الذين
يساكنونهم في المدينة قد انتهزوا هذه الفرصة لنقض العهد وسبب

ذلك أن حي بن أخطب سيد بني النضير المجلين توجه الى كعب بن
 أسد القرظي سيد بني قريظة وكان له كالشيطان إذ قال للالسان اكفر
 فحسن له تقض العهد ولم يزل به حتى أجابه لقتال المسلمين ولما بلغت
 هذه الأخبار رسول الله أرسل مسلمة بن أسلم في مائتين وزيد بن
 حارثة في ثلاثمائة لحراسة المدينة خوفاً على النساء والذراري وأرسل
 الزبير بن العوام يستجلي له الخبر فلما وصلهم وجدهم حائقين يظهر على
 وجوههم الشر ونالوا من رسول الله والمسلمين أمامه فرجع وأخبر الرسول
 بذلك وهنالك اشتد وجل المسلمين وزلزلوا زلزلاً شديداً لأن العدو
 جاءهم من فوقهم ومن أسفل منهم وزاغت الأبصار وبلغت القلوب
 الحناجر وظنوا بالله الظنون وتكلم المنافقون بما بدا لهم فأراد عليه السلام
 أن يرسل لعينة بن حصن ويصالحه على ثلث ثمار المدينة لينسحب
 بغطفان فأبى الأنصار ذلك قائلين انهم لم يكونوا يناولون منا قليلاً من
 ثمرنا ونحن كفار أفيعد الاسلام يشاركونا فيها . وإذا أراد الله العناية
 بقوم هياً لهم أسباب الظفر من حيث لا يعلمون فانظر الى هذه العناية من
 الله بالمتمسكين بدينه القويم . جاء نعيم بن مسعود الأشجعي وهو صديق
 حريش واليهود ومن غطفان فقال يا رسول الله اني قد أسلمت وقومي
 لا يعلمون باسلامي فبرني بأمرك حتى أساعدك فقال أنت رجل واحد
 وماذا عسى أن تفعل ولكن خذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة

﴿ الخدعة في الحرب ﴾

فخرج من عنده وتوجه الى بني قريظة الذين تقضوا عهود المسلمين
 فلما رأوه أكرموه لصداقته معهم فقال يا بني قريظة تعرفون ودي لكم
 وخوفي عليكم واني محدثكم حديثاً فاكتموه عني قالوا نعم فقال لقد رأيتم
 ما وقع لبني قينقاع والنضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وديارهم وان قريشاً
 وغطفان ليسوا مثلكم فهم اذا رأوا فرصة اتهمزوها والا انصرفوا لبلادهم
 وأما أنتم فتساكنون الرجل (يريد الرسول) ولا طاقة لكم بحربه
 وحدكم فأرى أن لا تدخلوا في هذه الحرب حتى تستيقنوا من قريش
 وغطفان أنهم ان يتركوكم وينهبوا الى بلادهم بأن تأخذوا منهم رهائن
 سبعين شريفاً منهم فاستحسنوا رأيه وأجابوه الى ذلك ثم قام من عندهم
 وتوجه الى قريش فاجتمع برؤسائهم وقال أنتم تعرفون ودي لكم ومحبتي
 إياكم واني محدثكم حديثاً فاكتموه عني قالوا نفعل فقال لهم ان بني
 قريظة قد ندموا على ما فعلوه مع محمد وخافوا منكم أن ترجعوا وتتركوهم
 معه فقالوا له أيرضيك أن تأخذ جمعاً من أشرفهم ونعطيهم لك وترد
 جناحنا الذي كسرت (يريد بني النضير) فرضي بذلك منهم وهامهم
 مرسلون اليكم فاحذروهم ولا تذكروا مما قلت لكم حرفاً ثم أتى غطفان
 فأخبرهم بمثل ما أخبر به قريشاً فأرسل أبو سفيان وفدًا لقريظة يدعوهم

للقتال غدًا فأجابوا انا لا يمكننا أن نقاتل في السبت (وكان ارساله لهم
 ليلة السبت) ولم يصبنا ما أصابنا الا من التعدي فيه ومع ذلك فلا نقاتل
 حتى تعطونا رهائن منكم حتى لا تتركونا وتذهبوا الى بلادكم فتحققت
 قريش وغطفان كلام نعيم بن مسعود وتفرقت القلوب فخاف بعضهم
 بعضاً وكان عليه السلام قد ابتهل الى الله الذي لا ملجأ الا اليه ودعاه
 بقوله (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم
 اهزمهم وانصرنا عليهم) وقد أجاب الله دعاه عليه السلام فأرسل على
 الأعداء ريحاً باردة في ليلة مظلمة فخاف العرب أن تتفق اليهود مع
 المسلمين ويهجموا عليهم في الليلة المدممة فأجمعوا أمرهم على الرحيل
 قبل أن يصبح الصباح . ولما سمع عليه السلام الضوضاء في جيش العدو
 قال لأصحابه لا بد من حادث فمن منكم ينظر لنا خبر القوم فسكتوا حتى
 كرر ذلك ثلاثاً وكان فيهم حذيفة بن اليمان فقال عليه السلام تسمع
 صوتي منذ الليلة ولا تجيب فقال يا رسول الله البرد شديد فقال اذهب
 في حاجة رسول الله واكشف لنا خبر القوم فخاطر رضي الله عنه بنفسه
 في خدمة نبيه حتى اطلع على جلية الخبر وان الأعداء عازمون على الرحلة

﴿ هزيمة الأحزاب ﴾

وقد بلغ من خوفهم أن كان رئيسهم أبو سفيان يقول لهم ليتعرف
 كل منكم أخاه ولمسك ييده حذراً من أن يدخل بينكم عدو وقد

حل عقاب بعيره يريد أن يبدأ بالرحيل فقال له صفوان بن أمية انك
 رئيس القوم فلا تتركهم وتمضى فنزل أبو سفيان وأذن بالرحيل وترك
 خالد بن الوليد في جماعة ليحموا ظهور المرتحلين حتى لا يدهموا من
 ورائهم وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة التي تحزب فيها الأحزاب
 من عرب ويهود على المسلمين ولولا لطف الله وعنايته بهذا الدين منة
 منه وفضلاً لساءت الحال . وكان جلاء الأحزاب في ذي القعدة وكان
 حتماً على الله أن يسميه نعمة بقوله في سورة الأحزاب (يا أيها الذين
 آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً
 وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً . إذ جاؤكم من فوقكم ومن
 أسفل منكم واذ زاجت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله
 الظنوننا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً . واذ يقول المنافقون
 والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً . واذ قالت
 طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم
 النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا)

﴿ غزوة بني قريظة ﴾

ولما رجع عليه السلام بأصحابه وأراد أن يخلع لباس الحرب أمره الله
 بالحقق ببني قريظة حتى يظهر أرضه من قوم لم تعد تنفع معهم اليهود

ولا تربطهم المواثيق ولا يأمن المسلمون جانبهم في شدة فقال لأصحابه
لا يصلين أحد منكم العصر الا في بني قريظة فساروا مسرعين وتبعهم
عليه السلام راكباً على حماره ولواؤه بيد علي بن أبي طالب وخليفته على
المدينة عبد الله ابن أم مكتوم وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف وقد
أدرك جماعة من الأصحاب صلاة العصر في الطريق فصلاها بعضهم
حاملين أمر الرسول بعدم صلاتها على قصد السرعة ولم يصلها الآخرون
الا في بني قريظة بعد مضي وقتها حاملين الأمر على حقيقته فلم يعنف
فريقاً منهم ((ولما)) رأى بنو قريظة جيش المسلمين ألقى الله الرعب
في قلوبهم وأرادوا التنصل من فعلتهم القبيحة وهي الغدر بمن عاهدوهم
وقت الشغل بعدوا آخر ولكن أنى لهم ذلك وقد ثبت للمسلمين غدرهم
فلما رأوا ذلك تحصنوا بحصونهم وحاصروهم المسلمون خمسا وعشرين
ليلة فلما رأوا أن لا مناص من الحرب وانهم ان استمروا على ذلك ماتوا
جوعاً طلبوا من المسلمين أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير من
الجلاء بالأموال وترك السلاح فلم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم
فطلبوا أن يجلو بأنفسهم من غير سلاح فلم يرض أيضاً بل قال لا بد
من النزول والرضا بما يحكم عليهم خيراً كان أو شراً فقالوا له ارسل لنا
أبا لبابة نستشيره وكان أوسياً من حلفاء قريظة له بينهم أولاد وأموال
فلما توجه اليهم استشاروه في النزول على حكم الرسول فقال لهم انزلوا

وأوما بيده الى حلقه يريد ان الحكم الذبح . ويقول أبو لبابة لم أبارح
موقفي حتى علمت أني خنت الله ورسوله فنزل من عندهم قاصداً المدينة
خبلاً من مقابلة رسول الله وربط نفسه في سارية من سواري المسجد
حتى يقضي الله فيه أمره . ولما سأل عنه عليه السلام أخبر بما فعل فقال
أما انه لو جاءني لاستغفرت له أما وقد فعل ما فعل فتركه حتى يقضي
الله فيه . ثم ان بني قريظة لما لم يروا بدءاً من النزول على حكم رسول الله
فعلوا فأمر برجلهم فكتفوا فجاءه رجال من الأوس وسألوه أن يعاملهم
كما عامل بني قينقاع حلفاء اخوانهم الخزرج فقال لهم ألا يرضيكم أن
يحكم فيهم رجل منكم فقالوا نعم واختاروا سيدهم سعد بن معاذ الذي كان
جريحاً من السهم الذي أصيب به في الخندق وكان مقبلاً بخيمة في المسجد
معدة لمعالجة الجرحى فأرسل عليه السلام من يأتي به فحملوه على حماره
والتف عليه جماعة من الأوس يقولون له أحسن في مواليك ألا ترى
ما فعل ابن أبي في مواليه فقال رضى الله عنه لقد آن لسعد أن لا تأخذه
في الله لومة لائم . ولما أقبل على الرسول وأصحابه وهم جلوس قال عليه
السلام قوموا الى سيدكم فأنزلوه ففعلوا وقالوا له ان رسول الله قد ولاك
أمر مواليك لتحكم فيهم وقال له الرسول احكم فيهم يا سعد فالتفت
سعد للناحية التي ليس فيها رسول الله وقال عليكم عهد الله وميثاقه أن
الحكم كما حكمت فقالوا نعم فالتفت الى الجهة التي فيها الرسول وقال

وعلى من هنا كذلك وهو غاضبٌ طرفه إجلالاً فقالوا نعم قال فاني أحكم
أن تقتل الرجال وتسبي النساء والذرية فقال عليه السلام (لقد حكمت
فيهم بحكم الله يا سعد) لأن هذا جزء الخائن الغادر ثم أمر بتنفيذ
الحكم فنفذ عليهم وجمعت غنائمهم فكانت ألفاً وخمسمائة سيف وثلثمائة
درع وألفي رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجد أثاثاً كثيراً وآنية وأجمالاً
نواضح وشياهاً فخمس ذلك كله مع النخل والسبي للراجل ثلث الفارس
وأعطى النساء اللاتي كن يمرضن الجرحى ووجد في الغنيمة جرار خمر
فأريقت . وبعد تمام هذا الأمر انفجر جرح سعد بن معاذ فمات رضي
الله عنه وأرضاه كان في الأ نصار كأبي بكر في المهاجرين وقد كان له
العزم الثابت في جميع المشاهد التي تقدمت الخندق وكان عليه السلام
يحبه كثيراً وبشره بالجنة على عظيم أعماله (وعقب) رجوع المسلمين
الى المدينة تاب الله على أبي لبابة بقوله (وآخرون اعترفوا بذنوبهم
خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور
رحيم) وقد عاهد الله أن يهجر ديار قريظة التي حصلت له فيها هذه
الزلة وبتمام هذه الغزوة أراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين
تعودوا العذر والخيانة ولم تبق الا بقية من كبارهم بخير مع أهلها وهم
الذين كانوا السبب في اثاره الأحزاب وسيأتي للقاري قريباً اليوم
الذي يعاقبون فيه

﴿ زواج زينب بنت جحش ﴾

وفي هذا العام تزوج عليه السلام زينب بنت جحش وأمها أميمة
عمته بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة وكان من أمر زواجها لزيد
أن الرسول صلى الله عليه وسلم خطبها له فتأفف أهلها من ذلك لمكانها
في الشرف العظيم فان العرب كانوا يكرهون تزويج بناتهم من الموالي
ويعتقدون أن لا كفاء من سواهم لبناتهم وزيد وان كان الرسول
تبناه ولكن هذا لا يلحقه بالأشراف فلما نزل قوله تعالى في سورة
الأحزاب (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن
يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً)
لم يروا بدءاً من القبول فلما دخل عليها زيد أرتته من كبريائها وعظمتها
ما لم يتحمّله فاشتكلها لرسول الله فأمره باحتمالها والصبر عليها الى أن
ضاقت نفسه فأخبره بالعزم على طلاقها وكرر ذلك . ولما كانت العشرة
بين مثل هذين الزوجين ضرباً من العيث أمر الله نبيه أن يتزوج
زينب بعد طلاقها حسماً لهذا الشقاق من جهة وحفظاً لشرفها أن يضيع
بعد زواجها بمولى من جهة أخرى ولكن رسول الله خشى من لوم اليهود
والعرب له في زواجه بزواج ابنه فقال لزيد أمسك عليك زوجك واتق
الله وأخفي في نفسه ما أبداه الله فبت الله حكاه بإبطال هذه القاعدة

وهي تحريم زوج المتبني بقوله في سورة الأحزاب (فلما قضى زيد منها
وطراً زوجنا كها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم
إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً) ثم إن الله حرم التبني على
المسلمين لما فيه من الاضرار وأنزل فيه في سورة الأحزاب (ما كان
محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله
بكل شيء عليماً) ومن هذا الحين صار اسم زيد (زيد بن حارثة)
بدل (زيد ابن محمد) وأبدل بذلك أن ذكر اسمه في قرآن يتلى على
مر الدهور والأعوام . يقول المؤرخون وذوو المقاصد السافلة منهم في
هذه القصة أقوالاً لا تجوز الا على من ضاع رشده ولم يقفه حقيقة ما يقول
فانهم يذكرون أن الرسول توجه يوماً لزيارة زيد فرأى زوجه مصادفة
لأن الريح رفعت الستر عنها فوقعت في قلبه فقال سبحان الله فلما جاء
زوجها ذكرت له ذلك فرأى من الواجب عليه فراقها فتوجه وأخبر
الرسول بعزمه فنهاه عن ذلك الخ وهذا مما يكذبه أن نساء العرب لم تكن
قبل ذلك تعرف ستر الوجوه وزينب بنت عمته وأسلمت قديماً ورسول
الله بمكة فكيف لم يرها وقد مضى على اسلامها نحو عشر سنوات وهي
بنت عمته إلا حينما رفعت الريح الستر مصادفة ورسول الله هو الذي
زوجها زيداً فلو كان له فيها رغبة حب أو عشق لتزوجها هو ولا مانع
يمنعه من ذلك . ومن منا يتصور أن السيد الأكرم يقول لقومه انه

مرسل من ربه ويتلو عليهم صباح مساء أمر الله له بقوله في سورة
الحجر المكية (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم) وفي سورة
طه المكية أيضاً (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة
الحياة الدنيا) ثم هو بعد ذلك يدخل بيت رجل من متبعيه وينظر الى
زوجه مصادفة ثم يشتهي زواجها ان هذا الأمر عظيم تشعر بذلك
صدورنا ولو حدث أمر مثله من أقل الناس لعيب عليه فكيف بمن
أجمعت كلمة المؤرخين على أنه أحسن الناس خلقاً وأبعدهم عن الدنيا
وأشهدهم ذكاءً وفراسة حتى مدحه الله بقوله في سورة ن (وانك لعلى
خلق عظيم) لا شك أن هذه الخرافة مما يلتحق بخرافة الغرائق وضعها
أعداء الدين ليصلوا بها الى أغراضهم والحمد لله قد ناقضت النقل والعقل
فلم تبق شبهة في أن الحقيقة ما تقلناه لك أولاً وهو الذي يستفاد من
القرآن الشريف قال تعالى في سورة الأحزاب (واذ تقول للذي أنعم
الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك
ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها
وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا
قضوا منهنّ وطراً وكان أمر الله مفعولاً) والذي أبداه الله هو زواجه
بها ولم يبد غير ذلك وهذا القرآن أعظم شاهد

﴿ الحجاب ﴾

وفيه نزلت آية الحجاب وهو خاص بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر بن الخطاب قبل نزول آيته يحبه ويذكره كثيراً ويود أن ينزل فيه قرآن وكان يقول لو أطاع فيمكن ما رأته عين فنزل في سورة الأحزاب (وإذا سألتهم متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) فقال بعضهم أنهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمدٌ لأتزوجن عائشة فنزل بعد الآية المتقدمة (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً) أما غير أزواجه عليه السلام من المؤمنات فأمرن بغض الأَبصار وحفظ الفروج كما أمر بذلك الرجال وأمرن أن لا يبدين زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها كالخاتم في الأصبع والخضاب في اليد والكحل في العين . أما ما خفي منها فلا يحل ابدائه كالسوار للذراع والدمليج للعضد والخلخال للرجل والقلادة للعنق والاكليل للرأس والوشاح للصدر والقرط للأذن والمراد بالزينة الظاهرة والخفية مواضعها . وأمرن أيضاً بأن يضربن بخمرهن على الجيوب كيلا تبقى صدورهن مكشوفة فإن النساء إذ ذاك كانت جيوههن بواسطة تبدونها نحو رهنّ وصدورهنّ وما حوا اليها وكنّ يسدان الخمر

من ورائهن . ونهين عن أن يضربن بأرجلهن ليعلم أنهن ذوات خلخال
 وإذا كان النهي عن اظهار صوت الحلى بعد ما نهين عن اظهار الحلى
 علم بذلك أن النهي عن اظهار مواضع الحلى أبلغ وأبلغ قال تعالى في
 سورة النور (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن
 ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا
 يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناء
 بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نساءهن أو
 ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل
 الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين
 من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) (وكان
 النساء في أول الاسلام كما كن في الجاهلية متبدلات تبرز المرأة في درع
 وخمار لا فرق بين الحرة والأمة وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون
 للاماء اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان وربما
 تعرضوا للحرة بعله الأمة يقولون حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن بزهن
 عن زى الاماء بأن يدين عليهن من جلايبهن ليغطي الوجه والأعطاف
 ليحتشمن ويهين فلا يطمع فيهن طامع قال تعالى في سورة الاحزاب
 (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من
 جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً)

(أما) حجب المرأة عمن يريد خطبتها فهو أمر لم يكن يفعل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد السلف الصالح فان الشارع الحكيم سن ذلك ليكون الرجل على علم مما يقدم عليه حتى يتم الوفاق والوثام بين الزوجين في أمر أجمع عليه أئمة الدين قال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء (وقد ندب الشرع الى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر فقال اذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينهما أي يؤلف بينهما من وقوع الأدمة على الأدمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة في الائتلاف وقال عليه السلام (ان في أعين الأنصار شيئاً فاذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر اليهن) قيل كان في أعينهم عمش وقيل صغر وكان بعض الصالحين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر لاخترازاً من الغرور وقال الأعمش كل تزويج يقع على غير نظر فأخره هم وغم ولا يبعد أن يكون فساد الزمن والابتعاد عن التربية الدينية التي تسوق الى مكارم الأخلاق قد حسنا عند عامة المسلمين في العصور الأولى حجب المرأة مطلقاً حسماً للمفاسد ودرءاً للفتنة

﴿ فرض الحج ﴾

(وفي هذا العام) على ما عليه الأَكثَرُونَ فرض الله على الأمة

الاسلامية حج البيت من استطاع اليه سبيلا ليجتمع المسلمون من جميع
الأقطار فيتجهوا الى الله ويبتهلوا اليه أن يؤيدهم بنصره ويعينهم على
اتباع دينه القويم وفي ذلك من تقوية الرابطة واتحاد القلوب ما فيه
للمسلمين الفائدة العظمى

﴿ السنة السادسة ﴾

(سرية)

ولعشر خلون من محرم السنة السادسة أرسل عليه السلام محمد بن
مسلمة في ثلاثين راكباً لشن الغارة على بني بكر بن كلاب الذين كانوا
فازلين بناحية ضرية (١) فسار اليهم يمين النهار ويسير الليل حتى
دهمهم فقتل منهم عشرة وهرب باقيهم فاستاقت السرية النعم والسياه
وعادوا راجعين الى المدينة وقد التقوا وهم عائدون بثامة بن أنال الحنفي
من عطاء بني حنيفة فأسروه وهم لا يعرفونه فلما أتوا به رسول الله عرفه
وعامله بمتى مكارم الأخلاق فانه أطلق اساره بعد ثلاث أبي فيها
الانقياد للإسلام بعد أن عرض عليه ولما رأى ثامة هذه المعاملة وهذه
المكارم رأى من العبت أن يتبع هواه ويترك ديناً عماده المحامد فرجع
الى رسول الله وأسلم غير مكره وخاطب الرسول بقوله (يا محمد والله

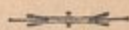
(١) موضع على سبع ليال من المدينة في طريق البصرة

ما كان على الأرض من وجه أبغض اليّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها اليّ والله ما كان على الأرض من دين أبغض اليّ من دينك فقد أصبح أحب الدين كله اليّ والله ما كان من بلد أبغض اليّ من بلدك فقد أصبح أحب البلاد اليّ) فسر عليه السلام كثيراً باسلامه لأن من ورائه قوماً يطيعونه ولما رجع ثمامة الى بلاده من بمكة معتمراً وأظهر فيها اسلامه فأرادت قريش ايذاءه فذكروا احتياجهم لحبوب اليمامة التي منها ثمامة فتركوه ومع ذلك فقد حلف هو أن لا يرسل اليهم من اليمامة حبواً حتى يؤمنوا فجهدوا جداً ولم يروا بدءاً من الاستغاثة برسول الله فعاملهم عليه السلام بما جبل عليه من الشفقة والرحمة وأرسل ثمامة أن يعيد عليهم ما كان يأتيهم من أقوات اليمامة ففعل وقد كان لهذا الرجل الكريم الأصل قدم راسخة في الاسلام عقب وفاة الرسول حينما ارتد أكثر أهل بلاده فكان ينهى قومه عن اتباع مسيلمة ويقول لهم اياكم وأمراً مظلماً لا نور فيه وانه لشقاء كتبه الله على من اتبعه فثبت معه كثير من قومه رضي الله عنه

﴿ غزوة بني لحيان ﴾

بنو لحيان هم الذين قتلوا عاصم بن ثابت واخوانه ولم يزل رسول الله حزينا عليهم متشوقاً للقصاص من عدوهم حتى ربيع الأول من

هذه السنة فأمر أصحابه بالتجهز ولم يظهر لهم مقصده كما هي عادته عليه السلام في غالب الغزوات لتعمي الأخبار عن الأعداء وولى على المدينة ابن أم مكتوم وسار في مائتي راكب معهم عشرون فرساً ولم يزل سائراً حتى مقتل أصحاب الرجيع فترحم عليهم ودعا لهم ولما سمع به بنو لحيان تفرقوا في الجبال فأقام عليه السلام بديارهم يومين يبعث السرايا فلا يجدون أحداً ثم أرسل بعضاً من أصحابه ليأتوا عسفان (١) حتى يعلم بهم أهل مكة فيدخلهم الرعب فذهبوا إلى كراع الغميم (٢) ثم رجع عليه السلام إلى المدينة وهو يقول (أيون تائبون لرَبنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال)



﴿ غزوة الغابة ﴾

كان للنبي عليه السلام عشرون لقحة ترعى بالغابة (٣) فأغار عليها عيينة بن حصن في أربعين راكباً واستلبها من راعيها فجاءت الأخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام والذي بلغه هو سلمة بن الأكوع أحد رماة الأنصار وكان عداءً فأمره الرسول بأن يخرج في أثر القوم ليشغلهم بالنبل حتى يدركهم المسلمون فخرج يشتد في أثرهم

(١) موضع قرب مكة (٢) جبل جنوب عسفان بثمانية أميال

(٣) موضع على بر من المدينة جهة غطفان

حتى لحقهم وجعل يرميهم بالنبل فاذا وجهت الخيل نحوه رجع هارباً فلا يلحق فاذا دخلت الخيل بعض المضائق علا الجبل فرمى عليها الحجارة حتى ألقوا كثيراً مما بأيديهم من الرماح والابراد ليخففوا عن أنفسهم حتى لا يلحقهم الجيش ولم يزل سلمة على ذلك حتى تلاحق به الجيش فان الرسول دعا أصحابه فأجابوه وأول من انتهى اليه المقداد بن الأسود فقال له اخرج في طلب القوم حتى ألقك وأعطاه اللواء فخرج وتبعته الفرسان حتى أدركوا أواخر العدو فحصلت بينهم مناوشات قتل فيها مسلم ومشركان واستنقذ المسلمون غالب اللقاح وهرب أوائل القوم بالبقية وطلب سلمة بن الأكوع من رسول الله أن يرسله مع جماعة في أثر القوم ليأخذهم على غرة وهم نازلون على أحد مياههم فقال له عليه السلام (ملكك فأسجح) ثم رجع بعد خمس ليال

﴿ سرية ﴾

كان بنو أسد الذين مر ذكرهم كثيراً ما يؤذون من يمر بهم من المسلمين فأرسل لهم عليه السلام عكاشة بن محصن في أربعين راكباً ليغير عليهم ولما قارب بلادهم علموا به فهربوا وهناك وجدوا رجلاً نائماً فأمنوه ليدهم على نعم القوم فدهم عليها فاستاقوها وكانت مائة بعير ثم قدموا المدينة ولم يلقوا كيداً

﴿ سرية ﴾

وفي ربيع الأول بلغه عليه السلام أن من بندي القصة (١) يريدون الاغارة على نعم المسلمين التي ترعى بالهيفاء (٢) فأرسل لهم محمد بن مسلمة في عشرة من المسلمين فبلغ ديارهم ليلاً وقد كمن لهم المشركون حينما علموا بهم فنام المسلمون ولم يشعروا الا والنبيل قد خالطهم فتواثبوا على أسلحتهم ولكن تغلب عليهم الأعداء فقتلوهم غير محمد بن مسلمة تركوه لظنهم أنه قتل فعاد الى المدينة وأخبر الرسول عليه السلام فأرسل أبا عبيدة عامر بن الجراح في ربيع الآخر ليقتص من الأعداء فلما وصل ديارهم وجدهم تشتتوا هاربين فاستاق نعمهم ورجع

﴿ سرية ﴾

عاكس بنو سليم الذين كانوا من المتحزبين في غزوة الخندق المسلمين في سيرهم فأرسل عليه السلام زيد بن حارثة في ربيع الآخر ليغير عليهم في الجموم (٣) فلما بلغوا ديارهم وجدوهم تفرقوا ووجدوا هناك امرأة من مزينة دلتهم على منازل بني سليم فأصابوا بها نعماً وشاء

(١) موضع على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة في طريق الربذة

(٢) موضع قرب المدينة (٣) ناحية من بطن نخل

ووجدوا رجالاً أسروهم وفيهم زوج تلك المرأة فرجعوا بذلك الى المدينة
فوهب الرسول لهذه المرأة نفسها وزوجها

﴿ سرية ﴾

بلغ الرسل أن عيراً لقريش أقبلت من الشام تريد مكة فأرسل
لها زيد بن حارثة في مائة وسبعين راكباً ليعترضها فأخذها وما فيها
وأسر من معها من الرجال وفيهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب
بنت رسول الله وكان من رجال مكة المعدودين تجارة ومالاً وأمانة
فاستجار بزوجه زينب فأجارته ونادت بذلك في مجمع قريش فقال عليه
السلام (المسلمون يد واحدة يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجزت)
وهذا أبلغ ما قيل في المساواة بين أفراد المسلمين ورد عليه الرسول ماله
بأسره لا يفقد منه شيئاً فذهب الى مكة فأدى لكل ذي حق حقه
ورجع الى المدينة مسلماً فرد عليه رسول الله زوجته

﴿ سرية ﴾

وفي جمادى الآخرة أرسل عليه السلام زيد بن حارثة في خمسة
عشر رجلاً للاغارة على بني ثعلبة الذين قتلوا أصحاب محمد بن مسلمة وهم
مقيمون بالطرف (١) فتوجهت السرية لذلك ولما رأهم الأعداء ظنّوهم

(١) ماء على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة في طريق العراق

طليلة لجيش رسول الله فهربوا وتركوا نعمهم وشاءهم فاستاقها المسلمون
ورجعوا الى المدينة بعد أربع ليال

﴿ سرية ﴾

وفي رجب أرسل عليه السلام زيد بن حارثة ليغير على بني فزارة
لأنهم تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة من الشام فسلموا ما معه وكادوا
يقتلونه فلما جاء المدينة وأخبر الرسول الخبر أرسله مع رجاله للقصاص
من فزارة المقيمين في وادي القرى (١) فساروا حتى دهموا العدو
وأحاطوا بهم وقتلوا منهم جمعا كثيرا وأخذوا امرأة من كبارهم أسيرة
فاستوهبها عليه السلام ممن أسرها وفدي بها أسيرا كان بمكة

﴿ سرية ﴾

وفي شعبان أرسل عليه السلام عبد الرحمن بن عوف مع سبعائة
من الصحابة لغزو بني كلب في دومة الجندل (٢) وقد وصاهم عليه
السلام قبل السفر بقوله (اغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلن من كفر بالله
ولا تغلوا ولا تعدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا فهذا عهد الله وسيرة
نبيه فيكم) ثم أعطاه اللواء فساروا على بركة الله حتى حلوا بديار العدو

(١) موضع شمالي المدينة (٢) حصن وقرى بينها وبين دمشق
خمس ليال وبين المدينة خمس عشرة ليلة

فدعوهم الى الاسلام ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أسلم رئيس القوم
الأصمغ بن عمرو النصراني وأسلم معه جمع من قومه وبقى آخرون راضين
باعطاء الجزية فتزوج عبد الرحمن بنت رئيسهم كما أمره بذلك عليه
السلام وهذه أقرب واسطة لتمكين صلوات الود بين الأمراء بحيث يهيم
كلاً ما يهيم الآخر فنعمها هي سياسة السلم والمحبة

﴿ سرية ﴾ ٨

وفي شعبان أرسل عليه السلام علي بن أبي طالب في مائة لغزو بني
سعد بن بكر بفدك (١) لأنه بلغه أنهم يجمعون الجيوش لمساعدة
يهود خيبر على حرب المسلمين مقابل تمر يعطونه من تمر خير فسارت
السرية وبينما هم سائرون التقوا بجاسوس العدو أرسلوه الى خير ليعقد
المعاهدة مع يهودها فطلبوا منه أن يدهم على القوم وهو آمن فدهم على
موضعهم فاستاق منه المسلمون نعم القوم وهرب الرعاة فحذروا قومهم
فداخلهم الرعب وتفرقوا فرجع المسلمون ومعهم خمسمائة بعير وألفا شاة
ورد الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود بشيء

﴿ قتل أبي رافع ﴾

وكان المحرك لأهل خيبر على حرب المسلمين هو سيدهم أبو رافع

(١) قرية بينها وبين المدينة ست ليال من جهة خير

سلام بن أبي الحقيق الملقب بتاجر أهل الحجاز لما كان له من المهارة
 في التجارة وكان ذا ثروة طائلة يقلب بها قلوب اليهود كما يريد فانتدب
 له عليه السلام من يقتله فأجاب لذلك خمسة رجال من الخزرج رئيسهم
 عبد الله بن عتيك ليكون لهم مثل أجر اخوانهم من الأوس الذين قتلوا
 كعب بن الأشرف فان من نعم الله على رسوله أن كان الأوس
 والخزرج يتفاخرون بما يفعلونه من تنفيذ رغبات رسول الله فلا تعمل
 الأوس عملاً الا اجتهد الخزرج في مثله فأمرهم الرسول بذلك بعد أن
 وصاهم أن لا يقتلوا وليداً ولا امرأة فساروا حتى أتوا خيبر فقال عبد الله
 لأصحابه مكانكم فاني منطلق للبواب ومتلطف له لعلى أدخل فأقبل حتى
 دنا من الباب ثم تقنع بثوب كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف
 به البواب ادخل يا عبد الله ان كنت تريد الدخول فاني أريد أن
 أغلق الباب فدخل وكمن حتى نام البواب فأخذ المفاتيح وفتح ليسهل
 له الهرب ثم توجه الى بيت أبي رافع وصار يفتح الأبواب التي توصل
 اليه وكلما فتح باباً أغلقه من داخل حتى انتهى اليه فاذا هو في بيت
 مظلم وسط عياله فلم يمكنه تمييزه فنادى يا أبا رافع قال من فأهوى
 بالسيف نحو الصوت فلم يغن شيئاً وعند ذلك قالت امرأته لهذا صوت
 ابن أبي عتيك فقال لها شككتك أمك وأين ابن أبي عتيك الآن فعاد
 عبد الله للنداء مغيراً صوته قائلاً ما هذا الصوت الذي نسمعه يا أبا رافع

قال لأمك الويل ان رجلاً في البيت ضر بني بالسيف فعمد اليه فضر به
 أخرى لم تغن شيئاً فتواري ثم جاءه كالمغيث وغير صوته فوجده مستلقياً
 على ظهره فوضع السيف في بطنه وتحامل عليه حتى سمع صوت العظم ثم
 خرج من البيت وكان نظره ضعيفاً فوقع من فوق السلم فانكسرت رجله
 فعضبها بعمامته ثم انطلق الى أصحابه وقال النجاة قتل والله أبو رافع فانتهاوا
 الى الرسول فحدثوه ثم قال لعبد الله أبسط رجلك فمسحها عليه السلام
 فكأنه لم يشتكها قط وعادت أحسن ما كانت فانظر رعاك الله الى
 ما كان عليه المسلمون من استسهال المصاعب ما دامت في ارضاء رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فرضي الله عنهم وأرضاهم

﴿ سرية ﴾

(ولما) قتل كعب ولي اليهود مكانه أسير بن رزام فأرسل عليه
 السلام من يستعلم له خبره فجاءته الأخبار بأنه قال لقومه سأصنع بمحمد
 ما لم يصنعه أحد قبلي أسير الى غطفان فأجمعهم لحربه وسعى في ذلك
 فأرسل له عليه السلام عبد الله بن رواحة الخزرجي في ثلاثين من
 الأنصار لاستماتته فخرجوا حتى قدموا خيبر وقالوا لأسير نحن آمنون حتى
 نعرض عليك ما جئنا له قال نعم ولي مثل ذلك فأجابوه ثم عرضوا عليه
 أن يقدم على رسول الله ويترك ما عزم عليه من الحرب فيؤليه الرسول

على نخير فيعيش أهلها بسلام فأجاب الى ذلك وخرج في ثلاثين يهودياً
كل يهودي رديف لمسلم وبيناهم في الطريق ندم أسير على مجيئه وأراد
التخلص مما فعل بالعدو بمن أمنوه فأهوى بيده الى سيف عبد الله بن
رواحة فقال له أغدراً يا عدو الله ثم نزل وضربه بالسيف فأطاح عامة
نخذه ولم يلبث أن هلك فقام المسلمون على من معه من اليهود فقتلوه
عن آخرهم وهذا عاقبة الغدر

﴿ قصة عكل وعرينة ﴾

قدم على رسول الله في شوال جماعة من عكل وعرينة فأظهروا
الاسلام وبايعوا رسول الله وكانوا سقاماً مصفرة ألوانهم عظيمة بطونهم
فلم يوافقهم هواء المدينة فأمر لهم عليه السلام بنود من الابل معها راع
وأمرهم باللحوق بها في مرعاها ليشرىوا من ألبانها وأبواها ففعلوا ولما تم
شفائهم جازوا الاحسان كفرةً فقتلوا الراعي ومثلوا به واستاقوا الابل
فلما بلغ ذلك رسول الله أرسل وراءهم كرز بن جابر الفهري في عشرين
فارساً فلحقوا بهم وقبضوا على جميعهم ولما جيء بهم الى المدينة أمر عليه
السلام أن يمثل بهم كما مثلوا بالراعي فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت
أعينهم وألقوا بالحرّة حتى ماتوا فهكدا يكون جزاء الخائن الذي لا ينتظر
منه صلاح وعمل هؤلاء الشريرين مما يدل على فساد الأصل ولؤم

العشيرة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عن المثلة

﴿ سرية ﴾

جلس أبو سفيان بن حرب يوماً في نادي قومه فقال ألا رجل
يذهب لمحمد فيقتله غدراً فإنه يمشي بالأسواق لتستريح منه فتقدم له
رجل وتعهده له بما أراد فأعطاه راحلة ونفقة وجهزه لذلك فخرج الرجل
حتى وصل إلى المدينة صباح سادسة من خروجه فسأل عن رسول الله
فدل عليه وهو بمسجد بني عبد الأشهل فلما رآه عليه السلام قال إن هذا
الرجل يريد غدراً وإن الله مانعي منه فذهب لينحني على الرسول فحذبه
أسيد بن حضير من إزاره وهناك سقط الخنجر فندم الرجل على فعلته ثم
سأله عليه السلام عن سبب عمله فصدقه بعد أن توثق من حفظ دمه فحلي
عليه السلام سبيله فقال الرجل والله يا محمد ما كنت أخاف الرجال فما هو
إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم أنك اطلعت على ما هممت
به مما لم يعلمه أحد فعرفت أنك ممنوع وإنك على حق وإن حزب أبي
سفيان حزب الشيطان ثم أسلم وعند ذلك أرسل عليه السلام عمرو بن
أمية الضمري وكان رجلاً جريئاً فاتكأ في الجاهلية وأصحابه برفيق ليقتلا
أبا سفيان غيلة جزاء اعتدائه فلما قدما مكة توجهوا ليطوفاً بالبيت قبل
أن يؤديا ما أرسلوا له فعرف عمرًا أحد رجال مكة فقال هذا عمرو بن

أمية ما جاء الا بشرّ فلما رأهم علموا به لم يجد مناصاً من الهرب
فاضطجبت معه رفيقه ورجعا الى المدينة وكان الله سبحانه أراد أن
يعيش أبو سفيان حتى يسلم بيده مفاتيح مكة للمسلمين ويعتق الدين
الحنيفي القويم

﴿ غزوة الحديبية ﴾

رأى عليه السلام في نومه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام
أمينين محلقين رؤوسهم ومقصرين فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة واستغفر
الأعراب الذين حول المدينة ليكونوا معه حذراً من أن تردهم قريش
عن عمرتهم ولكن هؤلاء الأعراب أبطؤا عليه لأنهم ظنوا أن لا ينقلب
الرسول والمؤمنون الى أهلهم أبداً وتخلصوا بأن قالوا شغلنا أموالنا
وأهلونا فاستغفر لنا فخرج عليه السلام بمن معه من المهاجرين والأَنْصار
تبلغ عدتهم ألفاً وخمسمائة وولى على المدينة ابن أم مكتوم وأخرج معه
زوجه أم سلمة وأخرج الهدي ليعلم الناس أنه لم يأت محارباً ولم يكن مع
أصحابه شيء من السلاح الا السيوف في القرب لأن الرسول لم يرض
أن يحملوا السيوف مجردة وهم معتمرون ثم سار الجيش حتى وصل
عسفان (١) فجاءه عينه يخبره أن قريشاً أجمعت رأيها أن يصدوا

(١) موضع على مرحلتين من مكة

المسلمين عن مكة وأن لا يدخلوها عليهم عنوة أبداً وتجهزوا للحرب
 وأعدوا خالد بن الوليد في مائتي فارس طليعة لهم ليصدوا المسلمين عن
 التقدم فقال عليه السلام هل من رجل يأخذ بنا على غير طريقهم فقال
 رجل من أسلم أنا يا رسول الله فسار بهم في طريق وعرة ثم خرج بهم
 الى مستو سهل يملك مكة من أسفلها فلما رأى خالد ما فعل المسلمون
 رجع الى قريش وأخبرهم الخبر ولما كان عليه السلام بنية المزار (١)
 بركت ناقته فزجروها فلم تقم فقالوا خالأت القضواء فقال عليه السلام
 ما خالأت وما ذلك لها بخاق ولكن حبسها حابس الفيل والذي نفس
 محمد بيده لا تدعوني قريش لخصلة فيها تعظيم حرمت الله الا أجبتهم
 اليها . مع أن المسلمين لو قاتلوا أعداءهم في مثل هذا الوقت لظفروا بهم
 ولكن كلف الله أيدي المسلمين عن قريش وكف أيدي قريش عن
 المسلمين كيلا تنتهك حرمت البيت الذي أراد الله أن يكون حرماً آمناً
 يوطد المسلمون من جميع الأقطار دعائم أخوتهم فيه ثم أمرهم عليه السلام
 بالنزول أقصى الحديبية (٢) وهناك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي رسولاً
 من قريش يسأل عن سبب مجيء المسلمين فأخبره عليه السلام بمقصده
 فلما رجع بديل الى قريش وأخبرهم بذلك لم يثقوا به لأنه من خزاعة
 الموالية لرسول الله كما كانت كذلك لأجداده وقالوا أريد محمد أن

(١) مهبط الحديبية (٢) بئر قرب مكة سميت الأرض باسمها

ويدخل علينا في جنوده معتمراً تسمع العرب أنه قد دخل علينا عنوة
 وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا والله لا كان هذا أبداً ومنا عين
 تطرف ثم أرسلوا حليس بن علقمة سيد الأحابيش وهم حلفاء قريش
 فلما رآه عليه السلام قال هذا من قوم يعظمون الهدي بعثوه في وجهه
 حتى يراه ففعلوا واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك حليس رجع وقال
 سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا أتيج لحم وجدام وحمير ويمنع
 عن البيت ابن عبد المطلب هلكت قريش ورب البيت ان القوم أتوا
 معتمرين فلما سمعت قريش منه ذلك قالوا له اجلس انما أنت أعرابي
 لا علم لك بالمكائد ثم أرسلوا عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف
 فتوجه الى رسول الله وقال يا محمد قد جمعت أوباش الناس ثم جئت الى
 أصلك وعشيرتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت تعاهد الله أن
 لا تدخلها عليهم عنوة أبداً وإيم الله لكأنني بهؤلاء قد انكشفتوا عنك
 فقال منه أبو بكر وقال نحن ننكشف عنه ويحك وكان عروة يتكلم وهو
 يمس لحية رسول الله فكان المغيرة بن شعبه يقرع يده اذا أراد ذلك ثم
 رجع عروة وقد رأى ما يصنع بالرسول أصحابه لا يتوضأ وضوءاً الا
 كادوا يقتلون عليه يتمسحون به واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده
 ولا يحدون النظر اليه فقال والله يا معشر قريش جئت كسرى في ملكه
 وقبصر في عظمته فما رأيت ملكاً في قومه مثل محمد في أصحابه ولقد

رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فانظروا رأيكم فانه عرض عليكم
 رشداً فاقبلوا ما عرض عليكم فاني لكم ناصح مع أني أخاف أن
 لا تنصروا عليه فقالت قريش لا تتكلم بهذا ولكن نرده عامنا ويرجع
 الى قابل ثم ان الرسول اختار عثمان بن عفان رسولاً من عنده الى قريش
 حتى يعلمهم مقصده فتوجه وتوجه معه عشرة استأذنوا الرسول في زيارة
 أقاربهم وأمر عليه السلام عثمان أن يأتي المستضعفين من المؤمنين بمكة
 فيبشرهم بقرب الفتح وان الله مظهر دينه فدخل عثمان مكة في جوار
 أبان بن سعيد الأُموي فبلغ ما حمل فقالوا ان محمداً لا يدخلها علينا عنوة
 أبداً ثم طلبوا منه أن يطوف بالبيت فقال لا أطوف ورسول الله ممنوع
 ثم انهم حبسوه فشاع عند المسلمين أن عثمان قتل فقال عليه السلام حينما
 سمع ذلك لا نبرح حتى نناجزهم الحرب

﴿ بيعة الرضوان ﴾

ودعا الناس للبيعة على القتال فبايعوه تحت شجرة هناك (١)
 (سميت بعد بشجرة الرضوان) على الموت فشاع أمر هذه البيعة في
 قريش فداخلهم منها رعب عظيم وكانوا قد أرسلوا خمسين رجلاً عليهم
 مكرز بن حفص ليطوفوا بعسكر المسلمين عليهم يصيدون منهم غرة فأسرهم
 (١) أمر عمر بقطعها زمن خلافته لما رأى تبرك الناس بها فليتمل

حارس الجيش محمد بن مسلمة وهرب رئيسهم ولما علمت بذلك قريش
جاء جمع منهم وابتدؤا يناوشون المسلمين حتى أسبر منهم اثنا عشر
وجلاً وقتل من المسلمين واحد

﴿ صلح الحديبية ﴾

وعند ذلك خافت قريش وأرسلت سهيل بن عمرو للمكلمة في
الصلح فلما جاء قال يا محمد ان الذي حصل ليس من رأي عقلائنا بل
شيء قام به السفهاء منا فابعث النبي بن أسرت فقال حتى ترسلوا من
عندكم وعندئذ أرسلوا عثمان والعشرة الذين معه ثم عرض سهيل الشروط
التي تريدها قريش وهي (١) وضع الحرب بين المسلمين وقريش أربع
سنوات (٢) من جاء المسلمين من قريش يردونه ومن جاء قريشاً من
المسلمين لا يلزمون برده (٣) أن يرجع النبي من غير عمرة هذا العام ثم
يأتي العام المقبل فيدخلها بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش فيقيم بها
ثلاثة أيام ليس مع أصحابه من السلاح الا السيف في القراب والقوس
(٤) من أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه ومن
أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه فقبل عليه السلام كل هذه
الشروط . أما المسلمون فدخلهم منها أمر عظيم وقالوا سبحان الله كيف
نرد اليهم من جاءنا مسلماً ولا يردون من جاءهم مرتدّاً فقال عليه السلام

انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم فردناه اليهم
 فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً . أما الأمر الثالث وهو صد المسلمين عن
 الطواف بالبيت فكان أشد تأثيراً في قلوبهم لأن الرسول أخبرهم أنه
 رأي في منامه أنهم دخلوا البيت آمنين وقد سأل عمر أبا بكر في ذلك
 فقال رضي الله عنه وهل ذكر أنه في هذا العام . ثم كتبت شروط
 المصلح بين الطرفين وكان الكاتب علي بن أبي طالب فأملاه عليه
 السلام بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اكتب باسمك اللهم فأمره
 الرسول بذلك ثم قال هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو نعلم
 أنك رسول الله ما خالفناك اكتب محمد بن عبد الله فأمر عليه السلام
 علياً بمحو ذلك وكتابة محمد بن عبد الله فامتنع فحأها النبي بيده .
 وكتبت نسختان نسخة لقريش ونسخة للمسلمين وبعد كتابة الشروط
 جاءهم أبو جندل بن سهيل يحجل في قيوده وكان من المسلمين الممنوعين
 من الهجرة فهرب للمسلمين هذه المرة ليحموه فقال عليه السلام اصبر
 واحتسب فان الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً
 إنا قد عقدنا بين القوم صلحاً وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهداً فلا
 تغدر بهم . هذا وقد دخلت قبيلة خزاعة في عهد رسول الله ودخل بنو
 بكر في عهد قريش

ولما انتهى الأمر أمر عليه السلام أصحابه أن يحلقوا رؤوسهم

وينحروا الهدي ليتحلوا من عمرتهم فاحتمل المسلمون من ذلك هماً عظيماً حتى انهم لم يبادروا بالامثال فدخل عليه السلام على أم المؤمنين أم سلمة وقال لها هلك المسلمون أمرتهم فلم يمتثلوا فقالت يا رسول الله اعذرهم فقد حملت نفسك أمراً عظيماً في الصلح ورجع المسلمون من غير فتح فهم لذلك مكرويون ولكن اخرج يا رسول الله وابدأهم بما تريد فاذا رأوك فعلت تبعوك فتقدم عليه السلام الى هديه فنحره ودعا بالخلق فخلق رأسه فلما رآه المسلمون تائبوا على الهدي فنحروه وحلقوا ثم رجع المسلمون الى المدينة وقد أمن كل فريق الآخر ولما قرّر قرارهم جاءتهم مهاجرة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت عثمان لأمه فطلبها المشركون فقالت يا رسول اني امرأة وان رجعت اليهم فتتوفي في ديني فأنزل الله في سورة المتحنة (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن الى الكفار لا هن حلّ لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتوهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) فكانت المرأة المهاجرة تستحلف أنها ما خرجت رغبة بأرض عن أرض ولا من بغض زوج ولا لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وما خرجت الا حباً لله ولرسوله ومتى حلفت لا ترد

بل يعطى لزوجها المشرك ما أنفق عليه ويجوز للمسلم تزوجها وفي الآية
 تحريم امسك الزوجة الكافرة بل ترد الى أهلها بعد أن يعطوا ما أنفقوا
 عليها (وقد تمكن) أبو بصير عتبة بن أسيد الثقفي رضي الله عنه من الفرار
 الى رسول الله فأرسلت قريش في أثره رجلين يطلبان تسليمه فأمره عليه
 السلام بالرجوع معهما فقال يا رسول الله أتردني الى الكفار يفتوتني في
 ديني بعد أن خلصني الله منهم فقال ان الله جاعل لك ولاخوانك فرجاً
 فلم يجد بداً من اتباعه فرجع مع صاحبيه ولما قارب ذا الحليفة عدا على
 أحدهما فقتله وهرب منه الآخر فرجع الى المدينة وقال يا رسول الله
 وفقت ذمتك أما أنا فنجوت فقال له اذهب حيث شئت ولا تقم بالمدينة
 فذهب الى محل بطريق الشام تمر به تجارة قريش فأقام به واجتمع معه
 جمع ممن كانوا مسلمين بمكة ونجوا وسار اليه أبو جندل بن سهيل واجتمع
 اليه جمع من الأعراب وقطعوا الطريق على تجارة قريش حتى قطعوا
 عنهم الامداد فأرسل رجال قريش لرسول الله يستغيثون به في إبطال
 هذا الشرط ويعطونه الحق في امسك من جاءه مسلماً فقبل منهم ذلك
 وأراح الله عن المسلمين هذه الغمة التي لم يتمكنوا من تحملها في الحديدية
 حينما أمرهم عليه السلام برد أبي جندل وعلمو أن رأي رسول الله
 أفضل وأحسن من رأيهم حيث كان فيه أمن تسبب عنه اختلاط
 الكفار بالمسلمين فخالطت بشاشة الاسلام قلوبهم حتى قال أبو بكر

رضى الله عنه ما كان فتح في الاسلام أعظم من فتح الحديدية ولكن الناس
 قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة
 العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد . وفي رجوعه عليه السلام من الحديدية
 نزلت عليه سورة الفتح وقال سبحانه في أولها (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً)
 وفي تسمية هذه الغزوة بالفتح المبين تصديق لما قدمنا لك عن الصديق



School of Oriental Studies
 of
 American University at Cairo

﴿ مكاتبة الملوك ﴾

بعد رجوع المسلمين من الحديدية في أواخر سنة ست وأمن
 الطريق من قريش كاتب عليه السلام ملوك الأرض يدعوهم الى
 الاسلام واتخذ اذك خاتماً من فضة يختم به خطاباته وكان نقشه (محمد
 رسول الله) فوجه دحية الكلبي بكتاب الى قيصر ملك الروم وأمره
 أن يدفعه الى عظيم بصرى ليوصله الى الملك

﴿ كتاب قيصر ﴾

وكان في الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم) من محمد بن عبد الله
 الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فاني أدعوك
 بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتلك الله أجرک مرتين فان توليت فانما عليك
 اثم الاريسيين (١) ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم

(١) الفلاحين

أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من
دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

﴿ حديث أبي سفيان ﴾

ولما وصل هذا الكتاب قيصر قال انظروا لنا من قومه أحداً
نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب بالشام مع رجال من قريش في
تجارة فجاءت رسل قيصر لأبي سفيان ودعوه لمقابلة الملك فأجاب ولما
قدموا عليه في القدس قال لترجمانه سلمهم أيهم أقرب نسباً بهذا الرجل
الذي يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان أنا لأنه لم يكن في الركب من
بني عبد مناف غيره فقال قيصر ادن مني ثم أمر بأصحابه فجعلوا خلف
ظهره ثم قال لترجمانه قل لأصحابه انما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن
هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي وقد جعلتكم خلفه كيلا تخجلوا من رد
كذبه عليه اذا كذب ثم سأله كيف نسب هذا الرجل فيكم . قال هو
فينا ذو نسب . قال هل تكلم بهذا القول أحد منكم قبله قال لا . قال
هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا . قال فهل كان
من آباءه من ملك قال لا . قال فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفائهم
قال بل ضعفائهم . قال فهل يزيدون أم ينقصون قال بل يزيدون .
قال هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه قال لا . قال هل ينعدر اذا عاهد

قال لا . ونحن الآن منه في ذمة لا ندري ما هو فاعل فيها . قال فهل قاتلتموه قال نعم . قال فكيف حربكم وجره قال الحرب بيننا وبينه سجال مرة لنا ومرة علينا قال فيم يأمركم قال يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً وينهي عما كان يعبد آباؤنا ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة . فقال الملك اني سألتك عن نسبه فرعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فرعمت أن لا فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتى بقول قيل قبله . وسألتك هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فرعمت أن لا فقلت ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك هل كان من آباءه من ملك فقلت لا فلو كان من آباءه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل . وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فقلت بل يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم . وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه فقلت لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك هل قاتلتموه فقلت نعم وان الحرب بينكم وبينه سجال وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة . وسألتك بماذا يأمر فرعمت انه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا

وكذلك الرسل لا تغدر فعلت أنه نبي وقد علمت انه مبعوث ولم أظن
 انه فيكم وان كان ما كلمني به حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين ولو أعلم
 أني أخلص اليه لتكلفت ذلك قال أبو سفيان فعلت أصوات الذين
 عنده وكثر لغتهم فلا أدري ما قالوا وأمر بنا فأخرجنا فلما خرج أبو
 سفيان مع أصحابه قال لقد بلغ أمر ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بني
 الأصفر . ولما سار قيصر الى حمص أذن لعطاء الروم في دسكرة له ثم
 أمر بأبوابها فأغلقت ثم قال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد
 وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فخاصوا حيصة حمر الوحش الى
 الأبواب فوجدوها مغلقة فلما رأى قيصر نفرتهم قال ردوهم عليّ فقال
 لهم اني قلت مقالي أختبر بها شدتكم على دينكم فسكتوا له ورضوا عنه
 فغلبه حب ملكه على الاسلام فذهب بأهله واثم رعيته كما قال عليه
 الصلاة والسلام ولكنه رد دحية رداً جميلاً

﴿ كتاب أمير بصرى ﴾

وأرسل عليه السلام الحارث بن عمير الأزدي بكتاب الى أمير
 بصرى فلما بلغ مؤتة وهي قرية من عمل البلقاء بالشام تعرض له
 شرحبيل بن عمرو الغساني فقال له أين تريد قال الشام قال لعلك من
 رسل محمد قال نعم فأمر به فضربت عنقه ولم يقتل لرسول الله عليه
 الصلاة والسلام رسول غيره وقد وجد لذلك وجداً شديداً

﴿ كتاب الحارث بن أبي شمر ﴾

ووجه عليه السلام شجاع بن وهب الى أمير دمشق من قبل هرقل
الحارث بن أبي شمر وكان يقيم بغوطتها وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى
وأمن بالله وصدق واني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبق
ملكك) فلما قرأ الكتاب رمى به وقال من ينزع ملكي مني واستعد
ليرسل جيشاً لحرب المسلمين وقال لشجاع أخبر صاحبك بما ترى ثم
أرسل الى قيصر يستأذنه في ذلك وصادف أن كان عنده دحية فكتب
قيصر اليه يثنيه عن هذا العزم ويأمره أن يهيب بايليا ما يلزم لزيارته فانه
بعد أن قهر الفرس نذر زيارتها فلما رأى الحارث كتاب قيصر صرف
شجاع بن وهب بالحسنى ووصله بنفقة وكسوة

﴿ كتاب المقوقس ﴾

ووجه عليه السلام حاطب بن أبي بلتعة بكتاب الى المقوقس أمير
مصر من جهة قيصر وكان فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول
الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك
بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتلك الله أجره مرتين وإن توليت فانما عليك

ثم القبط ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة الآية) فأوصله له حاطب
 باسكندرية فلما قرأه قال ما منعه ان كان نبياً أن يدعو على من خالفه
 وأخرجه من بلده فقال حاطب ألت تشهد أن عيسى بن مريم رسول
 الله فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم أن
 يهلكهم الله حتى رفعه الله اليه قال أحسنت أنت حكيم جاء من عند
 حكيم ثم قال اني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدت أنه لا يأمر بمزهود
 فيه ولا ينهي عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن
 الكذاب ووجدت معه آلة النبوة اخراج الغائب المستور والاخبار
 بالنجوى وسأنظر ثم كتب رد الجواب يقول فيه (بسم الله الرحمن
 الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد
 فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن
 نبياً قد بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت
 لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وبثياب وأهديت اليك بغلة
 تركبها والسلام) واحدى الجاريتين مارية التي تسرى بها عليه الصلاة
 والسلام وجاء منها بولده ابراهيم والأخرى أعطاهما لحسان بن ثابت ولم
 يسلم المقوقس

﴿ كتاب النجاشي ﴾

ووجه عليه السلام عمرو بن أمية الضمري بكتاب الى النجاشي

ملك الحبشة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى
النجاشي عظيم الحبشة سلام أما بعد فاني أحمد اليك الله الذي لا اله
الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم
روح الله و كلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى
من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني أدعوك الى الله وحده لا شريك
له والموالاته على طاعته وأن تتبني وتوقن بالذي جاءني فاني رسول الله
واني أدعوك و جنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا
نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى) ولما وصله الكتاب احترمه غاية
الاحترام وقال لعمرؤاني أعلم والله أن عيسى بشر به ولكن أعواني
بالحبشة قليل فأنظرني حتى أكثر الأعدان وألين القلوب . وقد عرض
عمرؤ على من بقي من مهاجري الحبشة الرجوع الى رسول الله بالمدينة
وكان من المهاجرين أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج عبيد الله بن جحش
الذي كان أسلم وهاجر بها ولكن قد غلبت عليه الشقاوة فتنصر فتزوج
عليه السلام أم حبيبة وهي بالحبشة والذي زوجها له النجاشي بتوكيل
منه عليه السلام

﴿ كتاب كسرى ﴾

ووجه عليه السلام عبد الله بن حذافة السهمي بكتاب الى كسرى

ملك الفرس وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فاني أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان أبيت فانما عليك اثم المجوس) فلما وصله الكتاب مرقة استكباراً ولما بلغه عليه السلام ذلك قال (مرقة الله ملكه كل ممرقة) وقد فعل فكانت مملكته أقرب الممالك سقوطاً وقد بدأ هذا الشقي بالعدوان فأرسل لعامله باليمن أن يوجه الى الرسول من يأتي به اليه فعاجله الله بقيام ابنه شيرويه عليه وقته له ثم أرسل لعامل اليمن ينهاه عما أمره به أبوه

﴿ كتاب المنذر بن ساوى ﴾

ووجه عليه السلام العلاء بن الحضرمي بكتاب الى المنذر بن ساوى ملك البحرين يدعوه فيه الى الاسلام وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم سلم أنت فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فان من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول من أحب ذلك من المجوس فانه آمن ومن أبى فان عليه الجزية) فأسلم وكتب في رد الجواب (أما بعد يا رسول الله فاني قرأت كتابك

على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم
من كرهه وبأرضي مجوس ويهود فأحدث اليّ في ذلك أمرك (فكتب
اليه عليه السلام) بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر
ابن ساوى سلام عليك فاني أحمد الله اليك الذي لا إله الا هو وأشهد
أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد فاني أذكرك الله
عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع
أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد أثنوا
عليك خيراً واني شفعتك في قومك فانرك للمسلمين ما أسلموا عليه
وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نغيرك عن
عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية)

﴿ كتاب ملكي عمان ﴾

ووجه عليه السلام عمرو بن العاص بكتاب الى جيفر وعبد ابني
الجلندي ملكي عمان وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله
الى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني
أدعوكم بدعاية الاسلام أسلموا تسلموا فاني رسول الله الى الناس كافة لأنذر
من كان حياً ويحق القول على الكافرين وانكما ان أقرتما بالاسلام وليتكما
وان أبيتا فان ملككما زائل وخيلي تحمل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما)

فلهما دخل بناديهما عمرو سأل عبد بن الجلندي عما يأمر به
الرسول وينهي عنه فقال يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته
ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر
وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ما أحسن هذا الذي يدعو اليه
ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي
أضن بملكه من أن يدعه ويصير تابعا قال عمرو ان أسلم أخوك ملكه
رسول الله على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم فقال عبد
ان هذا الخلق حسن وما الصدقة فأخبره بما فرض الله من الصدقات
في الأموال ولما ذكر المواشي قال يا عمرو يؤخذ من سوائم مواشينا التي
ترعى في الشجر وترد المياه قال نعم فقال عبد والله ما أرى قومي على بعد
دارهم وكثرة عددهم يرضون بهذا ثم ان عبداً أوصل عمراً لأخيه جيفر
فتكلم معه عمرو بما الآن قلبه حتى أسلم هو وأخوه ومكناه من الصدقات

﴿ كتاب هوزة بن علي ﴾

ووجه عليه السلام سليط بن عمرو العامري بكتاب الى هوزة بن
علي ملك اليمامة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى
هوزة بن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر الى
منتهاى الخلف والخافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك) فلما جاء

الكتاب كتب في رده (ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله وأنا شاعر قومي
 وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر أتبعك) ولما
 بلغ ذلك رسول الله قال لو سألتني قطعة من الأرض ما فعلت باد وباد
 ما في يديه فلم يلبث أن مات منصرف الرسول صلى الله عليه وسلم من
 فتح مكة وكان عليه السلام يولي على كل قوم قبلوا الاسلام كبيرهم

﴿ السنة السابعة غزوة خيبر ﴾

وفي محرم السنة السابعة أمر عليه السلام بالتجهز لغزو يهود خيبر
 الذين كانوا أعظم مهيج للأحزاب ضد رسول الله في غزوة الخندق
 والذين لا يزالون مجتهدين في مخالفة الأعراب ضد رسول الله كما قدمنا
 ذلك في قصة كعب بن الأشرف وقد استنفر رسول الله لذلك من حوله
 من الأعراب الذين كانوا معه بالحديبية وجاء المخلفون عنها ليؤذن لهم
 فقال عليه السلام لا تخرجوا معي الا رغبة في الجهاد أما الغنيمة فلا
 أعطيك منها شيئاً وأمر منادياً ينادي بذلك ثم خرج عليه السلام بعد أن
 ولى على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وكان معه من أزواجه أم سلمة
 ولما وصل جيش المسلمين الى خيبر التي تبعد عن المدينة نحو مائة ميل
 من الشمال الغربي رفعوا أصواتهم بالتكبير والدعاء فقال عليه السلام

(ارفقوا بأنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً
قريباً وهو معكم) وكانت حصون خيبر ثلاثة منفصلاً بعضها عن بعض
وهي حصون النطاة وحصون الكشيبة وحصون الشق والأولى ثلاثة :
حصن ناعم وحصن الصعب وحصن قلة والثانية حصنان حصن أبي
وحصن البريء والثالثة ثلاثة حصون حصن القموص وحصن الوطيح
وحصن السلام فبدأ عليه السلام بحصون النطاة وعسكر المسلمون شرقها
بعيداً عن مدى النبل وأمر عليه السلام أن يقطع نخلمهم ليرهبهم حتى
يسلموا فقطع المسلمون نحو أربعمئة نخلة ولما رأى عليه السلام تصميم
اليهود على الحرب نهى عن القطع ثم ابتداء القتال مع حصن ناعم بالمرامة
وكان لواء المسلمين بيد أحد المهاجرين فلم يصنع في ذلك اليوم شيئاً وفيه
مات محمود بن مسامة أخو محمد بن مسامة وصار عليه السلام يغردو كل
يوم مع بعض الجيش للمناوشة ويخلف على العسكر أحد المسلمين حتى
إذا كانوا في الليلة السابعة ظفر حارس الجيش وهو عمر بن الخطاب
يهودي خارج في جوف الليل فأتى به رسول الله عليه السلام ولما أدرك
الرجل الرعب قال ان أمتهموني أدلكم على أمر فيه نجاحكم . فقالوا دلنا
فقد أمناك فقال ان أهل هذا الحصن أدركهم الملل والتعب وقد
تركهم يبعثون بأولادهم الى حصن الشق وسيخرجون لقتالكم غداً
فاذا فتح عليكم هذا الحصن غداً فاني أدلكم على بيت فيه منجنيق

ودبابات (١) ودروع وسيوف يسهل عليكم بها فتح بقية الحصون فانكم
تصبون المنجنيق ويدخل الرجال تحت الدبابات فينقبون الحصن فتفتحه
من يومك فقال عليه السلام لمحمد بن مسلمة سأعطي الراية غدًا رجلاً
يحب الله ورسوله ويحبانه فبات المهاجرون والأَنْصار كلهم يتمنونها
حتى قال عمر بن الخطاب ما تمنيت الامارة الا ليلتئذ فلما كان الغد
سأل عليه السلام عن علي بن أبي طالب فقيل له انه أرمد فأرسل من
يأتيه به ولما جاء تفلس في عينيه فشفاهما الله كأن لم يكن بهما شيء ثم
أعطاه الراية فتوجه مع المسلمين للقتال وهناك وجدوا اليهود متجهزين
فخرج يهودي يطلب البراز فقتله علي ثم خرج مرحب وهو أشجع القوم
فألقه برفيقه فخرج أخوه ياسر فقتله الزبير بن العوام ثم حمل المسلمون
على اليهود حتى كشفوهم عن مواقعهم وتبعوهم حتى دخلوا الحصن بالقوة
وانهزم الأعداء الى الحصن الذي يليه وهو حصن الصعب وغنم المسلمون
من حصن ناعم كثيراً من الخبز والتمر ثم تتبعوا اليهود الى حصن الصعب
فقاتل عنه اليهود قتالاً شديداً حتى رد عنه المسلمون ولكن ثبت الحباب
ابن المنذر ومن معه وقاتلوا قتالاً شديداً حتى هزموا اليهود فتبعوهم حتى
افتتحوا عليهم الحصن فوجدوا فيه غنائم كثيرة من الطعام فأمر عليه

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبونه

وهم في جوفها

السلام منادياً يقول كلوا واعلفوا دوابكم ولا تأخذوا شيئاً . ثم ان الذين
 انهزموا من هذا الحصن ساروا الى حصن قلة فتبعهم المسلمون وحاصروهم
 ثلاثة أيام حتى استصعب عليهم فتحه وفي اليوم الرابع دهم يهودي على
 جداول الماء التي يستقى منها اليهود فمنعوا عنهم فخرجوا وقاتلوا قتالاً
 شديداً انتهى بهزيمتهم الى حصون الشق فتبعهم المسلمون وبدؤوا
 بحصن أبي فخرج أهله وقاتلوا قتالاً شديداً أبلى فيه أبو دجاجة
 الأنصاري بلاءً حسناً حتى تمكن من دخول الحصن عنوة ووجد
 المسلمون فيه أثاثاً كثيراً ومتاعاً وغنماً وطعاماً وهرب المهزومون منه الى
 حصن البريء فتمنعوا به أشد التمتع وكان أهله أشد اليهود رمياً بالنبل
 والحجارة حتى أصاب رسول الله بعض منه فنصب المسلمون عليه
 المنجنيق فوقع في قلب أهله الرعب وهربوا منه من غير عناء شديد
 فوجد فيه المسلمون أواني لليهود من نحاس وفخار فقتل عليه السلام
 اغسلوها واطبخوا فيها ثم تتبع المسلمون بقايا العدو الى حصون الكشيبة
 وبدؤوا بحصن القموص فحاصروه عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد علي
 ابن أبي طالب ومنه سببت صفية بنت حيي بن أخطب ثم سار المسلمون
 لحصار حصني الوطيح والسلام فلم يقاوم أهلها بل سلموا طالبين حقن
 دماهم وأن يخرجوا من أرض خيبر بذرارهم لا يصطحب الواحد منهم
 إلا ثوباً واحداً على ظهره فأجابهم رسول الله الى ذلك وغنم المسلمون

من هذين الحصنين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية ووجدوا صحفاً من التوراة فسلموها لطالبها وقد أمر عليه السلام بقتل كنانة بن أبي الحقيق لأنه أنكر حلي حبي بن أخطب وقد عثر عليها المسلمون فوجدوا فيها أساور ودمالج وخلاخيل وقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجواهر والزمرد وغير ذلك

(هذا) والذين استشهدوا من المسلمين بخيبر خمسة عشر رجلاً وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلاً وفي هذه الغزوة أهدت إحدى نساء اليهود كراع شاة مسمومة لرسول الله فأخذ منها مضغة ثم لفظها حيث علم أنها مسمومة وأكل منها بشر بن البراء فمات لوقته واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيء له بالمرأة التي فعلت هذه الفعلة فسألها عن سبب ذلك فأجابت قات ان كان نبياً لن يضره وان كان كاذباً أراحنا الله منه فعفا عنها عليه السلام

﴿ زواج صفية ﴾

وبعد تمام الظفر والنصر تزوج عليه السلام صفية بنت حبي سيد بني النضير وأصدقها عتقها وقد أسلمت رضي الله عنها فشرفت بأوممة المؤمنين

﴿ النهي عن نكاح المتعة ﴾

(ونهى) عليه السلام وهو بخيبر عن نكاح المتعة وهي النكاح

لأجل وقد كان حلالاً في الجاهلية واستعمل في بدء الاسلام حتى حرمه
الشرع في هذه السنة (ونهى) كذلك عن أكل لحوم الجمر الأهلية
فأكفأ المسلمون قدورها بعد أن نضجت ولم يطعموها

﴿ رجوع مهاجري الحبشة ﴾

(وحين) رجوع المسلمين من خيبر قدم من الحبشة جعفر بن أبي
طالب ومعه الأشعريون أبو موسى وقومه بعد أن أقاموا فيها نحواً من
عشر سنين آمنين مطمئنين وفرح عليه السلام بمقدمهم فرحاً عظيماً
وأعطى للأشعريين من مغانم الحصون المفتوحة صلحاً وكان مع جعفر
أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين (وقدم) في هذا الوقت على النبي
عليه السلام الدوسيون اخوان أبي هريرة رضي الله عنه وهو معهم
فأعطاهم أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ فتح فدك ﴾

وبعد تمام الفتح أرسل عليه السلام من يطلب من يهود فدك (١)
الانقياد والطاعة فصالحوا رسول الله على أن يحقن دماءهم ويتركوا
الأموال وكانت أرض فدك هذه لرسول الله خاصة ينفق منها على
نفسه ويعول منها صغير بني هاشم ويزوج منها أيتهم

(١) حصن قريب من خيبر على ست ليال من المدينة

﴿ صلح تيماء ﴾

ولما بلغ يهود تيماء (١) ما فعله المسلمون بيهود خيبر صالحوا على دفع
الجزية ومكثوا في بلادهم آمنين مطمئنين

﴿ فتح وادي القرى ﴾

ثم دعا عليه السلام يهود وادي القرى الى الاستسلام فأبوا وقتلوا
فقاتلهم المسلمون وأصابوا منهم أحد عشر رجلاً وغنموا منهم مغانم
كثيرة خمسها عليه السلام وترك الأَرْض في أيدي أهلها يزرعونها بشرط
ما يخرجون منها وكذلك صنع بأرض خيبر وكان يرسل اليهم عبد الله
ابن رواحة لتقدير الثمر وكان تقديره شديداً عليهم فأرادوا أن يرشوه
فقال لهم يا أعداء الله تعطوني السحت والله لقد جئتكم من عند أحب
الناس اليّ ولأنتم أبغض اليّ من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي
إياكم وحيي إياه على أن لا أعدل (هذا) وباتقياد جميع اليهود المجاورين
للمدينة ارتاح المسلمون من شر عدوّ كان يتربص بهم الدوائر مهما
كان بين الفريقين من العهود والمواثيق ورجع المسلمون مؤيدين ظافرين

(١) قرية على ثمان مراحل من المدينة

﴿ اسلام خالد ورفيقه ﴾

وأعقب هذه الغزوة وهذا الفتح المبين اسلام ثلاثة طالما كانت لهم اليد الطولى في قيادة الجيوش لحرب المسلمين وهم خالد بن الوليد المخزومي وعمرو بن العاصي السهمي وعثمان بن أبي طلحة العبدري فسر بهم عليه السلام سروراً عظيماً وقال لخالد (الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك الا الى خير) فقال يا رسول الله ادع الله لي أن يغفر تلك المواطن التي كنت أشهداها عليك فقال له عليه السلام (الاسلام يقطع ما قبله)

﴿ سرية ﴾

وفي شعبان بلغه عليه السلام أن جمعاً من هوازن بتربة (١) يظهرون العداوة للمسلمين فأرسل لهم عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً فسار اليهم ولما بلغهم الخبر تفرقوا فلم يجد بها عمر أحداً فرجع

﴿ سرية ﴾

(ثم) أرسل بشير بن سعد الأنصاري لقتال بني مرة بناحية فدك فلما ورد بلادهم لم ير منهم أحداً فأخذ نعمهم أما القوم فكانوا

(١) واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها

في الوادي فجاءهم الصريح فأدركوا بشيراً ليلاً وهو راجع فتراموا بالنبل
 ولما أصبح أصبح اقتتل الفريقان قتالاً شديداً حتى قتل غالب المسلمين
 وجرح بشير جرحاً شديداً حتى ظن أنه مات ولما انصرف عنه العدو
 تحامل حتى جاء إلى رسول الله وأخبره الخبر (وفي) رمضان أرسل عليه
 السلام غالب بن عبيد الله الليثي إلى أهل الميعة (١) في مائة وثلاثين
 رجلاً فساروا حتى هجموا على القوم فقتلوا بعضاً وأسروا آخرين وفي
 أثناء الحرب طارد أسامة بن زيد رجلاً من المشركين ولما رأى المشرك
 الموت في يد أسامة تشهد فظن أسامة أن عدوه إنما قال ذلك تخلصاً
 فقتله ولما رجع المسلمون إلى المدينة وأخبر عليه السلام بفعله أسامة قال
 أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله فكيف تصنع بلا إله إلا الله قال يا رسول
 الله إنما قالها متعوذاً من القتل قال عليه السلام فهلا شققت عن قلبه
 فتعلم أصادق هو أم كاذب فقال يا رسول الله استغفر لي قال عليه السلام
 فكيف بلا إله إلا الله فما زال يكررها حتى تمنى أسامة أنه لم يسلم قبل
 ذلك اليوم وأنزل الله في ذلك في سورة النساء (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم
 السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة)
 ثم أمر عليه السلام أسامة أن يعتق رقبة كفارة لأنه قتل خطأ

﴿ سرية ﴾

(وفي) شوال بلغه عليه السلام أن عيينة بن حصن واعد جماعة من غطفان كانوا مقيمين قريباً من خيبر بأرض اسمها يمن وجبار للاغارة على المدينة فأرسل لهم بشير بن سعد في ثلاثمائة رجل فساروا اليهم يكتنون النهار ويسرون الليل حتى أتوا محلهم فأصابوا نهماً كثيرة وتفرق الرعاء فأخبروا قومهم ففزعوا ولحقوا بعلياً بلادهم ولم يظفر المسلمون إلا برجلين أسلما ثم رجعوا بالغنائم الى المدينة

﴿ عمرة القضاء ﴾

لما حال الحول على عمرة الحديبية خرج عليه السلام بمن صد معه فيها ليقتضى عمرته واستخلف على المدينة أبا ذر الغفاري وساق معه الهدي ستين بدنة وأخرج معه السلاح حذراً من غدر قريش وكان معه مائة فرس عليها بشير بن سعد وأحرم عليه السلام من باب المسجد المدني ولما انتهى الى ذي الخليفة قدم الخيل أمامه ثقيل يا رسول الله حملت السلاح وقد شرطوا أن لا تحمله فقال عليه السلام لا ندخل الحرم به ولكن يكون قريباً منا فان هاجنا هائج فزعنا له فلما كان بمر الظهران قابله نفر من قريش ففزعوا من هذه العدة وأسرعوا الى قومهم فأخبروهم فجاءه فتيان منهم وقالوا والله يا محمد ما عرفت بالغدر صغيراً

ولا كبيراً وإنما لم نحدث حدثاً فقال أنا لا ندخل الحرم بالسلاح ولما
 حان وقت دخوله مكة خرج أهلها كارهين رؤية المسلمين يطوفون
 بالبيت فدخل عليه السلام وأصحابه متوشحين سيوفهم من ثنية كداء
 وأمامه عبد الله بن رواحة يقول لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر
 عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وظاف عليه السلام بالبيت
 وهو على راحلته واستلم الحجر بحجته وأمر أصحابه أن يسرعوا ثلاثة
 أشواط إظهاراً للقوة لأن المشركين قالوا سيطوف اليوم بالكعبة قوم
 نهكتهم حمى يثرب فقال عليه السلام رحم الله امرأ أراهم من نفسه قوة
 واضطبع عليه السلام بردائه وكشف عضده اليميني شأن الفتوة وفعل
 مثله المسلمون وقد آمن المسلمون طوافهم بالبيت آمنين محلقي رؤوسهم
 ومقصرين كما رأى عليه السلام في منامه

﴿ زواج ميمونة ﴾

وتزوج صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ميمونة بنت الحارث الهلالية
 زوج عمه حمزة بن عبد المطلب شهيد أحد وخالة عبد الله بن العباس
 وهي آخر نسائه زواجا ولم يدخل بها إلا بعد الخروج من مكة حيث
 كان بسرف (١) ولما خرج عليه السلام أمر الذين كان تركهم لحراسة

(١) موضع قرب التنعيم

الخيل بالذهب ليطوفوا ففعلوا ثم رجع عليه السلام الى المدينة فرحاً
مسروراً بما حباه الله به من تصديق رؤياه

﴿ السنة الثامنة ﴾

(سرية)

وفي صفر أرسل عليه السلام غالب بن عبد الله الليثي الى بني
الملوح وهم قوم من العرب يسكنون بالكديد (١) فسار القوم حتى اذا
كانوا بقديد التقوا بالحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء وكان
خصماً لدوداً للمسلمين فأسروه فقال لهم ما جئت الا للاسلام فقالوا له
ان تكن مسلماً لن يضرك رباط ليلة والا استوثقنا منك ثم ساروا حتى
وصلوا محلة بني الملوح فاستاقوا النعم والشاء وخرج الصريح الى القوم
فجاءهم ما لا قبل لهم به ولكن من الله على المسلمين فأرسل سيلاً
شديداً حال بينهم وبين عدوهم حتى صار المشركون يرون نعمهم تساق
وهم لا يقدرون على ردها

﴿ سرية ﴾

ولما رجع غالب الى المدينة ظافراً أرسله عليه السلام في مائتي رجل

(١) موضع بين عسفان وقديد

ليقتص من بني مرة بفدك وهم الذين أصابوا سرية بشير بن سعد فساروا حتى اذا كانوا قريباً من القوم خطب غالب فيمن معه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه (أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وأن تطيعوني ولا تخالفوا لي أمراً فانه لا رأي لمن لا يطاع) ثم آخى بين الجند فقال يا فلان أنت وفلان ويا فلان أنت وفلان لا يفارق أحد منكم زميله وإياكم أن يرجع الرجل منكم فأقول له أين صاحبك فيقول لا أدري فاذا كبرت فكبروا فلما أحاطوا بالعدو وكبر كبروا وجردوا السيوف فلم يفلت من عدوهم أحد واستاقوا نعمهم فكان لكل واحد من الغزاة عشرة أبعرة

﴿ سرية ﴾

(وفي) ربيع الأول أرسل عليه السلام كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاق من أرض الشام في خمسة عشر رجلاً فوجدوا جمعاً كثيراً فدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا وقاتلوا وكانوا أكثر عدداً فاستشهد المسلمون عن آخرهم إلا رئيسهم كعب بن عمير فانه نجا وأتى بالخبر الى رسول الله فشق عليه وأراد أن يبعث اليهم من يقتص منهم فبلغه أنهم تحولوا من منزلهم فعدل عن ذلك

﴿ غزوة مؤتة ﴾

جهز عليه السلام في جمادى الأولى جيشاً للقصاص ممن قتلوا
الحارث بن عمير الأزدي رسوله الى أمير بصرى وأمر عليهم زيد بن
حارثة وقال لهم ان أصيب فالأمر مير جمعفر بن أبي طالب فان أصيب فعبد
الله بن رواحة وكان عدة الجيش ثلاثة آلاف فساروا وشيعهم عليه
السلام وكان فيما وصاهم به (أغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم
بالشام وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معترلين فلا تتعرضوا لهم ولا
تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا بصيراً فانياً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا
بناء) ولم يزلوا سائرين حتى وصلوا مؤتة (١) مقتل الحارث بن عمير
وهناك وجدوا الروم مجتمعين لهم جمعاً عظيماً منهم ومن العرب المنتصرة
فتفاوض رجال الجيش فيما يفعلونه أيرسلون لرسول الله يطلبون منه مدداً
أم يقدمون على الحرب فقال عبد الله بن رواحة يا قوم والله ان الذي
تكروهون هو ما خرجتم له خرجتم تطلبون الشهادة ونحن ما نقاتل بقوة
ولا بكثرة ما نقاتل الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانما هي احدى
الحسينين إما الظهور وإما الشهادة فقال الناس صدق والله ابن رواحة
ومضوا للقتال فلقوا هذه الجموع المتكاثرة فقاتل زيد بن حارثة رضي

(١) قرية قريبة من الكرك وهي مشارف الشام

الله عنه حتى استشهد فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب وهو يقول

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

عليّ إذ لاقيتها ضرابها

ولم يزل يقاتل حتى استشهد رضي الله عنه فأخذ الراية عبد الله بن

رواحه فتقدم ثم تردد بعض التردد فقال يخاطب نفسه

أقسمت يا نفس لتنزلنه طائفة أو لا لتكرهنه

ان أجلب الناس وشدوا الرنه مالي أراك تكرهين الجنة

قد طالما كنت مطمئنة هل أنت الان نطفة في شنة

ثم اقتحم بفرسه المعصية ولم يزل يقاتل رضي الله عنه حتى استشهد

فهم بعض المسلمين بالرجوع الى الورا فقال لهم عقبه بن عامر يا قوم

يقتل الانسان مقبلاً خير من أن يقتل مدبراً فتراجعوا واتفقوا على تأمير

الشهم الباسل خالد بن الوليد وبهيمته ومهارته الحربية حمى هذا الجيش

من الضياع إذ ما تفعل ثلاثة آلاف بمائة وخمسين ألفاً فانه لما أخذ الراية

قاتل يومه قتالاً شديداً وفي غده خالف ترتيب العسكر فجعل الساقة

مقدمة والمقدمة ساقة والميمنة ميسرة والميسرة ميمنة فظن الروم أن

المسدد جاء للمسلمين فرعبوا ثم أخذ خالد الجيش وصار يرجع الى الورا

حتى انحاز الى مؤتة ثم مكث يناوش الأعداء سبعة أيام ثم تحاجز الفريقان

لأن الكفار ظنوا أن الامداد تتوالى للمسلمين وخافوا أن يجروهم الى
 وسط الصحاري حيث لا يمكنهم التخلص وبذلك اتقطع القتال وقد
 نعى النبي صلى الله عليه وسلم زيدياً وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن
 يأتيهم خبرهم فقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم
 أخذها ابن رواحة فأصيب وكانت عينا رسول الله تذر فان ثم قال حتى
 أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم وجاءه رجل فقال
 يا رسول الله ان نساء جعفر يبكين فأمره أن ينهأهن فذهب الرجل ثم
 أتى فقال قد نهيتهن فلم يطعن فأمره فذهب ثانياً ثم جاء فقال والله لقد
 غلبنا فقال له عليه السلام أحث في أفواههن التراب ولما أقبل الجيش
 الى المدينة قابلهم المسلمون يقولون لهم يا فرار فقال عليه السلام بل هم
 الكرار. ظن المقيمون بالمدينة أن انحياز خالد بالجيش هزيمة ولكن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أراهم أن ذلك من مكاييد الحرب وأثنى
 على خالد في مهارته

﴿ سرية ﴾

وفي جمادى الآخرة بلغه عليه السلام أن جمعاً من قضاة
 يتجمعون في ديارهم وراء وادي القرى ليغيروا على المدينة فأرسل لهم
 عمرو بن العاص في ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين ثم أمده بأبي عبيدة

ابن الجراح في مائتين من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر فلاحقوا عمرًا قبل
أن يصل إلى القوم وقد أراد رجال من الجيش إيقاد نار فمنعهم عمرو
فأنكر عليه عمر بن الخطاب فقال أبو بكر إنما بعث رسول الله علينا رئيسًا
لمعرفته بالحرب أكثر منا فلا تعصه فامتلأ ولما حلوا بساحة القوم حملوا
عليهم فلم يكن أكثر من ساعة حتى تفرق الأعداء منهزمين فجمعوا
غنائهم وأرادوا اتباع أثرهم فمنعهم قائدهم ثم رجعوا إلى المدينة ظافرين
وبيناهم في الطريق أدركت عمرو بن العاص جنابة في ليلة باردة فلما
أصبح قال إن أنا اغتسلت هلكت والله يقول (ولا تلقوا بأيديكم إلى
التهلكة) ثم تيمم وصلى ثم أمر بالسير حتى إذا وصلوا المدينة قام رسول
الله عليه السلام يسأل عن أبناء سفرهم كما هي عادته فأخبروه بما تقومه
من عمرو بن العاص من نهيمهم عن إيقاد النار ونهيمهم عن اتباع العدو
وصلاته جنبًا فسأله عليه السلام عن ذلك فقال منعهم من إيقاد النار
لثلا يرى العدو قلوبهم فيطمع فيهم وتهيتهم عن اتباع العدو لثلا يكون
له كمين وصليت جنبًا لأن الله يقول (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)
وان أنا اغتسلت هلكت فتبسم عليه السلام وأثنى على عمرو خيرًا

﴿ سرية ﴾

وفي رجب أرسل عليه السلام أبا عبيدة عامر بن الجراح في ثلاثمائة

فارس لغزو قبيلة جهينة التي تسكن ساحل البحر وزود عليه السلام هذا الجيش جراباً من التمر فساروا حتى اذا وصلوا الساحل أقاموا فيه نحو نصف شهر ينتظرون العدو وقد فني زادهم حتى أكلوا الخبط وهو ورق السمربيلونه بالماء ويأكلونه الى أن تقرحت أشداقهم وكان في القوم الكريم ابن الكريم قيس بن سعد بن عبادة فنحروهم ثلاث جزر في كل يوم جزور وفي اليوم الرابع أراد أن ينحرفناه رئيسه أبو عبيدة لأن قيساً كان أخذ تلك الجزر بدين على أبيه فخاف أبو عبيدة أن لا يفي له أبوه بما استدان فقال قيس أترى سعداً يقضي ديون الناس ويطعم في المجاعة ولا يقضي ديناً استدنته لقوم مجاهدين في سبيل الله ولما يئسوا من لقاء عدوهم رجعوا الى المدينة فقال قيس بن سعد لأبيك كنت في الجيش فجاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نهيت

﴿ غزوة الفتح الا عظم ﴾

اذا أراد الله أمراً هياً أسبابه وأزال موانعه فقد كان عليه السلام يعلم أنه لا تذلل العرب حتى تذلل قريش ولا تنقاد البلاد حتى تنقاد مكة فكان يتشوف لفتحها ولكن كان يمنعه من ذلك العهد التي أعطاها قريشاً في الحديبية وهو سيد من وفي ولكن اذا أراد الله أمراً هياً

أسبابه فقد علمت أن قبيلة خزاعة دخلت في عهد رسول الله وقبيلة بكر
 دخلت في عهد قريش وكان بين خزاعة وبكر دماء في الجاهلية كمنت
 تارها بظهور الاسلام فلما حصلت الهدنة وقف رجل من بكر يتغنى
 بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على مستمع من رجل خزاعي فقام
 هذا وضربه فحرك ذلك كامن الأحقاد وتذكر بنو بكر نارهم فشدوا
 العزيمة لحرب خصومهم واستعانوا بأوليائهم من قريش فأعانوهم سرًا
 بالعدة والرجال ثم توجهوا الى خزاعة وهم آمنون فقتلوا منهم ما يربو على
 العشرين ولما رأى ذلك حلفاء السيد الامين أرسلوا منهم وفدًا برياسة
 عمرو بن سالم الخزاعي ليخبر رسول الله بما فعل بهم بنو بكر وقريش فلما
 حلوا بين يديه وأخبروه الخبر قال والله لأمنعنكم مما أمنع نفسي منه . أما
 قريش فانهم لما رأوا أن ما عملوه نقض للعهود التي أخذت عليهم ندموا
 على ما فعلوا وأرادوا مداواة هذا الجرح فأرسلوا قائدهم أبا سفيان بن
 حرب الى المدينة ليشد العقد ويزيد في المدة فركب راحلته وهو يظن
 أنه لم يسبقه أحد حتى اذا جاء المدينة نزل على أم المؤمنين أم حبيبة بنته
 وقد أراد أن يجلس على فراش رسول الله فطوته عنه فقال يا بنية أرغبت
 به عني أم رغبت بي عنه فقالت ما كان لك أن تجلس على فراش رسول
 الله وأنت مشرك نجس فقال لقد أصابك بعدي شر ثم خرج من
 عندها وأتى النبي في المسجد وعرض عليه ما جاء له فقال عليه السلام

هل كان من حدث قال لا فقال عليه السلام فنحن على مدتنا وصلحنا
 ولم يزد عن ذلك فقام أبو سفيان ومشى الى أكبر المهاجرين من قريش
 عليهم يساعده على مقصده فلم يجد منهم معيناً وكلهم قالوا جوارنا في
 جوار رسول الله فرجع الى قومه ولم يصنع شيئاً فاتهموه بأنه خانهم وأتبع
 الاسلام فتنسك عند الاوثان لينقي عن نفسه هذه التهمة (أما) رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فتجهز للسفر وأمر أصحابه بذلك وأخبر الصديق
 بالوجهة فقال له يا رسول الله أو ليس بينك وبين قريش عهد قال نعم
 ولكن غدروا وتقضوا ثم استنفر عليه السلام الاعراب الذين حول المدينة
 وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة فقدم
 جمع من قبائل أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وطوى عليه السلام
 الأخبار عن الجيش كيلا يشيع الأمر فتعلم قريش فتستعد للحرب
 والرسول عليه السلام لا يريد أن يقيم حرباً بمكة بل يريد انقياد أهلها
 مع عدم المساس بحرماتها فدعا مولاة جل ذكره وقال (اللهم خذ العيون
 والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها) فقام حاطب بن أبي بلتعة
 أحد الذين شهدوا بدرًا وكتب كتاباً لقريش يخبرهم ببعض أمر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وأرسله مع جارية لتوصله الى قريش على جعل
 فأعلم الله رسوله ذلك فأرسل في أثرها علياً والزبير والمقداد وقال انطلقوا
 حتى تأتوا روضة خاخ فان بها طعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقوا

حتى أتوا الروضة فوجدوا بها المرأة فقالوا لها أخرجي الكتاب قالت
 ما معي كتاب فقالوا لتخرجي الكتاب أو لنلقين الثياب فأخرجته من
 عقاصها فاتوا به رسول الله فقال عليه السلام يا خاطب ما هذا قال
 يا رسول الله لا تعجل عليّ اني كنت حليفاً لقريش ولم أكن من
 أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم وأموالهم
 فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون
 بها قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام
 فقال عليه السلام أما انه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب
 عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله اطلع على
 من شهد بدرًا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم وفي ذلك أنزل الله
 سورة الممتحنة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء
 تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول
 وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء
 مرضاتي تسرون اليهم بالموودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعل
 منكم فقد ضل سواء السبيل) ثم سار عليه السلام بهذا الجيش العظيم
 في منتصف رمضان بعد أن ولي على المدينة ابن أم مكتوم وكانت
 عدة الجيش عشرة آلاف مجاهد ولما وصل الابواء لقيه اثنان كانا من
 أشد أعدائه وهما ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب شقيقه

عبيدة بن الحارث شهيد بدر وصهره عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة شقيق زوجته أم سلمة وكانا يريدان الاسلام فقبلهما عليه السلام وفرح بهما شديد الفرح وقال (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ولما وصل عليه السلام الكديد رأى أن الصوم شق على المسلمين فأمرهم بالفطر وأفطر هو أيضاً وقد قابل عليه السلام في الطريق عمه العباس بن عبد المطلب مهاجراً بأهله وعياله فأمره أن يعود معه الى مكة ويرسل عياله الى المدينة . ولما وصل عليه السلام من الظهران أمر بإيقاد عشرة آلاف نار وكان قريش قد بلغهم أن محمداً زاحف بجيش عظيم لا تدري وجهته فأرسلوا أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله فأقبلوا يسرون حتى أتوا من الظهران فاذا هم بنيران كأنها نيران عرفة فقال أبو سفيان ما هذه الكأنها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء نيران بني عمرو فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك فراهم ناس من حرس رسول الله فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس احبس أبا سفيان عند حطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر كتبية كتبية على أبي سفيان وهو يسأل عنها ويقول مالي ولها حتى اذا مرت به قبيلة الأنصار وحامل رايتها سعد بن عبادة فقال سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان

يا عباس حينذا يوم الذمار ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتاب فيها رسول الله وأصحابه وحامل الراية الزبير بن العوام فأخبر أبو سفيان رسول الله بمقالة سعد فقال عليه السلام كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة ثم أمر عليه السلام أن تركز رايته بالحبون (١) وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة من كدي (٢) ودخل هو من أعلاها من كداء ونادى مناديه من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن وهذه أعظم منة له واستثنى من ذلك جماعة عظمت ذنوبهم وآذوا الاسلام وأهله عظيم الأذى فأهدر دمهم وان تعلقوا بأستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي أسلم وكتب لرسول الله الوحي ثم ارتدّ وافترى الكذب على الأمين المأمون فكان يقول ان محمداً كان يأمرني أن أكتب عليهم حكيم فأكتب غفور رحيم فيقول كل جيد ومنهم عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وهبار بن الأسود والحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية وكعب بن زهير ووحشي قاتل حمزة وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان وقليل غيرهم ونهى عن

(١) جبل بمقالة مكة (٢) كدي كقوى جبل مسفلة مكة

على طريق اليمن وكداء كسحاب جبل بأعلى مكة

قتل واحد سوى هؤلاء إلا من قاتل (فأما) جيش خالد بن الوليد
فقابله الذعر من قريش يريدون صده فقاتلهم وقتل منهم أربعة
وعشرين وقتل من جيشه اثنان ودخلها عنوة من هذه الجهة (وأما)
جيش رسول الله صلي الله عليه وسلم فلم يصادف مانعاً وهو عليه السلام
راكب راحلته منحني على الرحل تواضعاً لله وشكراً له على هذه النعمة
حتى تكاد جبهته تمس الرحل وأسامة بن زيد رديفه وكان ذلك صبح
يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان حتى وصل الى الحجون موضع
رايته وقد نصبت له هناك قبة فيها أم سلمة وميمونة فاستراح قليلاً ثم
سار وبجانبه أبو بكر يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى بلغ البيت وظاف
سبعاً على راحلته واستلم الحجر بمحجنه وكان حول الكعبة اذ ذلك ثلاثمائة
وستون صنماً فجعل عليه السلام يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق
وزهق الباطل وما يبدي الباطل وما يعيد ثم أمر بالآلهة فأخرجت من
البيت وفيها صورة اسماعيل و ابراهيم في أيديهما الأزام فقال عليه السلام
قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط وهذا أول يوم طهرت فيه الكعبة
من هذه المعبودات الباطلة وبطهارة الكعبة المقدسة عند جميع العرب
بأديها وحاضرها من هذه الأذناس سقطت عبادة الأوثان من جميع
بلاد العرب الا قليلاً ويوشك أن نذكر للقاري اقتفاء آثارها ومحو

﴿ العفو عند المقدرة ﴾

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وكبر في نواحيها ثم
 خرج الى مقام ابراهيم وصلى فيه ثم شرب من زمزم وجلس في المسجد
 والناس حوله والعيون شاخصة اليه ينتظرون ما هو فاعل بمشركي قريش
 الذين آذوه وأخرجوه من بلاده وقتلوه ولكن هنا تظهر مكارم الأخلاق
 التي يلزم أن يتعلم منها المسلم أن يكون رضاء وغضبه لله لا لهوى النفس
 فقال عليه السلام يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم قالوا خيرًا
 أخ كريم وابن أخ كريم فقال عليه السلام اذهبوا فأنتم الطلقاء ويرحم
 الله الامام البوصيري حيث قال

واذا كان القطع والوصل لا ه تساوى التقريب والاقصاء

وسواء عليه فيما أتاه من سره الملام والاطراء

ولو أن انتقامه لهوى النفس س لدامت قطيعة وجفاء

قام لله في الأمور فأرضى الا ه منه تباين ووفاء

فعله كله جميل وهل ينضج ح الا بما حواه الاناء

ثم خطب عليه السلام خطبة أبارت فيها كثيرًا من الاحكام
 الاسلامية منها أن لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين
 ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها والبينة على من ادعى واليمين على

من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم ولا صلاة بعد
 الصبح والعصر ولا يصام يوم الأضحى ويوم الفطر ثم قال يا معشر قريش
 ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم
 وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر
 وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم
 ان الله عليم خبير) ثم شرع الناس يبايعون رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على الاسلام وممن أسلم في هذا اليوم معاوية بن أبي سفيان وأبو
 قحافة والد الصديق وقد فرح الرسول كثيراً باسلامه وجاءه رجل يرتعد
 خوفاً فقال له عليه السلام (هوّن عليك فاني لست بملك انما أنا ابن
 امرأة من قريش كانت تأكل القديد)

أما الذين أهدر رسول الله دمهم فقد ضاقت عليهم الأرض بما
 رحبت فمنهم من حقت عليه كلمة العذاب فقتل ومنهم من أدركته
 عناية الله فأسلم فعبد الله بن سعد بن أبي سرح لجأ الى أخيه من
 الرضاع عثمان بن عفان وطلب منه أن يستأمن له رسول الله فغيبه عثمان
 حتى هدا الناس ثم أتى به النبي وقال يا رسول الله قد أمنت فبايعه
 فأعرض عنه عليه السلام مراراً ثم بايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال
 عليه السلام أعرضت عنه ليقوم اليه أحدكم فيضرب عنقه فقالوا هلا
 أشرت الينا فقال (لا ينبغي لنبى أن تكون له خائنة الأعين) (وأما)

عكرمة بن أبي جهل فهرب فخرجت وراءه وزوجه وبنت عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت قد أسلمت قبل الفتح وقد أخذت له أماناً من رسول الله فلهحقته وقد أراد أن يركب البحر فقالت جثك من عند أبرّ الناس وخيرهم لا تهلك نفسك واني قد استأمته لك فرجع ولما رآه عليه السلام وثب قائماً فرحاً به وقال مرحباً بمن جاءنا مهاجراً مسلماً ثم أسلم رضي الله عنه وطلب من رسول الله أن يستغفر له كل عداوة عاداه إياها فاستغفر له وكان رضي الله عنه بعد ذلك من خيرة المسلمين وأغيرهم على الاسلام (وأما) هبار بن الأسود فهرب واختفى حتى اذا كان رسول الله بالجعرانة (١) جاءه مسلماً وقال يا رسول الله هربت منك وأردت اللحاق بالأعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عنم جهل عليك وكنا يا رسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وأتقنا من الهلكة فاصفح الصفح الجميل فقال عليه السلام قد عفوت عنك (وأما) الحارث ابن هشام وزهير بن أبي أمية المخزومي فأجارتهما أم هانيء بنت أبي طالب فأجاز عليه السلام جوارها ولما قابل رسول الله الحارث بن هشام مسلماً قال له الحمد لله الذي هدانا لهذا ما كنا مثلك يجهل الاسلام وقد كان بعد ذلك من فضلاء الصحابة (وأما) صفوان بن أمية فاختفى وأراد

(١) موضع بين مكة والطائف وبعضهم يضبطه بسكون العين وفتح

أن يذهب ويلقى نفسه في البحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي وقال يا نبي الله ان صفوان سيد قومه وقد هرب ليقذف نفسه في البحر فأمنه فانك قد أمنت الأحمر والأسود فقال عليه السلام أدرك ابن عمك فهو آمن فقال أعطني علامة فأعطاه عمامته فأخذها عمير حتى اذا لقي صفوان قال له فداك أبي وأمي جئتك من عند أفضل الناس وأبرّ الناس وأحلم الناس وخير الناس وهو ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال صفوان اني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراه العمامة علامة الأمان فرجع الى رسول الله وقال له ان هذا يزعم انك أمنتني قال صدق قال أمهاني بالخيار شهرين قال أربعة أشهر ثم أسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه (وأما) هند بنت عتبة فاختمت ثم أسلمت وجاءت الى رسول الله فرحب بها وقالت له يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب اليّ أن يذلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم أهل خباء أحب اليّ أن يعزوا من أهل خبائك ﴿ وفود كعب بن زهير ﴾

(وأما) كعب بن زهير فلما ضاقت به الأرض ولم يجد له مجيراً جاء المدينة بعد أن قدمها رسول الله من مكة فأسلم وأنشد قصيدته التي يقول فيها

وقال كلّ صديق كنت آمله لا أهينك اني عنك مشغول

فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول
أنبتت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة قرآن فيها مواعظ وتفصيل
(وقال فيها مادحاً)

ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
ولما قال هذا البيت خلع عليه الرسول برده (وأما) وحشي قاتل
حمزة فكذلك أسلم وحسن اسلامه وقبله عليه الصلاة والسلام وقد جاءه
ابنا أبي لهب عتبة ومعتب فأسلما وفرح بهما عليه السلام
وكان من الذين اختفوا سهيل بن عمرو فاستأمن له ابنه عبد الله
فأمنه عليه السلام وقال ان سهيلاً له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل
الاسلام فلما بلغت هذه المقالة سهيلاً قال كان والله برّاً صغيراً برّاً كبيراً
ثم أسلم بعد ذلك

﴿ بيعة النساء ﴾

هذا ولما تمت بيعة الرجال بايعه النساء وكنّ يبايعن على ألا يشركن
بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان
يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين الرسول في معروف (ثم)

أمر عليه السلام بلالاً أن يؤذن على ظهر الكعبة وهذا بدء ظهور الاسلام
على ظهر البيت الكريم فلا عجب ان اتخذ المسلمون هذا اليوم عيداً
يحمدون فيه الله حق حمده على هذه النعمة الكبرى والنصر العظيم
وأقام عليه السلام بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوماً يقصر فيها
الصلاة وولى عليها عتاب بن أسيد وجعل رزقه كل يوم درهماً فكان
عتاب رضي الله عنه يقول لا أشبع الله بطناً جاع على درهم كل يوم

﴿ هدم العزى ﴾

(وفي الخامس) من مقامه عليه السلام بمكة أرسل خالد بن
الوليد في ثلاثين فارساً لهدم هيكل العزى وهي أكبر صنم لقريش
وكان هيكلها يبطن نخلة فتوجه اليها خالد وهدمها

﴿ هدم سواع ﴾

(وأرسل عليه السلام) عمرو بن العاص لهدم سواع وهو أعظم
صنم لهذيل وهيكله على ثلاثة أميال من مكة فذهب اليه وهدمه

﴿ هدم مناة ﴾

(وبعث) سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارساً لهدم مناة
وهي صنم لكعب وخزاعة وهيكلها بالمشلل وهو جبل على البحر يهبط
منه الى قديد فتوجهوا اليها وهدموها

﴿ غزوة حنين ﴾

بهذا الفتح العظيم وسقوط دولة الأوثان دانت للإسلام جموع العرب ودخلوا فيه أفواجا أما قبيلتنا هوازن وثقيف فأدركنهما حمية الجاهلية واجتمع الأشراف منهم للشورى وقالوا قد فرغ محمد من قتال قومه ولا ناهية له عنا فلنغزاه قبل أن يغزونا فأجمعوا أمرهم على ذلك وولوا رياستهم مالك بن عوف النصرى فاجتمع له من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر الذين كان رسول الله مسترضعا فيهم وكان في القوم دريد بن الصمة المشهور باصالة الرأي وشدة البأس في الحرب ولتقدم سنه لم يكن له في هذه الحرب الا الرأي ثم ان مالك بن عوف أمر الناس أن يأخذوا معهم نساءهم وذرائعهم وأموالهم فلما علم بذلك دريد سأل مالكا عن السبب فقال سقت مع الناس أموالهم وذرائعهم ونساءهم لأجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنه فقال دريد وهل يرد المنهزم شيء ان كانت لك لم ينفك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك فلم يقبل مالك مشورته وجعل النساء صفوفاً وراء المقاتلة ووراءهم الابل ثم البقر ثم الغنم كيلا يفر أحد من المقاتلين (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما بلغه أن هوازن وثقيف يستعدون لحربه أجمع رأيه على المسير اليهم وخرج معه اثنا عشر

ألف غاز منهم ألفان من أهل مكة والباقون هم الذين أتوا معه من المدينة
وخرج أهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء يمشين من غير ضعف يرجون
الغنائم وخرج في الجيش ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل
ابن عمرو ولما قرب الجيش من معسكر العدو صف عليه السلام العزاة وعقد
الألوية فأعطى لواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب ولواء الخزرج للحباب
ابن المنذر ولواء الأوس لأسيد بن حضير وكذلك أعطى ألوية لقبائل
العرب الأخرى ثم ركب عليه السلام بغلته ولبس درعين والبيضة والمغفر
هذا وقد أعجب المسلمون بكثرتهم فلم تغن عنهم شيئا فان مقدمة
المسلمين توجهت جهة العدو فخرج لهم كمين كان مستترا في شعاب
الوادي ومضايقه وقابلهم بنبل كأنه الجراد فلووا أعنة خيلهم متقهقرين
ولما وصلوا الى من قبلهم تبعوهم في الهزيمة لما لحقهم من الدهشة أما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت على بغلته في ميدان القتال وثبت
معه قليل من المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس
وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة بن الحارث ومعتب
ابن أبي لهب وكان العباس آخذاً باجم البغلة وأبو سفيان آخذاً بالركاب
وكان عليه السلام ينادي الي أيها الناس ولا يلوي عليه أحد وضافت
بالمهزمين الارض بما رحبت أما رجال مكة الذين هم حديثو عهد بالاسلام
والذين لم ينزعوا عنهم ربة الشرك فمنهم من فرح ومنهم من ساءه هذا

الادبار فقال أبو سفيان بن حرب لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وقال
 أخ لصفوان بن أمية الآن بطل السحر فقال له صفوان وهو على شركة
 اسكت فض الله فاك والله لأن يرُبني رجل من قريش خير من أن
 يرُبني رجل من هوازن ومر عليه رجل من قريش وهو يقول أبشر
 بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبدًا فغضب صفوان وقال ويحك
 أتبشرنى بظهور الاعراب وقال عكرمة بن أبي جهل لذلك الرجل كونهم
 لا يجبرونها أبدًا ليس بيدك الأمر بيد الله ليس الى محمد منه شيء ان
 أدبيل عليه اليوم فان العاقبة له غدًا فقال سهيل بن عمرو الله ان عهدك
 بخلافه لحديث فقال له يا أبا يزيد انا كنا على غير شيء وعقولنا ذاهبة
 تعبد حجرًا لا يضر ولا ينفع (وبلغت) هزيمة بعض الفارين مكة
 كل هذا ورسول الله واقف مكانه يقول انا النبي لا كذب انا ابن
 عبد المطلب ثم قال للعباس وكان جهوري الصوت ناد بالأ نصار يا عباس
 فنادى يا معشر الأ نصار يا أصحاب بيعة الرضوان فأسمع من في الوادي
 وصار الأ نصار يقولون لبيك لبيك ويريد كل واحد منهم أن يلوي
 عنان بعيره فيمنعه من ذلك كثرة الاعراب المنهزمين فيأخذ درعه
 فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه وينزل عن بعيره ويخلي سبيله
 ويؤم الصوت حتى اجتمع حول رسول الله جمع عظيم منهم وأنزل الله
 سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودًا لم يروها فكروا المسلمون

على عدوهم يدًا واحدة فاتكث قتل المشركين وتفرقوا في كل وجه لا يلوون على شيء من الأموال والنساء والذراري وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فأخذوا النساء والذراري وأسروا كثيرًا من المحاربين وهرب من هرب وجرح في هذا اليوم خالد بن الوليد جراحات بالغة وأسلم ناس كثيرون من مشركي مكة لما رأوه من عناية الله بالمسلمين (هذا) والذي حصل في هذه الغزوة درس مهم من دروس الحرب فان هذا الجيش دخله أخلاط كثيرون من مشركين واعراب وحديثي عهد باسلام وهؤلاء سيان عندهم نصر الاسلام وخذلانه ولذلك بادروا لأول صدمة الى الهزيمة وكادت تتم الكلمة على المسلمين لولا فضل الله فلا ينبغي أن يكون في الجيش الا من يقاتل خالصًا مخلصًا من قلبه ليكون مدافعًا حقًا عن دينه فلا تميل نفسه الى الفرار خشية ما أعده الله للفارين من أليم العقاب

ثم أمر عليه السلام بجمع السبي والغنائم وكانت نحو أربعة وعشرين ألف بعير وأكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة فجمع ذلك كله بالجرعانة (أما) المشركون فتفرقوا ثلاث فرق فرقة لحقت بالطائف وفرقة لحقت بنخلة وفرقة عسكرت بأوطاس (١)

﴿ سرية ﴾

فأرسل عليه السلام لهذه الفرقة أبا عامر الأشعري في جماعة منهم
 أبو موسى الأشعري فسار اليهم وبدد لهم وظفر بما بقي معهم من الغنائم وقد
 استشهد أبو عامر في هذه الغزوة وخلف على الغزاة ابن أخيه أبو موسى
 فرجع ظافراً منصوراً

﴿ غزوة الطائف ﴾

(وسار) عليه السلام بمن معه الى الطائف ليجهز على بقية حياة
 ثقيف ومن تجمع معهم من هوازن وجعل على مقدمته خالد بن الوليد
 ومر عليه السلام بمحصن لعوف بن مالك النصرى فأمر بهدمه ومر
 يستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فأرسل اليه أن اخرج والا حرقنا
 عليك بستانك فامتنع الرجل فأمر عليه السلام بحرقه ولما وصل المسلمون
 الى الطائف وجدوا الأعداء قد تحصنوا به وأدخلوا معهم قوت سنتهم
 فعسكر المسلمون قريب الحصن فرماهم المشركون بالنبل رمياً شديداً
 حتى أصيب منهم كثيرون بجراحات منهم عبد الله بن أبي بكر وقد
 طالوه جرحه حتى أماته في خلافة أبيه ومنهم أبو سفيان بن حرب فقئت
 عينه وقد مات بالجراحات اثنا عشر رجلاً من المسلمين ولما رأى رسول
 الله أن العدو متمكن من رميهم ارتفع محل مسجد الطائف الآن

وضرب لام سلمة وزينب قبتان هناك واستمر الحصار ثمانية عشر يوماً
 كان فيها ينادي خالد بن الوليد بالبراز فلم يجبه أحد وناداه عبد ياليل
 عظيم ثقيف لا ينزل اليك منا أحد ولكن تقيم في حصننا فان فيه من
 الطعام ما يكفيننا سنين فان أقت حتى يفنى هذا الطعام خرجنا اليك
 بأسيافنا جميعاً حتى نموت عن آخرنا فأمر عليه السلام بأن ينصب عليهم
 المنجنيق فنصب ودخل جمع من الأصحاب تحت دبابتين (١) لينقبوا
 الحصن فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار حتى أرجعهم
 فأمر عليه السلام أن تقطع أعينهم ونخيلهم فقطع المسلمون فيها قطعاً
 ذريعاً فناداه أهل الحصن أن دعها لله وللرحم فقال أدعها لله وللرحم ثم
 أمر من ينادي بأن كل من ترك الحصن ونزل فهو آمن فخرج اليه بضعة
 عشر رجلاً (ولما) رأى عليه السلام أن تمنع ثقيف شديد وأن الفتح
 لم يؤذن فيه استشار نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب أو المقام فقال
 يا رسول الله ثعلب في جحران أقت أخذته وان تركته لم يضرك فأمر
 عليه السلام بالرحيل وطلب منه بعض الصحابة أن يدعو على ثقيف
 فقال (اللهم اهد ثقيفاً واثت بهم مسلمين)

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبون

﴿ تقسيم السبي ﴾

ثم رجع عليه السلام الى الجعرانة حيث ترك السبي فأحصاه وخمسه وأعطى منه شيئاً كثيراً لأناس ضعف إسلامهم يتألفهم بذلك وأعطى أناساً لم يسلموا ليحببهم في الاسلام ومن الأوابين أبو سفيان أعطاه أربعين أوقية من الذهب ومائة من الابل وكذلك ابنه معاوية ويزيد فقال له بأبي أنت وأمي لأنت كريم في السلم والحرب ومنهم حكيم بن حزام أعطاه كأبي سفيان فاستزاده فأعطاه مثلها ثم استزاده فأعطاه مثلها وقال يا حكيم (ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس يورث له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى) فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ما عداها ثم قال والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا فكان الخلفاء بعد رسول الله يعرضون عليه العطاء الذي يستحقه من بيت المال فلا يأخذه . وأعطى عليه السلام عيثة بن حصن مائة من الابل وكذلك الأقرع بن حابس والعباس بن مرداس وأعطى صفوان بن أمية شعباً مملوءاً نعاماً وشاء كان رآه يرمقه فقال له هل يعجبك هذا قال نعم قال هو لك فقال صفوان ما طابت بمثل هذا نفس أحد وكان ذلك سبب اسلامه . وكان عليه السلام يقصد من

هذه العطايا تأليف القلوب وجمعها على الدين القويم وهذا ضرب من
 ضروب السياسة الدينية حتى جعل من الصدقات قسم للمؤلفة قلوبهم
 وقد عاد ذلك بفائدة عظيمة فان كثيرين ممن أعطوا في هذا اليوم ولم
 يكونوا أشربوا في قلوبهم حب الاسلام صاروا بعد من أجلاء المسلمين
 وأعظمهم نفعا كصفوان بن أمية ومعاوية بن أبي سفيان والحارث بن
 هشام وغيرهم (ثم) أمر عليه السلام زيد بن ثابت فأحصى ما بقى من
 الغنائم وقسمه على الغزاة بعد ان اجتمع اليه الاعراب وصاروا يقولون له
 اقسم علينا حتى ألجئوه الى شجرة فتعلق رداؤه فقال (ردوا ردائي أيها
 الناس فوالله إن كان لي شجر تهامة نفعا لتقسمته عليكم ثم ما ألفتيموني
 بخيلا ولا جبانا ولا كدودا) ثم قام الى بعيه وأخذ وبرة من سنامه
 وقال (أيها الناس والله مالي من غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس
 والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والخيط فان الغلول (١) يكون على
 أهله عارا وشنارا ونارا يوم القيامة) فصار كل من أخذ شيئا من الغنائم
 خلسة برده ولو كان زهيدا ثم شرع يقسم فأصاب الراجل أربعة من
 الابل وأربعون شاة والفارس ثلاثة أمثال ذلك فقال رجل من المنافقين
 هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب عليه السلام حتى احمر وجهه
 وقال (ويحك من يعدل إذا لم أعدل) فلم يؤده غضبه أن ينتقم لنفسه

حاشاه عليه السلام من ذلك بل لم يزد على أن نصح وحذر وقال له عمر
 وخالد بن الوليد دعنا يا رسول الله نضرب عنقه فقال لا لعله أن يكون
 يصلي فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال عليه
 السلام اني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق عن بطونهم
 (ولما) أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا لقريش وقبائل
 العرب وترك الأَنْصار غضب بعضهم حتى قالوا ان هذا هو العجب
 يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دماءهم فبلغه ذلك فأمر بجمعهم
 وليس معهم غيرهم فلما اجتمعوا قال يا معشر الأَنْصار (ما مقالة بلغتني
 عنكم ألم أجدكم ضاللاً فهداكم الله بي وعالة (١) فأغناكم الله بي وأعداء
 فألف الله بين قلوبكم بي ان قريشاً حديثو عهد بكفر ومصيبة واني
 أردت أن أجبرهم وأتألفهم أغضبتهم يا معشر الأَنْصار في أنفسكم لشيء
 قليل من الدنيا ألفت به قوماً ليساموا ووكلتكم الى اسلامكم الثابت
 الذي لا يزلزل ألا ترضون يا معشر الأَنْصار أن يذهب الناس بالشاة
 والبعير وترجعوا برسول الله الى رحلكم فوالذي نفس محمد بيده لولا
 الهجرة لكنت امرأ من الأَنْصار ولو سلك الناس شعباً وسلك الأَنْصار
 شعباً لسلكت شعب الأَنْصار اللهم ارحم الأَنْصار وأبناء الأَنْصار)

(١) جمع عائل وهو الفقير

فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسماً وحظاً ثم
انصرف عليه السلام وتفرقوا

﴿ وفود هوازن ﴾

وبعد بضع عشرة ليلة جاءه عليه السلام وفد هوازن يرأسهم زهير
ابن سرد وقالوا يا رسول الله ان فيمن أصبتم الأمهات والعمات والخالات
وهن مخازي الأ أقوام ونرغب الى الله واليك يا رسول الله . وقال زهير
ان في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كنّ يكفلنك ثم قال
أبياتاً يستعطفه بها

امنن علينا رسول الله في كرم فانك المرء نرجوه ومنتظر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك مملوءة من مخصها الدرر

انا لنشكر للنعماء ان كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

انا نوئل عفواً منك نلبسه هدى البرية أن تعفو وتنتصر

فألبس العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك ان العفو مشهر

فقال عليه السلام ان أحب الحديث اليّ أصدقه فاختراروا احدى

الطائفتين إما السبي واما المال وقد كنت انتظرتكم حتى طنت أنكم

لا تقدمون فقالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً اردد علينا نساءنا وأبناءنا

فهو أحب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال عليه السلام أما مالي

ولبني عبد المطلب فهو لكم فاذا أنا صليت الظهر فقوموا وقولوا نحن
نستشفع برسول الله الى المسامين وبالمسامين الى رسول الله بعد أن
تظهروا اسلامكم وتقولوا نحن اخوانكم في الدين ففعلوا فقال عليه السلام
لأصحابه (أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤوا نائبين واني قد رأيت أن
أرد عليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم
أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل
فقال المهاجرون والأَنْصار ما كان لنا فهو لرسول الله وامتنع من ذلك
جماعة من الأعراب كالأقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن
مرداس فأخذهم الرسول منهم قرصاً وأمر عليه السلام بأن تحبس عائلة
مالك بن عوف النصرى رئيس تلك الحرب بمكة عند عمته أم عبد الله
ابن أبي أمية فقال له الوفد أولئك ساداتنا فقال عليه السلام انما أريد
بهم الخير ثم سأل عن مالك فقالوا هرب مع ثقيف فقال أخبروه أنه ان
جاءني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل فلما بلغ
ذلك مالكا نزل من الحصن خفية حتى أتى رسول الله بالجعرانة فأسلم
وأحرز ماله وأهله واستعمله عليه السلام على من أسلم من هوازن

﴿ عمرة الجعرانة ﴾

(ثم) ان الرسول صلى الله عليه وسلم اعتمر فأحرم من الجعرانة

ودخل مكة بليل فطاف واستلم الحجر ثم رجع من ليلته وكانت إقامته
بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ثم أمر عليه السلام بالرحيل فسار الجيش آمناً
مطمئناً حتى دخل المدينة لثلاث بقين من ذي القعدة

وغزوة حنين هي التي فرق الله بها جموع الشرك وأدال دولته
وأفقد سراة أهله فان هوازن لم تترك وراءها رجلاً تمكنه الحرب إلا
ساقته ولم تترك لها بعيراً ولا شاة إلا جاءت به معها فأراد الله اعزاز
الاسلام بخذلان أعدائه وأخذ أموالهم فانكسرت حدة المشركين ولم
يبق فيهم من يمانع أو يدافع ولذلك يمكننا أن نقول ان انكسار هوازن
كان خاتمة لحروب العرب فلم يبق فيهم الا فئات قليلة يسوقهم الطيش
الى شهر السلاح ثم لا يلبثون أن يغمدوا السيوف حينما تظهر لهم قوة
الحق الساطعة

﴿ سرية ﴾

ولما رجع عليه السلام الى المدينة أرسل قيس بن سعد في أربعمائة
ليدعو صداء (قبيلة تسكن اليمن) الى الاسلام فجاؤا الى رسول الله رجل
منهم فقال يا رسول الله اني جئتك وافداً عن رأيي فاردد الجيش وأنا
لك بقومي فأمر عليه السلام برد الجيش

﴿ وفود صداء ﴾

وخرج الرجل الى قومه فقدم بخمسة عشر رجلاً منهم فنزلوا ضيوفاً

على سعد بن عبادة ثم بايعوا رسول الله على الاسلام وقالوا نحن لك على
من وراءنا من قومنا ولما رجعوا فشا فيهم الاسلام وقدم على رسول الله
منهم مائة في حجة الوداع

﴿ سرية ﴾

ثم أرسل عليه السلام بشر بن سفيان العدوي الى بني كعب من
خزاعة لأخذ صدقات أموالهم فنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء
ما فرض عليهم فلما علم بذلك رسول الله أرسل اليهم عيينة بن حصن
في خمسين فارساً من الاعراب فجاءهم وحاربهم وأخذ منهم أحد عشر
رجلاً واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً وتوجه بالكل الى المدينة
فأمر عليه السلام بجعلهم في دار رملة بنت الحارث

﴿ وفود تميم ﴾

فجاء في أثرهم وفد تميم فيه عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر
وعمر بن الأهم فجلسوا ينتظرون الرسول فلما أبطأ عليهم نادوا من
وراء الحجرات بصوت جاف يا محمد اخرج الينا نفاخرك فان مدحنا زين
وان ذمنا شين فخرج اليهم عليه السلام وقد تأذى من صياحهم وفيهم
نزل في أوائل سورة الحجرات (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم

والله غفور رحيم) وكان الوقت وقت الظهر فأذن بلال ودخل النبي
للصلاة فتعلقوا به يقولون نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك
ونفاخرك فقال لهم عليه السلام (ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا) ثم
صلى الظهر واجتمع حوله رجال الوفد يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم
وقد مدح عمرو بن الأَهمم الزبرقان بن بدر فقال انه لمطاع في أنديته
سيد في عشيرته فقال الزبرقان حسدني يا رسول الله لشرفي وقد علم
أفضل مما قال فقال عمرو انه لزم المرءة ضيق العطن لئيم الخال فرؤى
الغضب في وجه رسول الله لاختلاف قولي عمرو فقال يا رسول الله لقد
صدقت في الأولى وما كذبت في الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت
وغضبت فقلت أسوأ ما علمت فقال عليه السلام (ان من البيان لسحراً)
ثم أسلم القوم فردّ النبي عليه السلام عليهم أسراهم وأحسن جائزتهم
وأقاموا مدة يتعلمون فيها القرآن ويتقنون في الدين

﴿ سرية ﴾

ثم بعث عليه السلام الوليد بن عقبة بن أبي معيط لأخذ صدقات
بني المصطلق فلما علموا بقدومه خرج منهم عشرون رجلاً متقلدين
سلاحهم احتفالاً بقدومه ومعهم إبل الصدقة فلما نظرهم ظنهم يريدون
حربه لما كان بينه وبينهم من العداوة في الجاهلية فرجع مسرعاً الى

المدينة وأخبر الرسول أن القوم ارتدوا ومنعوا الزكاة فأرسل اليهم خالد
ابن الوليد لاكتشاف الخبر فسار اليهم في عسكره خفية حتى اذا كان
بناديهم سمع مؤذنين يؤذن بالصبح فأتاهم خالد فلم ير منهم الا طاعة
فرجع وأخبر الرسول فأرسل عليه السلام لهم غير الوليد لأخذ الصدقات
وفي الوليد نزل في أوائل الحجرات (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق
بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)

﴿ سرية ﴾

ثم بلغ رسول الله أن جمعاً من الحبشة رأهم أهل جدة في مراكبهم
يريدون الاغارة عليها فأرسل لهم علقمة بن مجزز في ثلاثمائة فذهب
حتى وصل جدة ونزل في المراكب ليذكرهم وكان الأقباش متحصنين
في جزيرة هناك فلما رأوا المسلمين يريدونهم هربوا ولم يلق المسلمون كيداً
فرجع علقمة بمن معه ولما كان بالطريق أذن لسرعان القوم أن يتعجلوا
وأمر عليهم عبد الله بن حذافة السهمي وكان فيه دعاية فأوقد لهم في
الطريق ناراً وقال لهم أستم مأورين بطاعتي قالوا نعم قال عزمت عليكم
الا ما توابتم في هذه النار فقال بعضهم ما أسأمتنا الا فراراً من النار وهم
بذلك بعضهم فمنعهم عبد الله وقال كنت مازحاً فلما ذكروا ذلك لرسول
الله قال (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)

﴿ السنة التاسعة ﴾

(سرية)

في ربيع الأول أرسل عليه السلام علي بن أبي طالب في خمسين فارساً لهدم الفلاس (صنم الطي) فسار اليه وهدمه وأحرقه ولما حارب عباده هزمهم واستاق نعمهم وشاءهم وسبيهم وكان فيه سفانة بنت حاتم طيٍّ ولما رجع علي إلى المدينة طلبت سفانة من رسول الله أن يمنَّ عليها فأجابها لأنه كان من سننه أن يكرم الكرام فدعت له وكان من دعائها (شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب نعمة كريم الا وجعلك سبباً لردّها عليه) وكانت هذه المعاملة من رسول الله سبباً في إسلام أخيها عدي بن حاتم الطائي الذي كان فر إلى الشام عند ما رأى الرايات الإسلامية قاصدة بلادده . وكان من حديث مجيئه أن أخته توجهت اليه بالشام وأخبرته بما عوملت به من الكرم فقال لها ما ترين في أمر هذا الرجل فقالت أرى أن تلحق به سريعاً فإن يكن نبياً فللسابق اليه فضل وان يكن ملكاً فأنت أنت فقال والله هذا هو الرأي

﴿ وفود عدي بن حاتم ﴾

فخرج حتى جاء المدينة ولقي رسول الله فقال عليه السلام من
الرجل قال عدي بن حاتم فأخذه الى بيته وبينما هما يمشيان إذ لقيت
رسول الله امرأة عجوز ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في
حاجتها فقال عدي والله ما هو بملك ثم مضى رسول الله حتى اذا دخل
بيته تناول وسادة من جلد محشوة ليثاً فقدمها الى عدي وقال اجلس
على هذه فقال بل أنت تجلس عليها فامتنع عليه السلام وأعطاهها له
وجلس هو على الارض ثم قال يا عدي أسلم تسلم قالها ثلاثاً فقال عدي
اني على دين (وكان نصرانياً) فقال له عليه السلام أنا أعلم بدينك
منك فقال عدي أنت أعلم بديني مني قال نعم ثم عدد له أشياء كان
يفعلها اتباعاً لقواعد العرب وليست من دين المسيح في شيء كأخذه
المرباع وهو ربع الغنائم ثم قال يا عدي انما يمنعك من الدخول في الدين
ما ترى تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قدرة لهم وقد رمتهم العرب
مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من
يأخذه واعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة
عددهم أتعرف الخيرة قال لم أرها وقد سمعت بها قال فوالله ليتمن هذا
الأمر حتى تخرج المرأة من الخيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد

ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم
 وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت
 عليهم فأسلم عدي رضى الله عنه وعاش حتى رأى كل ذلك

﴿ غزوة تبوك ﴾

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم جمعت الجوع تريد
 غزوه في بلاده وكان ذلك في زمن عسرة الناس وجذب البلاد وشدة
 الحر حين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم فأمر عليه
 السلام بالتجهز وكان فلما يخرج في غزوة الا ورى بغيرها ليعمي الأخبار
 على العدو الا في هذه الغزوة فانه أخبر بمقصده لبعث الشقة وكثرة العدو
 ليأخذ الناس عدتهم لذلك وبعث الى مكة وقبائل الاعراب يستنفرهم
 لذلك وحث الموسرين على تجهيز المعسرين فأنفق عثمان بن عفان عشرة
 آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بغير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرساً فقال
 عليه السلام اللهم ارض عن عثمان فاني راض عنه وجاء أبو بكر بكل
 ماله وهو أربعة آلاف درهم فقال عليه السلام هل أبقيت لأهلك شيئاً
 فقال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله وجاء
 عبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية وجاء العباس وطلحة بمال كثير
 وتصدق عاصم بن عدي بسبعين وسقاً من تمر وأرسلت النساء بكل

ما يقدرن عليه من حليهن وجاءه عليه السلام سبعة أنفس من فقهاء
 الصحابة يطلبون اليه أن يحملهم فقال لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا
 وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون فجهز عثمان ثلاثة
 منهم وجهز العباس اثنين وجهز يامين بن عمرو اثنين ولما اجتمع الرجال
 خرج بهم رسول الله وهم ثلاثون ألفاً وولى على المدينة محمد بن مسلمة
 وعلى أهله علي بن أبي طالب وتخلف كثير من المنافقين يرأسهم عبد الله
 ابن أبي وقيل يغزو محمد بن الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد
 يحسب محمد أن قتال بني الأصفر معه اللعب والله لكأني أنظر الى
 أصحابه مقرنين في الجبال واجتمع جماعة منهم فقالوا في حق رسول الله
 وأصحابه ما يريدون من الأرجاف فبلغه ذلك فأرسل اليهم عمار بن ياسر
 يسألهم عما قالوا فقالوا إنما كنا نخوض ونلعب وجاء اليه جماعة منهم
 الجذ بن قيس يعتذرون عن الخروج فقالوا يا رسول الله ائذن لنا ولا
 تفتننا لأننا لا نأمن نساء بني الأصفر وجاء اليه المعذورون من الاعراب
 وهم أصحاب الأعداء من ضعف أو قلة ليؤذن لهم فأذن لهم وكذلك
 استأذن كثير من المنافقين فأذن لهم وقد عتب الله عليه في ذلك الاذن
 بقوله في سورة براءة (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين
 صدقوا وتعلم الكاذبين) ثم قال في حقهم (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون
 بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) ثم كذبهم

الله في عذرهم فقال (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله
 انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدین) ثم لكيلا يأسى المسلمون
 على قعود المنافقين عنهم قال جل ذكره (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا
 خبالاً ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم
 بالظالمين) وتختلف جماعة من المسلمين لا يتهمون في إسلامهم منهم
 كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وأبو خيثمة ولما
 خلف عليه السلام علياً قال المنافقون قد استثقله فتركه فأسرع الى
 رسول الله وشكاه له ما سمع فقال عليه السلام (أما ترى أن تكون مني
 بمنزلة هارون من موسى) ثم سار عليه السلام بالجيش وأعطى لواءه
 الأعظم أبا بكر الصديق وفي إعطاء اللواء لأبي بكر في آخر غزوة الرسول
 وتخليف عليّ على أهل البيت حكمة لطيفة يفهمها القاريّ وفرق عليه
 السلام الرايات فأعطى الزبير راية المهاجرين وأسيد بن حضير راية
 الأوس والحباب بن المنذر راية الخزرج (ولما) مر الجيش بالحجر وهي
 ديار ثمود قال عليه السلام لأصحابه (لا تدخلوا ديار الذين ظلموا إلا
 وأنتم باكون) ليشعر قلوبهم رهبة الله وكان مستعملاً على حرس الجيش
 عباد بن بشر وكان أبو بكر يصلي بالجيش ولما وصلوا الى تبوك وكانت
 أرضاً لا عمارة فيها قال الرسول لمعاذ بن جبل (يوشك ان طالت بك
 حياة أن ترى ما هنا مليء بساتين) وقد كان ولما استراح الجيش لحقه

أبو خيشمة وكان من خبر مجيئه أن دخل على أهله في يوم حار فوجد
امراتين له في عريشتين لهما في بستان قد رشت كل منهما عريشتها
وبردت فيها ماء وهيات طعاماً وكان يوماً شديداً الحر فلما نظر ذلك قال
يكون رسول الله في الحر وأبو خيشمة في ظل بارد وماء مهياً وامرأة حسناء
ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريشة واحدة منكما حتى ألق
برسول الله فيمالي زاداً ففعلت ما ركب بعيره وأخذ سيفه ورمحه وخرج
يريد رسول الله فصادفه حين نزل بتبوك

﴿ وفود صاحب أيلة ﴾

هذا ولم ير عليه السلام بتبوك جيشاً كما كان قد سمع فأقام هناك
أياماً جاءه في أثناءها يوحنا صاحب أيلة وصحبته أهل جرباء (١) وأهل
أذرح (٢) وأهل ميناء فصالح يوحنا رسول الله على إعطاء الجزية ولم
يسلم وكتب له الرسول كتاباً هذه صورته

﴿ كتاب صاحب أيلة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله
ليوحنا وأهل أيلة سقتهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد
النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث

(١) قرية في جنوب الشام (٢) مدينة تلقاء السراة

منهم حدثاً فانه لا يحوز ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس
وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يردونه من بر أو بحر)

﴿ كتاب أهل أذرح وجرباء ﴾

وكتب لأهل أذرح وجرباء كتاباً صورته (بسم الله الرحمن
الرحيم هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح وجرباء انهم آمنون
بأمان الله وأمان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة
والله كفيل بالنصح والاحسان للمسلمين) وصالح أهل ميناء على ربع
تمارهم (ثم ان) الرسول استشار أصحابه في مجاوزة تبوك الى ما هو أبعد
منها من ديار الشام فقال له عمر ان كنت أمرت بالسير فسر فقال عليه
السلام لو كنت أمرت بالسير لم أستشر فقال يا رسول الله ان للروم
جموعاً كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد
أفزعهم دنوك فلو رجعنا في هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمراً
فتبع عليه السلام مشورته وأمر بالقول فرجع الجيش الى المدينة

﴿ مسجد الضرار ﴾

ولما كان على مقربة منها بلغه خبر مسجد الضرار وهو مسجد
أسسه جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء ليفرقوا جماعة المسلمين
وجاء جماعة منهم الى الرسول طالبين منه أن يصلي لهم فيه فسألهم عن

سبب بنائه فحلفوا بالله ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون
فأمر عليه السلام جماعة من أصحابه أن ينطلقوا اليه ويهدموه ففعلوا (هذا)
ولما استقر عليه السلام بالمدينة جاءه جماعات من الذين تخلفوا يعتذرون
كذباً فقبل منهم عليه السلام علانيتهم ووكل ضائرتهم الى الله واستغفر لهم

﴿ حديث الثلاثة الذين خلفوا ﴾

وجاءه كعب بن مالك الخزرجي ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية
الأوسيان مقرين بذنوبهم فاما دخل عليه كعب تبسم تبسم الغضب
وقال ما خلفك قال يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا
لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أوتيت جدلاً ولكنني والله
لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن
الله أن يسخط عليّ فيه ولئن حدثتك حديث صدق تغضب عليّ فيه
اني لأرجو فيه عفو الله والله ما كان لي من عذر فقال عليه السلام أما
هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك وقال صاحبه مثل قوله فقال
لها عليه السلام كما قال لكعب ونهى المسلمين عن كلامهم فاجتنبهم
الناس وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم واستأذنت زوج هلال بن أمية في خدمة
زوجها لأنه شيخ ضائع ليس له خادم فأذن لها ولم يزالوا كذلك حتى
ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن
لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم فأرسل لهم عليه السلام من

يبشرهم بهذه النعمة الكبرى فتلقاهم الناس أفواجاً يهشونهم بتوبة الله
 فلما دخل كعب المسجد تلقاه رسول الله مسروراً فقال أبشريا كعب
 بخير يوم يمر عليك منذ ولدتك أمك فقال من عندك يا رسول الله أم
 من عند الله قال بل من عند الله فقال كعب يا رسول الله ان من توتي
 أن أنخلع من مالي صدقة لله ورسوله فقال عليه السلام أمسك عليك
 بعض مالك فهو خير لك ثم قرأ عليه السلام الآيات التي فيها توبته هو
 وصاحبه في سورة براءة (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت
 عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من
 الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم)

﴿ وفود تقيف ﴾

وعقب مقدمه عليه السلام من تبوك وفد عليه وفد تقيف وكان
 من خبرهم انه لما انصرف رسول الله من محاصرتهم تبع أثره عروة بن
 مسعود الثقفي حتى أدركه قبل أن يصل الى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع
 الى قومه ويدعوهم الى الاسلام فقال له انهم قاتلوك فقال يا رسول الله
 أنا أحب اليهم من أبكارهم فخرج الى قومه يرجو منهم طاعته لمرتبته
 فيهم لأنه كان فيهم محبباً مطاعاً فلما جاء الطائف وأظهر لهم ما جاء به
 رموه بالنبل فقتلوه وبعد شهر من مقتله ائتمروا فيما بينهم ورأوا أنه

لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فأجمعوا أمرهم على أن يرسلوا لرسول الله رجلاً منهم يكلمه وطلبوا من عبد ياليل بن عمرو أن يكون ذلك الرجل فأبى وقال لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجلاً فبعثوا معه خمسة من أشرفهم فخرجوا متوجهين الى المدينة ولما قابلوا رسول الله ضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليستمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله كل يوم ويخلفون في رحالهم أصغرهم سنًا عثمان بن أبي العاص فكان اذا رجعوا ذهب للنبي واستقرأه القرآن واذا رآه نائمًا استقرأ أبا بكر حتى حفظ شيئًا كثيرًا من القرآن وهو يكتم ذلك عن أصحابه ثم أسلم القوم وطلبوا أن يعين لهم من يؤمهم فأمر عثمان ابن أبي العاص لما رآه من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين

﴿ كتاب أهل الطائف ﴾

ثم كتب لهم كتابًا من جملته (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله الى المؤمنين ان عضاه وحج وصيده حرام لا يعضد شجره ومن وجد يفعل شيئًا من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه) ثم سألوا رسول الله أن يؤجل هدم صنمهم شهرًا حتى يدخل الاسلام قلوب القوم ولا يرتاع السفهاء من النساء من هدمه فرضي بذلك عليه السلام ولما خرجوا من عنده قال لهم رئيسهم أنا أعلمكم بثقيف اكتبتموا عنهم اسلامكم

وخوفوهم الحرب والقتال وأخبروهم أن محمداً طلب أموراً عظيمة أئبناها
 عليه سألنا أن نهدم الطاغية وأن نترك الزنا وشرب الخمر والربا فلما حلوا
 بلادهم جاءتهم ثقيف فقال الوفد جئنا رجلاً فظاً غليظاً قد ظهر بالسيف
 ودان الناس له فعرض علينا أموراً شديدة وذكروا ما تقدم فقالوا والله
 لا نطيعه أبداً فقالوا لهم أصلحوا سلاحكم ورُمسوا حصونكم واستعدوا
 للقتال فأجابوا واستمروا على ذلك يومين أو ثلاثة ثم ألقى الله الرعب في
 قلوبهم فقالوا والله ما لنا بجره من طاقة ارجعوا اليه وأعطوه ما سأل
 فقال الوفد قد قاضيناه وأسلمنا فقالوا لم كتمتم علينا ذلك قالوا حتى
 تذهب عنكم نخوة الشيطان فأسلموا

﴿ هدم اللات ﴾

ولما بلغ رسول الله إسلام ثقيف أرسل أباسفيان والمغيرة بن شعبة
 الثقفي لهدم اللات صنم ثقيف بالطائف فتوجهوا وهدموه حتى سووه
 بالارض

﴿ حج أبي بكر ﴾

وفي أخريات ذي القعدة أرسل عليه السلام أبا بكر ليحج بالناس
 فخرج في ثلاثمائة رجل من المدينة ومعه الهدي عشرون بدنة أهداها
 رسول الله وساق أبو بكر خمس بدنات ولما سافر نزل على رسول الله
 أوائل سورة براءة فأرسل بها علياً ليلبغها الناس في يوم الحج الأكبر

وقال لا يبلغ عني الا رجل مني فلحق أبا بكر في الطريق فقال الصديق هل استعملك رسول الله على الحج قال لا ولكن بعثني أقرأ أو أتلو براءة على الناس فلما اجتمعوا بمنى يوم النحر قرأ عليهم علي ثلاث عشرة آية من أول سورة براءة تتضمن نبذ العهود لجميع المشركين الذين لم يوفوا عهودهم وامهالهم أربعة أشهر يسيحون فيها في الأرض كيف شاؤا واتمام عهد المشركين الذين لم يظاهروا على المسلمين ولم يغدروا بهم الى مدتهم ثم نادى لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكان علي يصلي في هذا السفر وراء أبي بكر رضي الله عنهما

﴿ وفاة ابن أبي ﴾

وفي ذي القعدة مات عبد الله بن أبي وقد صلى عليه رسول الله صلاة لم يطل مثلها وشيع جنازته حتى وقف على قبره وإنما فعل ذلك تطييباً لقباب ولده عبد الله بن عبد الله وتأليفاً لقلوب الخزرج لمكانة عبد الله بن أبي فيهم وقد نزع ربة النفاق كثير من المنافقين بعد هذا اليوم لما رأوه من أعمال السيد الكريم صلى الله عليه وسلم وقد نهى الله رسوله بعد ذلك عن الصلاة على المنافقين فقال جل شأنه في سورة براءة (ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره)

﴿ وفاة أم كلثوم ﴾

وفي هذه السنة توفيت أم كلثوم بنت رسول الله وزوج عثمان رضي الله عنهما

﴿ السنة العاشرة ﴾

(سرية)

في ربيع الآخر أرسل عليه السلام خالد بن الوليد في جمع لبني عبد المدان بنجران من أرض اليمن وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاث مرات فإن أبوا قاتلهم فلما قدم إليهم بعث الركب في كل وجه يدعوهم إلى الإسلام ويقولون أسلموا تسلموا فأسلموا ودخلوا في دين الله أفواجا فأقام خالد بينهم يعلمهم الإسلام والقرآن وكتب إلى رسول الله بذلك فأرسل إليه أن يقدم بوفدهم ففعل وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدا أحدا بظلم قال صدقتم وأمر عليهم زيد بن حصين

﴿ سرية ﴾

(وفي) رمضان أرسل عليه السلام عليا في جمع إلى بني مذحج (قبيلة يمانية) وعمه بيده وقال (سر حتى تنزل بساحتهم فادعهم إلى قول لا اله الا الله فان قالوا نعم فرمهم بالصلاة ولا تبغ منهم غير ذلك ولان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك) فلما انتهى إليهم لقي جموعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل فصف علي أصحابه وأمرهم بالقتال فقاتلوا حتى هزموا

عدوهم فكف عن طلبهم قليلاً ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام فأجابوا
وبايعه رؤسائهم وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ
منها حق الله ففعل ثم رجع الى رسول الله فوافاه بمكة في حجة الوداع

﴿ بعث العمال على اليمن ﴾

ثم بعث عليه السلام الى اليمن عمالاً من قبله فبعث معاذ بن جبل
على الكورة العليا من جهة عدن (١) وبعث أبا موسى الأشعري على
الكورة السفلى ووصاها عليه السلام بقوله (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا
تنفرا) وقال لمعاذ (انك ستأتي قوماً أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم
الى أن يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فان أطاعوا لك
بذلك فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة
فان أطاعوا لك بذلك فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ
من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم
أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب) وقد
مكث معاذ باليمن حتى توفي رسول الله أما أبو موسى فقدم على الرسول
عليه السلام في حجة الوداع

﴿ حجة الوداع ﴾

وفي السنة العاشرة حج عليه السلام بالناس حجة ودّع فيها
المسلمين ولم يحج غيرها وخرج لها يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة
وولى على المدينة أباذُجانة الأنصاري وكان مع الرسول جمع عظيم يبلغ
تسعين ألفاً وأحرم للحج حيث انبعثت به راحلته ثم لبى فقال (لبيك
اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك
لك) ولم يزل عليه السلام سائراً حتى دخل مكة فحجى من الثنية العليا
وهي ثنية كداء ولما رأى البيت قال اللهم زده تشريفاً وتعظيماً ومهابة
وبراً ثم طاف بالبيت سبعمائة واستلم الحجر الأسود وصلى ركعتين عند
مقام ابراهيم ثم شرب من ماء زمزم ثم سعى بين الصفا والمروة سبعمائة
راكباً على راحلته وكان اذا صعد الصفا يقول لا إله الا الله الله أكبر
لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده
وفي الثامن من ذي الحجة توجه الى منى فبات بها

﴿ خطبة الوداع ﴾

وفي التاسع منه توجه الى عرفة وهناك خطب خطبته الشريفة التي
بين فيها الدين كله أسه وفرعه وهاك نصها (الحمد لله نحمده ونستعينه
ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا

من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله الا
الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أوصيكم عباد
الله بتقوى الله وأحسبكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير (أما بعد)
أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فاني لا أدري اعلي لا ألقاكم بعد
عامي هذا في موقفي هذا (أيها الناس) ان دماءكم وأموالكم حرام
عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا
الا هل بلغت اللهم فاشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه
عليها وان ربا الجاهلية موضوع وان أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس
ابن عبد المطلب وان دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أبدأ به دم عامر
ابن ربيعة بن الحارث وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية
(والعمد) قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن
زاد فهو من أهل الجاهلية (أيها الناس) ان الشيطان قد يئس أن يعبد
في أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون
من أعمالكم (أيها الناس) ان النسيء (١) زيادة في الكفر يضل به

(١) كانت العرب تحرم أربعة أشهر ثلاثة متواليات وهي ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وشهر رجب وكانوا ربما استطلوا هذه الأشهر المتوالية
لحاجتهم الى الحرب والقتال فأحلوا المحرم وحرموا صفرًا من العام المقبل
فهذا هو الذي عابه القرآن عليهم لاتباعهم الهوى في عقيدتهم

الذين كفروا يجلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله وان
الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة
الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السموات
والارض منها أربعة حرم ثلاث متواليات وواحد فرد ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت
اللهم اشهد (أيها الناس) ان لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق أن
لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تكبرهونه بيوتكم إلا بإذنكم
ولا يأتين بفاحشة فان فعلن فان الله أذن لكم أن تعضلوهن (١)
وتهجووهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فان انتهين وأطعنكم
فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان لا يملكن
لأنفسهن شيئاً أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت اللهم اشهد
(أيها الناس) انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرئٍ مال أخيه إلا عن
طيب نفس منه ألا هل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعن بعدي كفاراً
يضرب بعضكم رقاب بعض فاني قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لن
تضلوا بعده كتاب الله ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان ربكم
واحد وان أبابكم واحد كلكم لآدم من تراب أكرمكم عند الله

أتقاكم ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى الاهل بلغت اللهم
اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب (أيها الناس) ان الله قد قسم لكل
وارث نصيبه من الميراث ولا تجوز لوارث وصيته ولا تجوز وصية في
أكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى الى غير أبيه
أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه
صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله) وفي هذا اليوم امتن الله
على المؤمنين بقوله في سورة المائدة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) فلا غرابة أن اتخذه المسلمون
عيداً ويوماً سعيداً يظهرون فيه شكر الله على هذه النعمة الكبرى
(ثم) انه عليه السلام أدى مناسك الحج من رمى الجمار والنحر والحلق
والطواف وبعد أن أقام بمكة عشرة أيام قفل الى المدينة ولما رآها كبر
ثلاثاً وقال (لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير آيرون ثابتون عابدون ساجدون لربنا حامدون
صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده)

﴿ الوفود ﴾

في هذه السنة والتي قبلها كان وفود العرب الى رسول الله ليبايعوه
على الاسلام وكانوا يقدمون أفواجاً ولما في أخبار هذه الوفود من

التعاليم الحميدة التي يحتاج ذو الأدب أن يعرفها رأينا أن نذكر لك
منها ما يزيدك يقيناً وينير بصيرتك فنقول

﴿ وفود نجران ﴾

(ومن) الوفود وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكباً دخلوا
المسجد وعليهم ثياب الخبزة وأردية الحرير مختمين بالذهب ومعهم بسط
فيها تماثيل ومسوح جاؤا بها هدية للنبي صلي الله عليه وسلم فلم يقبل
البسط وقبل المسوح ولما جاء وقت صلاتهم صلوا في المسجد مستقبليين
بيت المقدس ولما أتوا صلاتهم دعاهم عليه السلام للاسلام فأبوا وقالوا
كنا مسلمين قبلكم فقال عليه السلام يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم
الصليب وأكلكم لحم الخنزير وزعمكم أن الله ولدنا قالوا فمن مثل عيسى
خلق من غير أب فأنزل الله في ذلك في سورة آل عمران (ان مثل
عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) ويطهر
الله لهم أنهم في شك من أمرهم أنزل (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك
من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم
ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فدعاهم عليه السلام لذلك
فامتنعوا ورضوا باعطاء الجزية وهي ألف حلة في صفر وألف حلة في
رجب مع كل حلة أوقية من ذهب ثم قالوا أرسل معنا أمينا فأرسل لهم
أبا عبيدة عامر بن الجراح وكان لذلك يسمى أمين هذه الأمة

﴿ وفود ضمام بن ثعلبة ﴾

(ومن) الوفود ضمام بن ثعلبة بينا رسول الله بين أصحابه متكئاً جاءه رجل من أهل البادية نائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول فأناخ جملة في المسجد ثم قال أيكم ابن عبد المطلب فدلوه عليه فدنا منه وقال اني سائلك فمشدد عليك المسألة فلا تجرد (١) عليّ في نفسك فقال سل ما بدا لك فقال أنشدك بالله آله أرسلك الى الناس كلهم فقال نعم فقال أنشدك بالله آله أمرك أن نصلي خمس صلوات في اليوم والليلة قال اللهم نعم فقال أنشدك بالله آله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آله أمرك أن نصوم هذا الشهر من اثني عشر شهراً قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آله أمرك أن يحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلاً قال اللهم نعم قال فاني قد آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة ولما ولي قال عليه السلام فقه الرجل ثم ذهب ضمام الى قومه ودعاهم الى الاسلام وترك عبادة الأوثان فأسلموا كلهم

﴿ وفود عبد القيس ﴾

(ومن) الوفود عبد القيس وكان من خبرهم أن الرسول كان جالساً بين أصحابه يوماً فقال لهم سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل

المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد أنصوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فلما أتوا ورأوا النبي صلى الله عليه وسلم رموا بأنفسهم عن الركائب بباب المسجد وتبادروا الى رسول الله يسلمون عليه وكان فيهم عبد الله بن عوف الأشج وكان أصغرهم سنًا فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ثم جاء يمشي هونًا حتى سلم على رسول الله وكان رجلاً دميماً ففطن لنظر الرسول الى دمامته فقال يا رسول الله انه لا يستقي في مسوك (جلود) الرجال وانما الرجل بأصغريه قلبه ولسانه فقال عليه السلام ان فيك خلتين يجبهما الله ورسوله الحلم والاناة وقد قال عليه السلام لهذا الوفد (مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى) فقالوا يا رسول الله انا نأتيك من شقة بعيدة (١) وانه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام فمرنا بأمر فصل فقال أمركم بالايمن بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس وأنها كم عن الدباء (٢) والحنتم (٣) والنقير (٤) والمزفت (٥) والمراد بذلك ما ينبذ في هذه

(١) لأن ديارهم كانت بساحل الخليج الفارسي وهي ديار ربيعة وبينهم وبين الحجاز أرض نجد (٢) القرع (٣) هو جرار مدهونة بدهان أخضر (٤) هو أصل النخلة ينقر (٥) ما طلي بالزفت

الأواني فقال الأشجج يا رسول الله ان أرضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم
نشرب هذه الأشربة عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه وأشار
الى يده فأوماً عليه السلام بكفيه وقال يا أشجج ان رخصت لك في مثل
هذه شربته في مثل هذه وفرج بين يديه وبسطها حتى اذا عمل أحدكم
من شرابه قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وانما خص عليه
السلام نهيم بما ذكر لكثرة الأشربة بينهم

﴿ وفود بني حنيفة ﴾

(ومن) الوفود بنو حنيفة وكان معهم مسيلة الكذاب وكان
مسيلة يقول إن جعل لي الأمر من بعده اتبعته فأقبل عليه السلام
ومعه قيس بن شماس وفي يد رسول الله قطعة من جريد حتى وقف
على مسيلة في أصحابه فقال إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها واني
لأراك الذي منه رأيت وكان عليه السلام قد رأى في منامه أن في يده
سوارين من ذهب فأهمه شأنهما فأوحى الله أن انفخهما فنفخهما فطارا
فأولها عليه السلام كذا بين يخرجان من بعده فكان مسيلة أحدهما
والثاني الأسود العنسي صاحب صنعاء وقد أسلم بنو حنيفة

﴿ وفود طيء ﴾

(ومن) الوفود وفد طيء وفيهم زيد الخيل رئيسهم وقد قال عليه

السلام في حقه ما ذكر لي رجل من العرب إلا رأيتَه دون ما قيل فيه
إلا زيد الخيل وسماه عليه السلام زيد الخير

﴿ وفود كندة ﴾

(ومنها) وفد كندة وفيهم الأشعث بن قيس وكان وجيهاً مطاعاً في قومه
ولما دخلوا على رسول الله خبؤا له شيئاً وقالوا أخبرنا عما خبأناه لك
فقال سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والتكهن في
النار ثم قال ان الله بعثني بالحق وأنزل عليّ كتاباً لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا عليه السلام (والصفات
صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً ان إلهكم لواحد رب السموات
والأرض وما بينهما ورب المشارق) ثم سكت وسكن ودموعه تجري على
لحيته فقالوا انا نراك تبكي أفمن مخافة من أرسلاك تبكي قال ان خشيتي منه
أبكيتي بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت
ثم تلا (واثن شئنا لنذهب بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
الارحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيراً) ثم قال لهم عليه السلام ألم
تسلموا قالوا بلى قال ما بال هذا الحرير في أعناقكم فعند ذلك شقوه وألقوه
﴿ وفود أزدشنوة ﴾

(ومنها) وفد أزدشنوة ورئيسهم سرد بن عبد الله الأزدي
فأسلموا وأمره عليهم وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك

﴿ وفود رسول ملوك حمير ﴾

(ومنهم) وفد رسول ملوك حمير وهم الحارث بن عبد كلال
والنعمان ومعاقر وهمدان وكانوا قد أسلموا وأرسلوا رسولهم بذلك فكتب
اليهم النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ كتاب ملوك حمير ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن عبد كلال
والى النعمان قيل ذي رعين ومعاقر وهمدان أما بعد فاني أحمد الله اليكم
الذي لا اله الا هو أما بعد فانه قد وقع بنا رسولاكم مقلنا من أرض
الروم فلقيناه بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا بإسلامكم
وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله
ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله
وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فان
محمدًا النبي أرسل الى زرعة ذي يزن اذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً
معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عباد وعقبة بن نمر ومالك
ابن مرة وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من
مخالفكم وأبلغوها رسلي وان أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلن الا راضياً
أما بعد فان محمدًا يشهد أن لا اله الا الله وانه عبده ورسوله ثم ان مالك

ابن مرة الرهاوي قد حدثني انك قد أسلمت من أول حمير وقتلت
المشركين فأبشر بخير وأمرك بحمير خيراً ولا تخونوا ولا تخاذلوا فان
رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل
بيته انما هي زكاة يزكي بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكم قد
بلغ الخبر وحفظ الغيب وأمركم به خيراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

﴿ وفود همدان ﴾

(ومنها) وفد همدان وفيهم مالك بن نمط وكان شاعراً مجيداً
فلقوا رسول الله مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الخبرات اليمنية
والعمائم العدنية وقد أنشد مالك لرسول الله عليه السلام
حلفت برب الراقصات الى منى صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها أشد على أعدائه من محمد
وقد أمره عليه السلام على من أسلم من قومه وقد قال الرسول في
حق همدان نعم الحي همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد
وفيهم أبدال وفيهم أوتاد

﴿ وفود تجيب ﴾

(ومنها) وفد تجيب قبيلة من كندة وفد على رسول الله ثلاثة

عشر رجلاً منهم معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسرّ بهم عليه السلام وأكرم مثواهم وقالوا يا رسول الله انا سقنا اليك حق الله في أموالنا فقال عليه السلام (ردها فاقسموها على فقرائكم) فقالوا يا رسول الله ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا قال أبو بكر يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا فقال عليه السلام ان الهدى بيد الله فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان وجعلوا يسألونه عن القرآن فازداد عليه السلام رغبة فيهم ثم أرادوا الرجوع الى أهلهم فقيل لهم ما يعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم بروية رسول الله ولقائنا إياه وما رد علينا ثم جاؤا الى رسول الله فدعوه فأجازهم بأفضل ما كان يجيزه الوفود ثم قال لهم هل بقي منكم أحد قالوا غلام خلفناه في رحالنا وهو أحدثنا سنأ قال فأرسلوه الينا فأرسلوه فأقبل الغلام وقال يا رسول الله أنا من الرهط الذين أتوك آنفاً فقضيت حاجتهم فأقض حاجتي قال وما حاجتك قال تسأل الله أن يغفر لي ويرحمي ويجعل غنائي في قلبي فقال عليه السلام اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه

﴿ وفود ثعلبة ﴾

(ومنها) وفد ثعلبة وفد على رسول الله أربعة منهم مقرين بالاسلام فسلموا عليه وقالوا يا رسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا

ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا انك تقول لا اسلام لمن لا هجرة له
فقال عليه السلام (حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم) ثم قال لهم كيف
بلادكم فقالوا مخصبون فقال الحمد لله ثم أقاموا في ضيافته أياماً وحين
ارادتهم الانصراف أجاز كل واحد منهم بخمس أواق من فضة

﴿ وفود بني سعد بن هذيم ﴾

(ومنها) وفد بني سعد بن هذيم من قضاة قال النعمان منهم
قدمت على رسول الله وافتدأ في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله البلاد
وأزاح العرب والناس صنفان إما داخل في الاسلام راغب فيه وإما
خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا
الى بابه فوجدنا رسول الله يصلي على جنازة في المسجد فقمنا خلفه ناحية
ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى يصلي رسول الله ونبايعه ثم
انصرف رسول الله فنظر الينا فدعا بنا فقال ممن أنتم فقلنا من بني سعد
ابن هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على أخيكم قلنا
يا رسول الله ظننا أن ذلك لا يجوز حتى نبايعك فقال عليه السلام (أينما
أسلمتم فأنتم مسلمون) قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله بأيدينا ثم انصرفنا
الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث عليه السلام في طلبنا فأتى
بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام فقلنا

يا رسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال سيد القوم خادمهم بارك الله
عليه قال النعمان فكان خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء النبي صلى الله عليه
وسلم له ثم أجازهم وانصرفوا

﴿ وفود بني فزارة ﴾

(ومنها) وفد بني فزارة وفد على رسول الله جماعة منهم مقرين
بالاسلام وهم مستنون فسألهم عليه السلام عن بلادهم فقال رجل منهم
يا رسول الله أسنت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا وجاءت
عيالنا فادع لنا ربك يغثنا واشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك
فقال عليه السلام سبحان الله ويحك هذا أنا أشفع الى ربي فمن ذا الذي
يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العلي العظيم وسع كرسيه السموات والأرض
فهي تثبط (١) من عظمته وجلاله كما يثبط الزحل الحديث (أي من
ثقل الحمل) ثم صعد عليه السلام المنبر ودعا الله عز وجل حتى أغاث
بلاد هذا الوفد بالمطر الغزير والرحمة التامة

﴿ وفود بني أسد ﴾

(ومنها) وفد بني أسد وفيهم ضرار بن الازور وطليحة بن
عبد الله الذي ادعى النبوة بعد ذلك فأسلموا وقالوا يا رسول الله أتيناك

تتدرع الليل البهيم في سنة شهباء ولم تبعث اليها فأنزل الله في ذلك
 (يمتنون عليك أن أساموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم
 أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) وسألوا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عما كانوا يفعلون في الجاهلية من العيافة (١) والكهانة (٢) وضرب
 الحصباء فنهاهم عن ذلك كله ثم سألوه عن ضرب الرمل فقال علمه نبي
 فمن صادف مثل علمه فذاك والا فلا ثم أقاموا أياماً يتعلمون الفرائض
 وبعد ذلك ودعوا وانصرفوا بعد أن أجزوا

﴿ وفود بني عذرة ﴾

(ومنها) وفد بني عذرة ووفد بني بليّ ووفد بني مرة ووفد خولان
 وهي قبيلة باليمن وقد أمرهم عليه السلام بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة
 وحسن الجوار لمن جاور وأن لا يظلموا أحداً فإن الظلم ظلمات يوم القيامة

﴿ وفود بني محارب ﴾

(ومنها) وفد بني محارب وكانوا من الذين ردوا الرد القبيح حينما
 كان رسول الله بعكاظ يدعو القبائل الى الله فما أعظم منة الله الذي
 أتى بهؤلاء وكانوا ألد الأعداء مسلمين منقادين

(١) هي زجر الطير والتخرص على الغيب (٢) هي الاخبار عن
 الكائنات في المستقبل

﴿ وفود غسان ﴾

(ومنها) وفد غسان ووفد سلامان ووفد بني عبس ووفد النخع
وكان عليه السلام يقابل هذه الوفود بما جبله الله عليه من البشاشة وكرم
الأخلاق ويمجيزهم بما يرضيهم ويعلمهم الايمان والشرائع ليعلموا من وراءهم
وكانت هذه الوفود أعظم وصلة لاطهار الدين بين الاعراب في البوادي

﴿ وفاة ابراهيم ابن النبي عليه السلام ﴾

(وفي) هذه السنة توفي ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد حقق المرحوم محمود باشا الفلكي أن ذلك كان في التاسع والعشرين
من شهر شوال سنة ١٠ من الهجرة ٢٧ يناير سنة ٦٣٧ من الميلاد

﴿ السنة الحادية عشرة ﴾

(سرية)

لأربع بقين من صفر جهز عليه السلام جيشاً برياسة أسامة بن
زيد الى أبي (١) حيث قتل زيد بن حارثة والد أسامة وقال له (سر
الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر
صباحاً على أهل أبي وحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الأخبار فان
ظفرك الله فأقل اللبث فيهم وخذ الأدلاء وقدم العيون والطلائع معك

وكان مع أسامة في هذا الجيش كبار المهاجرين والأَنْصار منهم أبو بكر
وعمر وأبو عبيدة وسعد ثم عقد عليه السلام لأَسامة اللواء وقال له (أغز
باسم الله في سبيل الله وقاتل من كفر بالله) وقد انتقد جماعة تأمير
أسامة وهو شاب لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره على جيش فيه كبار
المهاجرين فأبلغ الرسول هذه المقالة فغضب غضباً شديداً وخرج فقتل
(أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن
طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله وإيم الله ان
كان لخليقاً بالإمارة وان ابنه من بعده خليق بها وان كان لمن أحب
الناس اليّ وانهما لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم)
ولم يتم لهذا الجيش الخروج في عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم لأن
المرض بدأه فاختره الله للرفيق الاعلى وسيرى القاري ان شاء الله
خروج هذا الجيش متمماً في كتابنا (آمام الوفاء في سيرة الخلفاء)

﴿ مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ﴾

لما تم عليه الصلاة والسلام ما كلف به وأدى ما أوتمن عليه
وهدى الله به أمته اختاره الله للرفيق الأعلى فجلس علي المنبر مرة وكان
فيما قال (ان عبداً خيره الله بين أن يؤتية زهرة الدنيا وبين ما عنده
فاختار ما عنده) فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله فدينك بآبائنا وأمهاتنا

فقال عليه السلام (ان أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر فلو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن اخوة الاسلام لا يبقى في المسجد خوذة الا سدت الا خوذة أبي بكر) وقد بدأه عليه السلام مرضه في أواخر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة في بيت ميمونة واستمر مريضاً ثلاثة عشر يوماً كان في خلالها ينتقل الى بيوت أزواجه ولما اشتد عليه المرض استأذن منهن أن يمرض في بيت عائشة الصديقية فأذن له ولما دخل بيتها واشتد عليه وجعه قال هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد الى الناس فأجلس في مخضب وصب عليه الماء حتى أشار بيده أن قد فعلتن وكان هذا الماء لتخفيف حرارة الحمى التي كانت تصيب من يضع يده فوق ثوبه

﴿ صلاة أبي بكر بالناس ﴾

ولما تعذر عليه الخروج الى الصلاة قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فرضيه عليه السلام خليفة له في حياته ولما رأت الأ نصار اشتداد وجع الرسول أطافوا بالمسجد فدخل العباس وأعلمه بمكانهم واشفاقهم فخرج عليه السلام متوكئاً على علي والفضل وتقدم العباس أمامهم والنبي معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس في أسفل مرقاة المنبر وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث الله فأخلد فيكم ألا اني لاحق

بربي وانكم لاحقون بي فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصى
 المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول (والعصر ان الانسان لفي
 خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)
 وان الأمور تجري باذن الله ولا يحمليكم استبطاء أمر على استعجاله فان
 الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله
 خدعه (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم)
 وأوصيكم بالأَنْصار خيراً فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم
 ان تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم من الثمار ألم يوسعوا لكم في الديار ألم
 يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولى ان يحكم بين رجلين
 فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئتهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا واني
 فرط لكم وأنتم لاحقون بي ألا فان موعدكم الحوض ألا فمن أحب ان
 يردّه عليّ غدًا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغي) وبينما المسلمون في
 صلاة الفجر من يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول وأبو بكر يصلي بهم
 اذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سجف حجرة عائشة فنظر
 اليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر رضي الله
 عنه على عقبه ليصل الصف وظن ان رسول الله يريد ان يخرج الى
 الصلاة وهم المسلمون ان يفتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله فأشار اليهم
 بيده ان أمّوا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر

﴿ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

ولم تأت فحوة هذا اليوم حتى فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم دنياه ولحق بمولاه وكان ذلك في يوم الاثنين ١٣ ربيع أول سنة ١١ (٨ يونيو سنة ٦٣٢) فيكون عمره عليه السلام ٦٣ سنة قمرية كاملة وثلاثة أيام واحدى وستين شمسية وأربعة وثمانين يوماً وكان أبو بكر غائباً بالسنع وهي منازل بني الحارث بن الخزرج عند زوجه حبيبة بنت خارجة بن زيد فسل عمر سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله وقال انما أرسل اليه كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة والله اني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم فلما أقبل أبو بكر وأخبر الخبر دخل بيت عائشه وكشف عن وجه رسول الله فجثا يقبله ويبكي ويقول توفي والذي نفسى بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حياً وميتاً بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتين ثم خرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (ألا من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت) وتلا قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) وقوله (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) قال عمر فكأنني لم أتل هذه الآية قط ثم مكث عليه

الصلاة والسلام في بيته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه وليلة
 الأربعاء حتى انتهى المسلمون من إقامة خليفة عليهم فغسل ودفن وكان
 الذي يغسله علي بن أبي طالب ويساعده العباس وابناه الفضل وقثم
 وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله وكفن في ثلاثة أثواب ليس
 فيها قميص ولا عمامة ولما فرغوا من تجهيزه وضع على سريره في بيته
 ودخل الناس عليه ارسالاً متتابعين يصلون عليه ولم يؤمهم أحد ثم حفر
 له لحد في حجرة عائشة حيث توفي وأنزله القبر علي والعباس وولده
 الفضل وقثم ورش قبره بلال بالماء ورفع قبره عن الأرض قدر شبر
 توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك للمسلمين ما ان اتبعوه لم
 يضرهم شيء كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
 خلفه تنزيل من حكيم حميد وترك أصحابه البررة الكرام يوضحون الدين
 ويتممون فتح البلاد ويظهرون في الدنيا شمس الدين الاسلامي القويم
 حتى يتم الله كلمته ويحقق وعده وقد فعل فنسأل الله أن يقدرنا على
 أداء شكره على هذه المنة العظمى والنعمة الكبرى

﴿ شمائله عليه السلام ﴾

منح الله سبحانه نبينا صلى الله عليه وسلم من كلمات الدنيا
 والآخرة ما لم يمنحه غيره ممن قبله أو بعده ولا بد أن تأتي لك في هذا

الباب (١) بنبذة يسيرة من محاسن صفاته وأحاسن آدابه لتكون لك نموذجاً تسير عليه حتى تكون على قدم نبيك عليه الصلاة والسلام فتستحق الحمد في الدنيا والآخرى في الأخرى . فاعلم أرشدني الله وإياك وهدانا للصراط السوي أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى فأما الضروري فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلة عليه السلام من كمال الخلقة وجمال الصورة وقوة العقل وصحة الفهم وفصاحة اللسان وقوة الحواس والأعضاء واعتدال الحركات وشرف النسب وعزة القوم وكرم الأرض ويلحق به ما تدعو ضرورة الحياة اليه من الغذاء والنوم والملبس والمسكن والمال والجاه أما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها وهي التي يجمعها حسن الخلق فاذا نظرت رعاك الله الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته عليه السلام حائزاً لجميعها محيطاً بشتات محاسنها

(١) جل ما ذكر في الشمائل والمعجزات مختصر من كتاب الشفاء

للقاضي عياض رحمه الله

فأما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار
الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من أنه صلى الله عليه وسلم كان
أزهر اللون (١) أدعج (٢) أنجل (٣) أشكل (٤) أهدب الأشفار (٥)
أبلج (٦) أزج (٧) أقنى (٨) أفلج (٩) مدور الوجه واسع الجبين كث
اللحية تملأ صدره سواء البطن عظيم الصدر عظيم المنكبين (١٠) ضخم
العظام عبل (١١) العضدين والذراعين والأسافل رحب الكفين
والقدمين سائل الأطراف أنور المتجرد دقيق المسربة (١٢) ربة القد
ليس بالطويل البائن (١٣) ولا القصير المتردد (١٤) ومع ذلك فلم يكن
يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر
إذا افتتر ضاحكاً افتتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام إذا
تكلم ريء كالنور يخرج من بين ثناياه أحسن الناس عنقاً ليس

- (١) نير اللون أو حسنه (٢) شديد سواد الحدقة مع سعة فيها
(٣) واسع العين مع حسن (٤) في بياض عينيه حمرة (٥) كثير
شعر حروف الأجنان (٦) مضيء الوجه مشرقه (٧) دقيق الحاجبين
في طول (٨) مرتفع قصبه الأنف مع احديداب يسير فيها (٩) مفرج
بين الثنايا والرباعيات (١٠) المنكب مجمع رأس العضد والكتف
(١١) ضخم (١٢) المسربة شعر دقيق من الصدر إلى البطن
(١٣) مفرط الطول (١٤) المتناهي في القصر

بمطهم (١) ولا مكثم (٢) متمسك البدن ضرب اللحم قال البراء بن عازب ما رأيت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله كأن الشمس تجري في وجهه وإذا ضحك يتلألأ في الجدر وفي حديث ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلاًؤ القمر ليلة البدر وقال علي في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم

(وأما) نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقدار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تمها بنظافة الشرع قال عليه السلام بنى الدين على النظافة وقال أنس ما شممت عبيراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله وعن جابر أنه عليه السلام مسح خده قال فوجدت يده برداً وريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم يمساها يصفح المصافح فيظل يومه يجرد ريحها . ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحتها وروى البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد الا عرف أنه سلكه من طيبه

(وأما) وفور عقله صلى الله عليه وسلم وذكاء لبه وقوة حواسه
وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان أعقل
الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته
للعامه مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلاً عما أفاد من العلم وقرره من
الشرع دون تعلم سابق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب لم يمتز
في رجحان عقله وثقوب فهمه لا ول بديهة وكان عليه السلام اذا قام في
الصلاة يرى من خلفه كما يرى من أمامه وبذلك فسر قوله تعالى
(وتقلبك في الساجدين) وقالت عائشة كان عليه السلام يرى في الظلمة
كما يرى في الضوء وكان يعد في الثريا أحد عشر نجماً وجاءت الأخبار
أنه صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وقال أبو هريرة
ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كأنما
الأرض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته عليه
السلام أن ضحكه كان تبسماً اذا التفت التفت معاً واذا مشى مشى تقلعاً
كأنما ينحط من صلب

(وأما) فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان عليه السلام من
ذلك بالحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع
وإيجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتى
جوامع الكلام وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب فكان يخاطب

كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى
 كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير
 قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قریش
 ككلامه مع أقبال حضرموت وملوك اليمن وعظماء نجد بل يستعمل
 لكل قبيلة ما استحسنته من الألفاظ وما انتهجته من طرق البلاغة
 ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون

(وأما) كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه فقد ألف
 الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا
 يوازي فصاحة وبلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم
 أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كأسنان المشط والمرء مع من
 أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما
 هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم
 أو سكت فسلم وقوله أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن أحببكم
 اليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً
 الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه أو يبخل بما
 لا يعنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون وجيهاً عند الله ونهيه عن قيل
 وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق الأمهات ووأد
 البنات وقوله اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالف

الناس بخلق حسن وخير الأمور أوسطها وقوله أحب حبيبك هوناً مما
عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في
بعض دعائه اللهم اني أسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري
وتلم بها شعئي وتصلح بها رغائبي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي
وترد بها ألقتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني أسألك الفوز في
القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء الى غير ذلك
مما روته الكفاية عن الكفاية من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته
ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها
غيره وحاز سبقاً لا يقدر قدره وقد قال له أصحابه ما رأينا الذي هو
أفصح منك فقال وما يمنعني وإنما نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين
وقال مرة أخرى بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد جمع بذلك
قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألسان الحاضرة ورونق كلامها الى
التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشر (وأما)
سرواً ونسبه وكرم بلده ومنشئه فما لا يحتاج الى إقامة دليل عليه ولا
بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبه بني هاشم ونخبه قريش وصميمها
وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة أكرم
بلاد الله على الله وعلى عباده وقد قدمنا لك في أول الكتاب ما فيه
الكفاية في هذا المقام

(أما) ما تدعو اليه ضرورة الحياة فمنه ما الفضل في قلته ومنه ما الفضل في كثرته ومنه ما تختلف الأحوال فيه فالأول كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء قديماً تمدح بقلتهما وتذم بكثرتهما لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشهه وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لأدواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما أن النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب الكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته وكان عليه السلام قد أخذ من الأكل والنوم بالأقل وحض عليه قال عليه السلام (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب وقالت عائشة رضي الله عنها لم يمتلىء جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قط وانه كان في أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشبه ان أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب وفي صحيح الحديث (أما أنا فلا آكل متكئاً) والاتكاء هو التمكن للأكل والتعمد في الجلوس له كلمتريغ وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ماتحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه والنبي عليه

السلام إنما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعياً ويقول إنما أنا
عبد آكل كما يأكل العبد وكذلك نومه كان قليلاً ومع ذلك فقد قال
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي

(وأما) ما الفضل في كثرته فكالجاه وهو محمود عند العقلاء عادة
وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام
(وجيهاً في الدنيا والآخرة) وكان النبي عليه السلام قد رزق الحشمة
والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم
يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في أنفسهم خفية حتى اذا
واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته كما ذكرنا لك ذلك مراراً وقد كان
يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روى عن قيسلة أنها لما رآته أرعدت
من الفرق فقال (يا مسكينة عليك السكينة) وفي حديث أبي مسعود
أن رجلاً قام بين يديه فأرعد فقال له عليه السلام (هون عليك فاني
لست بملك)

(وأما) عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته
بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة
سيد ولد آدم

(وأما) ما تختلف فيه الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه
والتفضيل لأجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة

لا اعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكنه في أغراضه والا فليس فضيلة
 في نفسه فمتى كان بهذه الصورة وصاحبه منفقاً له في مهماته ومهمات من
 قصده وأمله مصرفه في مواضعه مشتركاً به المعالي والثناء الحسن والمنزلة
 في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا واذا صرفه في وجوه
 البر وأنفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الآخرة كان
 فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكاً له غير موجهه
 وجوهه حريصاً على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم
 يقف به على جدد السلامة بل أوقعه في وهدة رذيلة البخل ومذمة
 النذالة فالتمدح بالمال ليس لذاته بل للتوصل به الى غيره وتصريفه في
 متصرفاته ونبينا صلى الله عليه وسلم أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد
 وأحلت له الغنائم وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة
 العرب وما داني ذلك من الشام والعراق وجلب اليه كثير من أخماسها
 وجزيتها وصدقاتها وهاداه جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه
 ولا أمسك منه درهماً بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به
 المسلمين وقال (ما يسرني أن لي أحداً ذهباً بيت عندي منه دينار
 الا ديناراً أرصده لديني) وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية
 فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذها نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت
 ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر في نفقته وملبسه ومسكنه

على ما تدعو ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده
 فيلبس في الغالب الشملة والكساء الحشن والبرد الغليظ ويقسم على من
 حضره أقبية الديباج المخصوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر فأنت ترى
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاز فضيلة المال بالزهد فيه وانفاقه
 على مستحقيه

(وأما) الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة
 وهي المسماة بحسن الخلق فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه
 وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال في غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه
 بذلك فقال (وانك لعلى خلق عظيم) قالت عائشة كان خلقه القرآن
 يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام (بعثت لأتمم مكارم
 الأخلاق) وقال أنس كان عليه السلام أحسن الناس خلقاً وكانت له
 هذه الآداب الكريمة كما كانت لآخوانه من الأنبياء جبلة خلقوا عليها
 ثم يتمكن الأمر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق أنوار المعارف
 في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله لهم بالنبوة في تحصيل
 هذه الخصال الشريفة دون نهاية ولا ممارسة وهذه الأخلاق المحموده
 والخصال الجميلة كثيرة ولكننا نذكر أصولها ونشير الى جميعها ونحقق
 وصفه عليه السلام بها ان شاء الله

(فأصل) فروعها وغنصر ينابيعها ونقطة دائرتها العقل الذي منه

ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقب الرأي وجودة الفطنة
والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة
وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد بلغ عليه
السلام منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه يعلم ذلك من تتبع
مجاري أحواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله وبدائع
سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم
الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب الأمثال وسياسات الأنام
وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون
العلوم التي اتخذ أهلها كلامه فيها قدوة وإشارات حجة كالطب والحساب
والفرائض والنسب وغير ذلك دون تعليم ولا مدارس ولا مطالعة كتب
من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبى^ص أمى^ص لا يعرف شيئاً من ذلك
حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وبحسب عقله كانت معارفه
عليه السلام الى سائر ما علمه الله وأطاعه عليه من علم ما يكون وما كان
وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيماً)

(وأما) الحلم والاحتمال والعفو والقدرة والصبر على ما يكرهه فيما
أدب الله به نبيه فقال (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)
وقد سأل عليه السلام جبريل عن تأويلها فقال يا محمد ان الله يأمرك

أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك . وقال له
 (واصبر على ما أصابك ان ذلك لمن عزم الأمور) وقال (وليعفوا
 وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفورٌ رحيم) وقال (ولن
 صبرٌ وغفرانٌ لذلك لمن عزم الأمور) وقد تضافرت الأخبار على اتصافه
 عليه السلام بنهاية هذه الأوصاف فما من حلیم الا عرفت منه زلة
 وحفظت عنه هفوة ونبينا لا يزيد مع كثرة الايذاء إلا صبراً وعلى
 إسراف الجاهل الا حلاً قالت عائشة رضي الله عنها ما خير عليه السلام
 في أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثماً فان كان اثماً كان أبعد
 الناس منه وما انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله . ولما
 فعل به المشركون ما فعلوا في أحد وطلب منه أن يدعو عليهم قال
 اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وحسبك في هذا الباب ما فعله مع
 مشركي قريش الذين آذوه واستهزؤا به وأخرجوه من دياره هو وأصحابه
 ثم قاتلوه وحرضوا عليه غيرهم من مشركي العرب حتى تملاً عليه جمعهم
 ثم لما فتح الله عليه مكة ما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون اني
 فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال (اذهبوا فانتم
 الطلقاء) وعن أنس كنت مع النبي عليه السلام وعليه برد غليظ الحاشية
 فجدبه اعرابي بردائه جبدة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة
 عنقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك

فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك فسكت النبي ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لأنك لا تكفي بالسيئة السيئة فضحك عليه السلام ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظاهرة ظاهها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادماً ولا امرأة فصلى الله تعالى عليه وأقر عينه باتباع المسلمين سنته (وأما) الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان عليه السلام لا يوازي في هذه الأخلاق الكريمة ولا يبارى وصفه بهذا كل من عرفه قال جابر رضي الله عنه ما سئل عليه السلام عن شيء فقال لا وقال ابن عباس كان عليه السلام أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة وقالت خديجة في صفة عليه السلام مخاطبة له انك تحمل الكل وتكسب المعدوم وحسبك شاهداً في هذا الباب ما فعله مع هوازن من رد السبي اليها وما فعله يوم تقسيم السبي من إعطاء المؤلفة قلوبهم عظيم الأ عطية وقد استوفينا ذلك في موضعه وحمل اليه عليه السلام تسعون ألفاً فوضعها على حصير وأخذ يقسمها فما قام حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن اتبع عليّ فإذا جاءنا شيء قضيناها فقال له عمر

ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ذلك عليه السلام فقال له رجل من
 الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً فتبسم عليه
 السلام وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت والأخبار بجوده وكرمه
 عليه السلام كثيرة يكفي منها لتعليمك ما ذكرناه

(ومنها) الشجاعة والنجدة فكان عليه السلام منهما بالمكان
 الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفرّ الحكمة والأبطال عنه غير
 مرة وهو ثابت لا يبرح . ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع
 إلا أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه وحسبك ما فعله في حنين
 وأحد مما ذكرناه مستوفي وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا
 أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليّ أنا كنا
 إذا اشتد البأس واحمرت الخدق اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب
 إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم
 وهو أقرب بنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً وقال أنس
 كان عليه السلام أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس لقد فرغ
 أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم عليه السلام راجعاً
 قد سبقتهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف
 في عنقه وهو يقول لن تراعوا

(وأما) الحياء والأغضاء فكان عليه السلام أشد الناس حياءً

وأكثرهم عن العورات اغضاء قال أبو سعيد الخدري كان عليه السلام أشد حياءً من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه وكان عليه السلام لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحداً بما يكرهه حياءً وكرم نفس قالت عائشة كان عليه السلام إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا بل يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهي عنه ولا يسمي فاعله وقالت رضي الله عنها لم يكن عليه السلام فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً بالا سواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح

(وأما) حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق فما انتشرت به الأخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه كان عليه السلام أوسع الناس صدرًا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة وكان عليه السلام يؤلفهم ولا ينفهم ويكرم كريم كل قوم ويوليهم عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقهم فصار لهم أباً وصاروا عنده في الخلق سواء بهذا وصفه ابن أبي هالة وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب

ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل
 عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو
 كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم
 وشاورهم في الأمر) وقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي
 بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وكان عليه السلام يجيب من دعاه
 ويقبل الهدية ولو كانت كراعاً ويكافي عليها وكان يمازح أصحابه ويخالطهم
 ويحادثهم ويلعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر
 والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر
 المعتذر وقال أنس ما التقم أحد أذن النبي بحادثه فنحى رأسه حتى يكون
 الرجل هو الذي ينحى رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها
 الآخر وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم يرقط
 ماداً رجله بين أصحابه حتى يضيق بها على أحد يكرم من يدخل عليه
 وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس
 عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكريماً لهم ولا
 يقطع على أحد حديثه حتى يتجاوز فيقطعه بنهي أو قيام وكان أكثر
 الناس تبساً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب
 (وأما) الشفقة والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقد وصفه الله بها في
 قوله (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) وقال

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) روى أن أعرابياً جاءه يطلب منه شيئاً فأعطاه ثم قال أحسنت اليك قال الاعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فأشار اليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل اليه وزاده شيئاً ثم قال أحسنت اليك فقال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام انك قلت ما قلت وفي أنفس أصحابي من ذلك شيء فان أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال عليه السلام ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي كذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفوراً فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قام الارض فردّها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وقال عليه السلام لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر وكان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته وعن ابن مسعود كان عليه السلام يتخولنا بالموعدة مخافة السامة علينا

(وأما) خلقه عليه السلام في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فروى

عن عبد الله بن أبي الحسء قال بايعت النبي عليه السلام بييع قبل أن
يبعث وبقيت له بقية فوعده أن آتية بها مكانه فسييت ثم ذكرت بعد
ثلاث فجئت فاذا هو مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا هنا منذ
ثلاث أنتظرك وكان اذا آتى بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها
كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة . وكان عليه السلام
يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ووفد عليه
وفد فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لأصحابنا
مكرمين واني أحب أن أكافئهم وفي حديث خديجة ابشر فوالله
لا يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق

(وأما) تواضعه عليه السلام على علو منصبه ورفعة رتبته فكان
أشد الناس تواضعاً وأقلهم كبراً وحسبك انه خير بين أن يكون نبياً
ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً وخرج عليه السلام مرة
على أصحابه متوكئاً على عصا فقاموا فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم
يعظم بعضهم بعضاً وقال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما
يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس
الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم حيث انتهى
به المجلس جلس وقال عليه السلام (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن

مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) وحج عليه السلام على رحله رث وعليه قطيعة ما تساوي أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سمعة . هذا وقد فتحت عليه الأرض وأهدى في حجه هذا مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعاً لله تعالى . وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشتري سراويل وقال للوازن زن وأرجح ثم قال فوثب الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها فحذب يده وقال هذا تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك انما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله قال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله

(وأما) عدله عليه السلام وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان آمن الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وأعداؤه وكان يسمى قبل نبوته الأمين وقد قدمنا ذلك في سيرته عليه السلام قبل النبوة . وفي الحديث عنه عليه السلام ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يوم الريح يصلح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب ويوم الشمس للحواج ولكن نبينا عليه السلام جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزء لله وجزء لأهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزأه بين الناس فكان يستعين بالخاصة على

العامّة ويقول (أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فان من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر) وكان عليه السلام لا يأخذ أحداً بذنب أحد ولا يصدق أحداً على أحد

(وأما) وقاره عليه السلام وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فكان عليه السلام أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه وكان اذا جلس احتبى بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه محتبياً وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسماً وكلامه فصلاً لا فضول ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراً له واقتداءً به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير . وقال ابن أبي هالة كان سكوته عليه السلام على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكير . وقالت عائشة رضی الله عنها كان عليه السلام يحدث حديثاً لو عدّه العادّة لا حصاه وكان يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيراً ويحض عليهما ومن مروءته عليه السلام نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانتقاء البراجم والرواجب (مواصل الاصابع من ظاهر الكف وباطنها)

(وأما) زهده عليه السلام فقد قدمنا لك فيه ما فيه الكفاية

وحسبك شاهداً على تقالله من الدنيا واعراضه عن زهرتها وقد سيقته
 اليه بخذا فيرها وترادفت عليه فتوحها أن توفي عليه السلام ودرعه مرهونة
 عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد
 قوتاً وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع عليه السلام ثلاثة أيام تباعاً
 من خبز حتى مضى لسبيله وقالت ما ترك عليه السلام ديناراً ولا درهماً
 ولا شاةً ولا بعيراً ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر
 شعير في رف لي وقال اني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة ذهباً
 فقلت لا يارب أجوع يوماً وأشبع يوماً فأما اليوم الذي أجوع فيه
 فأترضع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني
 عليك وقالت عائشة ان كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً ان
 هو إلا التمر والماء وعن أنس ما أكل عليه السلام على خوان ولا في
 سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاةً سميطاً قط وفي حديث عائشة
 كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه آدمياً حشوه
 ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحاً
 ثنيه ثنتين فينام عليه فثنيهاه لیسلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتمولي
 الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه بحاله فان وطأته منعتني الليلة صلاتي
 وقالت عائشة لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قط ولم يبيت
 شكوى الى أحد وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعاً

يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع
كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي رحمة له مما أرى به
وأمسح بيدي على بطنه مما أرى به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء
لو تبلغت من الدنيا ما يقوتك فيقول يا عائشة مالي وللدنيا اخواني من
أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم
فقدموا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي أن
ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم وما من شيء أحب إليّ
من اللحوق باخواني وأخلائي قالت فما أقام بعد الا أشهراً حتى توفي
صلوات الله عليه وسلامه

(وأما) خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه ولذلك
قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً أرى ما لا ترون
وأسمع ما لا تسمعون أظت (صوتت) السماء وحق لها أن تئط ما فيها
موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله والله لو تعلمون
ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذتم بالنساء على الفرش
وخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى لوددت أني شجرة تعضد
وكان عليه السلام يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر
الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال (أفلا أكون عبداً شكوراً)
وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم

ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى تقول لا يفطر
 ويفطر حتى تقول لا يصوم وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توطأ ثم قام يصلي فقامت معه فاستفتح
 البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا مر بآية عذاب إلا وقف
 وتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت
 والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل
 مثل ذلك وقال بعضهم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
 ولجوفه أزيز كأزيز المرجل وفي وصف ابن أبي هالة كان متواصل
 الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة وعن علي رضي الله عنه قال سألت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال (المعرفة رأس مالي والعقل
 أصل ديني والحب أساسى والشوق مركبى وذكر الله أنيسى والثقة
 كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر رداي والرضا غنيمتي
 والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيحي والطاعة
 حسبي والجهاد خلقتى وقررة عيني في الصلاة وثمرة فؤادي في ذكره وغمي
 لأجل أمي وشوقى الى ربي) فجزاه الله من نبي عن أمته خيراً ورحم الله
 عبداً تأمل في هذه السمائل الكريمة والخصال الجميلة فتمسك بها واتبع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحوز شفاعته يوم الفزع الاكبر ويرضى
 الله عنه فنسألك اللهم التوفيق لما فيه الخير بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين

﴿ معجزاته عليه السلام ﴾

اذا تأمل المتأمل ما قدمناه من جميل أثر هذا السيد الكريم وحيد
 سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله
 وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتز في صحة نبوته وصدق دعوته وقد
 كفى هذا غير واحد في إسلامه والايمان به كعبد الله بن سلام فانه قال
 لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جثته لأَنظر اليه فلما استبنت
 وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب . وروى مسلم أن ضماداً لما
 وفد عليه قال له صلى الله عليه وسلم (ان الحمد لله نحمده ونستعينه من
 يهد الله فلا مضل له ومن يضل الله فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا
 الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله) فقال له ضماد أعد
 عليّ كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك ولما بلغ
 ملك عمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام قال
 والله لقد دنني على هذا النبي الأُمِّيّ أنه لا يأمر بخير الا كان أول آخذ
 به ولا ينهي عن شيء الا كان أول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب
 فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعد وأشهد أنه نبي وقال ابن رواحة
 لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر
 كيف وقد أظهر الله على يده تصديقاً لدعوته من المعجزات مالا

يفي به العد فهو أكثر الأنبياء آية وأظهرهم برهاناً وسند كرك في هذا
 الفصل من الآيات ما تقر به عينك ويزداد به يقينك مما رواه الجهم
 الغفير من الصحابة رضوان الله عليهم وأثبتته المحدثون في صحاحهم ونبداً
 منها بأظهرها شأناً وأوضحها بياناً وهو القرآن الشريف واعجازه (اعلم)
 أن كتاب الله العزيز منطوق على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من
 جهة ضبط أنواعها في أربعة (أولها) حسن تأليفه والتتام كمله وفصاحته
 ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب
 هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص
 به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يوت انسان ومن
 فصل الخطاب ما يقيد الأبواب جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة وفيهم
 غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب
 فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن
 والضرب ويقدحون ويتوصلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون
 من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط
 اللآل فيخدعون الأبواب ويدلون الصعاب ويندهبون الإحن
 ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويصيرون الناقص كاملاً ويتركون
 النبيه خاملاً منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام
 الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة

البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف
 في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلاهما له في
 البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيج الناهج
 لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا
 فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلموا صرحاً
 لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين
 وتقاولوا في القل والكثرت وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم إلا رسول
 كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
 حكيم حميد أحكت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت
 فصاحته على كل مقول وتضافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته
 ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعته وحوت كل البيان مجامعه
 وبدائعه واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده
 مختار لفظه وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالاً وأشهر في الخطابة
 رجالاً وأكثر في الشعر والسجع ارتجالاً وأوسع في الغريب واللغة
 مقالاً بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخاً
 بها في كل حين ومقرعاً لهم بضعاً وعشرين عاماً على رؤس الملأ أجمعين
 (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون
 الله ان كنتم صادقين) (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا

بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم
 تفعلوا ولن تفعلوا) (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
 بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (قل فأتوا
 بعشر سور مثله مفتريات) فلم يزل يقرعهم أشد التقريع ويوبخهم أشد
 التوبيخ ويسفه أعلامهم ويحط أعلامهم ويشنت نظامهم وينم
 آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا
 ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب
 بالتكذيب والافتراء بالافتراء وقولهم (ان هذا الا سحر يئثر وسحر
 مستمر وافك افتراء وأساطير الأولين) والمباهة والرضا بالدنية كقولهم
 (قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا
 وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) والادعاء مع العجز
 كقولهم (لو نشاء لقلنا مثل هذا) وقد قال لهم (ولن تفعلوا) فما فعلوا
 ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخافهم كسيامة كشف عواره لجميعهم
 وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم والا لم يخف على أهل المنز
 منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين
 وأتوا اليه مدعين وأنت اذا تأملت قوله تعالى (ولكم في القصص
 حياة) وقوله (ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب)
 وقوله (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي

حميم) وقوله (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء
 وقضى الأمر واستوت على الجودي) وقيل بعداً للقوم الظالمين) وقوله
 (فكللاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته
 الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله
 ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وأشباهاها من الآي بل أكثر
 القرآن حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها
 وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلماتها وان تحت كل لفظة منها جملاً
 كثيرة وفصولاً جمة وعلوماً زواجر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد
 منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص
 الطوال وأخبار القرون السوالم التي يضعف في عادة الفصحاء عندها
 الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام ببعضه ببعض
 والتثام سرده وتناصف وجوهه كقصص يوسف على طولها ثم اذا ترددت
 قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة تردها وتناصف في الحسن
 وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها (الوجه
 الثاني) من اعجاز القرآن صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب
 المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه
 ووقفت عليه مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا
 بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم

وتدهمت دونه أحلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر
أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر والاعجاز بكل واحد من النوعين
والايجاز والبلاغة بذاتها أو الأسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما
نوع اعجاز لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد منهما
خارج عن قدرتها مابين لفصاحتها وكلامها (الوجه الثالث) من الاعجاز
ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوق فوجد كما
ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان
شاء الله آمنين) وقوله عن الروم (وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع
سنين) وقوله (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من
قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم
أمنًا) وقوله (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين
الله أفواجا) فكان جميع هذا كما أخبر فغلبت الروم فارس ودخلت
الناس في الدين أفواجا واتسع ملك المسلمين حتى كان لهم في وقت من
أقصى بلاد الأندلس غرباً الى أقاصي الهند شرقاً ومن بلاد الأناضول
شمالاً الى أقاصي السودان جنوباً وقوله (انا نحن نزلنا الذكر وإنا له
لحافظون) فكان كذلك الى الآن والحمد لله وقوله (سيهزم الجمع
ويولون الدبر) فكان كذلك في بدر والآية نزلت بمكة وقوله (قاتلوهم

يعذبهم الله بأيديكم) فكان كذلك مما اطلع عليه قاري هذه السيرة
وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالمهم وكذبهم في حلفهم
كقوله (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) وقوله (يخفون
في أنفسهم ما لا يبدون لك) وقوله (من الذين هادوا يحرفون الكلم
عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا
بأسنتهم وطعنا في الدين) الى غير ذلك من الآيات البينات (الوجه
الرابع) ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع
الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أخبار أهل
الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده عليه السلام على وجهه
ويأتي به على نضه فيقر العالم بذلك على صحته وصدقه وان مثله لم ينله
بتعليم وقد علموا أنه عليه السلام أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل
بمدرسة ولا مجالسة لم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وكثيراً
ما كان يسأله كثير من أهل الكتاب عن هذا فينزل عليه من القرآن
ما يتلو عليهم منه ذكراً كقصص الأنبياء وبدء الخلق وما في الكتب
السابقة مما صدقه فيها العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها ولم
يؤثر أن واحداً منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحاً ولا
سقيماً من صحفه بعد أن قرعهم ووجهم بقوله (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها
ان كنتم صادقين) ومما يدل على أن أهل الكتاب يعلمون صدقه

ما تحداهم فيه الله بقوله (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة
 من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) ثم حتم عدم إجابتهم
 بقوله (ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم) فاسمع عن أحد منهم أنه
 تمنى ذلك ولو بإسائه مع أنهم كانوا أحرص الناس على تكذيبه ومثل
 ذلك ما فعله أهل نجران حينما دعاهم للمباهلة فأبوا وقد قدمنا ذلك في
 فصل وفودهم . ومما يدل على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر الروعة
 التي تلحق قلوب سامعيه والهيبة التي تعزيهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة
 خطره حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفوراً ولهذا قال عليه السلام
 ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما المؤمن فلا
 يزال روعته به وهيئته اياه مع تلاوته توليه اقبالاً وتكسبه هشاشة ليل
 قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
 ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال تعالى (لو أنزلنا هذا
 القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) ومن وجوه
 اعجاز القرآن كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله
 بحفظه فقال (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وقال (لا يأتيه
 الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وسائر معجزات الأنبياء لم يبق الا
 خبرها والقرآن الى وقتنا هذا حجة قاهرة ومعارضة ممتنعة والأعصار
 كلها طاغية بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام

وجها بذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعاند للشرع عتيد فما منهم من
 أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على
 مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح .
 بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه . والنكوص على
 عقبيه ولنختم لك هذا الباب بحديثه عليه السلام في القرآن قال (ان الله
 أنزل هذا القرآن أمراً وذاجراً وسنة خالية ومثلاً مضروراً فيه نبؤكم
 وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا
 تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به
 عدل ومن خاصم به فلج ومن حكم به أقسط ومن عمل به أجر ومن
 تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله
 الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكركر الحكيم والنور المبين والصراط
 المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن
 اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعجب)

(ومن) معجزاته عليه السلام انشقاق القمر وقد قدمنا حديثه

مستوفى

(ومن) معجزاته عليه السلام نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره
 ببركته وقد روي هذا الجرم الغفير من الصحابة منهم أنس وجابر وابن
 مسعود قال أنس رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة

العصر فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم
 بوضوء فوضع في الأتاء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال فرأيت
 الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا عن آخرهم فقبل كم
 كنتم قال زهاء ثلاثمائة وقال ابن مسعود بينما نحن مع النبي صلى الله
 عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء
 فصبه في أناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وقال جابر
 عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل
 الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع يده في الركوة
 فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قيل كم كنتم قال لو كنا
 مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة . وروى هذه القصة جمع عظيم
 من الصحابة ومثل هذا في هذه المواطن الخفيفة والجموع الكثيرة
 لا تتطرق التهمة الى المحدث به لأنهم كانوا أسرع شيء الى تكذيبه لما
 جبلت عليه نفوسهم من ذلك ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل
 فهو لا قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجهم الغفير له ولم ينكر
 عليهم أحد من الناس ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار
 كتصديق جميعهم لهم

ومما يشبه هذا تفجير الماء ببركته وانبعائه بمسه ودعوته كما ورد عن
 معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تلمع بشيء

من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ثم
 غسل عليه السلام فيه وجهه ويديه وأعادها فيها فجرت بماء كثير فاستقى
 الناس وفي رواية ابن اسحق فأنحرق من الماء ماله حس كحس الصواعق
 ثم قال يوشك يا معاذ ان طالبت بك حياة أن ترى ما هنا قد ملئ جناناً
 وقد قدمنا ذلك في غزوة تبوك . وروى عن البراء وسلمة بن الأكوع
 تكثير عين الحديدية بدعوته عليه السلام . وروى أبو قتادة أن الناس
 شكوا الى رسول الله العطش في بعض أسفاره فدعا بالمليضة فجعلها في
 صنبه (ما بين الكشح الى الابط) ثم التقم فيها فإله أعلم أنفث فيها
 أم لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا كل اناء معهم فخييل لي أنها كما
 أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلاً . ورويت قصص مشابهة لهذه
 عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم في محال مختلفة بحيث لا يشك
 أحد في صدقها بعد تضافر الثقات على روايتها

(ومن) ذلك تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم
 روى طلحة أنه عليه السلام أطمع ثمانين أو سبعين رجلاً من أقراص
 من شعير جاء بها أنس تحت إبطه فأمر بها عليه السلام ففتت وقال
 فيها ما شاء الله أن يقول . وروي جابر أنه عليه السلام أطمع يوم الخندق
 ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى
 تركوه وأنحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجينا ليخبز وكان عليه

السلام قد بصق في العجين والبرمة وبارك . وروى أبو أيوب أنه صنع
 لرسول الله وأبي بكر طعاماً يكفيهما فأطعم منه عليه السلام مائة وثمانين
 رجلاً . وروى مثل ذلك كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن أبي بكر
 وسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب وأنس بن مالك
 رضوان الله عليهم أجمعين .

(ومن) معجزاته عليه السلام قصة حنين الجذع قال جابر بن
 عبد الله كان المسجد مستوقفاً على جذوع نخل فكان عليه السلام اذا
 خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً
 كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارجح المسجد لخواره وفي رواية
 سهل وكثير بكاء الناس لما رأوه به وفي رواية المطلب وانشق حتى جاء
 النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال عليه
 السلام ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو
 لم ألزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة تحزناً على رسول الله فأمر به فدفن
 تحت المنبر وهذا الحديث خرجه أهل الصحة ورواه من الصحابة
 كثيرون ورواه عنهم من التابعين ضعفهم وبمن دون عدتهم يقع العلم
 لمن اعتنى بهذا الباب . والله المثبت على الصواب

(ومن) معجزاته عليه السلام ابرأ المرضي وذوي العاهات فقد
 أصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها

عليه السلام فكانت أحسن عينيه وأحدثها وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد فما ضرب عليه ولا قاح وأصاب ابن ملاعب السنة استسقاء فبعث الى النبي عليه السلام فأخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها يرى أنه قد هزى به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وتقدم حديث علي ورمده في غزوة خيبر وغير ذلك كثير مما يعجز قلمنا عن عدده ورواه ثقات المسلمين الأعلام

(أما) ما منحه الله إياه من اجابة دعواته فروى عن أنس بن مالك قال قالت أمي أم سليم يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيت به قال أنس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم نحو المائة ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة فكان نصيب كل زوجة من زوجاته الأربع من تركته ثمانون ألفاً وتصدق مرة بعير فيها سبعائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها

(ودعا) لمعاوية بالتمكين في الأرض فنال الخلافة ودعا لسعد باجابة الدعوة فما دعا على أحد الا استجيب له وتقدم دعاؤه لعمر بن الخطاب أن يعز الاسلام به وقال لأبي قتادة أفلح وجهك اللهم بارك في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة كأنه ابن خمس عشرة

ودعواته عليه السلام المستجابة أكثر من أن تحصى يطلع عليها قارئ
سيرتنا هذه

(أما) ما أطلع الله عليه من علم ما لم يكن فها سارت به الركبان
فمن حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً
فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من
حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فأعرفه
فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه وما
أدري أنسى أصحابي أم تناسوه والله ما ترك عليه السلام من قائد فتنة
الى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً الا قد سماه لنا
باسمه واسم أبيه واسم قبيلته وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم
به أصحابه مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس
واليمن والشام والعراق وظهور الأمان حتى تظعن المرأة من الحيرة الى
مكة لا تخاف الا الله وأن المدينة ستغزى ويفتح خيبر على يد علي في
غد يومه وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم
كنوز كسرى وقيصر وقد قدمنا كثيراً من ذلك في هذه السيرة
وقدمنا ما في القرآن من ذلك وهذا يغنينا عن الاطالة في هذا المقام
فحسبك ما سمعت

(ومما) ينير بصيرتك أيها القارئ ما من الله به على رسولنا من

عصمته له من الناس وكفايته من آذاه قال تعالى (والله يعصمك من الناس) وقال (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) وقال (أليس الله بكاف عبده) وقال (انا كفييناك المستهزئين) ولما نزل (والله يعصمك من الناس) صرف حجاباه وقال انصرفوا فقد عصمني الله وقد قدمنا حديث دعثور وارادته قتل النبي عليه الصلاة والسلام وعصمة الله لنبينا وذكرنا كثيرا مما حصل من أبي جهل لما أراد بالرسول المكاييد فكفاه الله شره وما من الله به عليه ليلة الهجرة وحديث سراقه في الطريق وعلى الجملة فيكفينا من هذا الباب أنه عليه السلام مكث بين أعداء ألداء بمكة ثلاث عشرة سنة وبين مشابهيهم من المنافقين واليهود عشر سنين فما تمكن أحد من إيصال أذى اليه صلى الله عليه وسلم بل كفاه مولاة شر أعدائه حتى أظهر الدين وتممه والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ونسأله أن يوفق قارئه هذه السيرة الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وأنصاره

قد تم بحمده تعالى طبع كتاب نور اليقين في سيرة سيد المرسلين وهو كتاب جمع زبدة السيرة بعبارات رائعة تناسب جميع الطبقات وذلك بمطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر في شهر ربيع الأول من سنة ١٣٣٩ هجرية على صاحبها أفضل صلاة وسلام وأتم تحية

﴿ فهرست كتاب نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ﴾

صحيفة	صحيفة
٢٢ ما أكرمه الله به قبل النبوة	٢ خطبة الكتاب
٢٣ تبشير التوراة به	٤ النسب الشريف
٢٧ تبشير الإنجيل به	٧ زواج عبد الله بآمنة وحملها
٢٨ حركة الافكار قبل البعثة	٩ الرضاع
٢٩ بدء الوحي	٩ حادثة شق الصدر
٣٢ فترة الوحي	١٠ وفاة آمنة وكفالة عبدالمطلب
٣٣ عود الوحي	ووفاته وكفالة أبي طالب
٣٣ الدعوة سرًا	١١ السفر الى الشام المرة الاولى
٤٠ الجهر بالتبليغ	١١ حرب الفجار
٤٤ الايذاء	١٤ حلف الفضول
٥٠ اسلام حمزة	١٥ رحلته الى الشام المرة الثانية
٦١ هجرة الحبشة الاولى	١٥ زواجه خديجة
٦١ اسلام عمر	١٦ بناء البيت
٦٣ رجوع مهاجري الحبشة	١٨ معيشته عليه السلام قبل البعثة
٦٥ كتابة الصحيفة	٢٠ سيرته في قومه قبل البعثة

صحيفة	صحيفة
٨٧ هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم	٦٦ هجرة الحبشة الثانية
٩٠ النزول بقاء	٦٧ تقض الصحيفة
٩١ هجرة الانبياء	٦٨ وفود نجران
٩٢ أعمال مكة	٦٩ وفاة خديجة رضی الله عنها
٩٣ مسجد بقاء	٧٠ زواج سودة
٩٤ الوصول الى المدينة	٧٠ زواج عائشة رضی الله عنها
٩٤ أول جمعة	٧٢ هجرة الطائف
٩٥ النزول على أبي أيوب	٧٤ الاحتماء بالمطعم بن عدي
٩٦ نزول المهاجرين	٧٤ وفد دوس
٩٦ أخوة الاسلام	٧٥ الاسراء والمعراج
٩٧ هجرة أهل البيت	٧٨ العرض على القبائل
٩٨ حمى المدينة	٨٠ بدء إسلام الانصار
٩٨ منع المستضعفين من الهجرة	٨١ العقبة الاولى
٩٩ السنة الاولى بناء المسجد	٨٢ العقبة الثانية
١٠٠ بدء الاذان	٨٥ هجرة المسلمين الى المدينة
١٠٢ يهود المدينة	٨٥ دار الندوة

صحيفة	صحيفة
١٣٠ الفداء	١٠٤ المنافقون
١٣٥ العتاب في الفداء	١٠٥ معاهدة اليهود
١٣٦ غزوة قينقاع	١٠٥٦ مشروعية القتال
١٣٨ جلاء قينقاع	١٠٨٢ بدء القتال
١٣٨١ غزوة السويق	١٠٩١ سرية
١٣٩ صلاة العيد	١١٠ وفيات
١٤٠ زواج علي بفاطمة عليهما السلام	١١١٢ السنة الثانية غزوة ودان
١٤٠ السنة الثالثة	١١١٢ غزوة بواط
١٤١ قتل كعب بن الاشرف	١١٢٢ غزوة العشيرة
١٤٢ غزوة غطفان	١١٢٢ غزوة بدر الاولى
١٤٣ غزوة بحران	١١٣٢ سرية
١٤٤ سرية	١١٤ تحويل القبلة
١٤٤ غزوة أحد	١١٥ صوم رمضان
١٥٤ غزوة حمراء الاسد	١١٥ صدقة الفطر
١٥٥ حوادث	١١٥ زكاة المال
١٥٧ السنة الرابعة	١١٦ غزوة بدر الكبرى
	١٢٩ أسرى بدر

صحيفة	صحيفة
١٨٩ السنة السادسة سرية	١٥٨ سرية
١٩٠ غزوة بني لحيان ✓	١٥٩ سرية
١٩١ غزوة الغابة ✓	١٦٠ غزوة بني النضير
١٩٢ سرية	١٦٢ غزوة ذات الرقاع ✓
١٩٣ سرية	١٦٣ غزوة بدر الآخرة ✓
١٩٣ سرية	١٦٤ حوادث
١٩٤ سرية	١٦٤ ع السنة الخامسة غزوة دومة
١٩٤ سرية	الجنديل
١٩٥ سرية	١٦٥ غزوة بني المصطلق ✓
١٩٥ سرية	١٦٨ حديث الافك ✕
١٩٦ سرية	١٧٣ غزوة الخندق ✕
١٩٦ قتل أبي رافع	١٧٧ الخدعة في الحرب ✓
١٩٨ سرية ✓	١٧٨ هزيمة الاحزاب ✓
١٩٩ قصة عكل وعرينة	١٧٩ غزوة بني قريظة
٢٠٠ سرية ✓	١٨٣ زواج زينب بنت جعش ✕
٢٠١ غزوة الحديبية ✓	١٨٦ الحجاب ✕
٢٠٤ بيعة الرضوان	١٨٨ فرض الحج

صحيفة	صحيفة
٢٢٥ صلح تيماء	٢٠٥ صلح الحديدية
٢٢٧ فتح وادي القرى	٢٠٩ مكاتبة الملوك
٢٢٦ اسلام خالد ورفيقه	٢٠٩ كتاب قيصر
٢٢٦ سرية	٢١٠ حديث أبي سفيان
٢٢٦ سرية	٢١٢ كتاب أمير بصري
٢٢٨ سرية	٢١٣ كتاب الحارث بن أبي شمر
٢٢٨ عمرة القضاء	٢١٣ كتاب المقوقس
٢٢٩ زواج ميمونة	٢١٤ كتاب النجاشي
٢٣٠ السنة الثامنة	٢١٥ كتاب كسرى
٢٣٠ سرية	٢١٦ كتاب المنذر بن ساوى
٢٣٠ سرية	٢١٧ كتاب ملكي عمان
٢٣١ سرية	٢١٨ كتاب هوزة بن علي
٢٣٢ غزوة مؤتة	٢١٩ السنة السابعة غزوة خيبر
٢٣٤ سرية	٢٢٣ زواج صفية
٢٣٥ سرية	٢٢٣ النهي عن نكاح المتعة
٢٣٦ غزوة الفتح الاعظم	٢٢٤ رجوع مهاجري الحبشة
٢٤٣ العفو عند المقدرة	٢٢٤ فتح فدك

صحيفة	صحيفة
٢٦٤ السنة التاسعة	٢٤٦ وفود كعب بن زهير
٢٦٤ سرية	٢٤٧ بيعة النساء
٢٦٥ وفود عدي بن حاتم	٢٤٨ هدم العزى
٢٦٦ غزوة تبوك	٢٤٨ هدم سواع
٢٦٩ وفود صاحب أيلة	٢٤٨ هدم مناة
٢٦٩ كتاب صاحب أيلة	٢٤٩ غزوة حنين
٢٧٠ كتاب أهل أذرح وجرباء	٢٥٣ سرية
٢٧٠ مسجد الضرار	٢٥٣ غزوة الطائف
٢٧١ حديث الثلاثة الذين خلفوا	٢٥٥ تقسيم السبي
٢٧٢ وفود ثقيف	٢٥٨ وفود هوازن
٢٧٣ كتاب أهل الطائف	٢٥٩ عمرة الجعرانة
٢٧٤ هدم اللات	٢٦٠ سرية
٢٧٤ حج أبي بكر	٢٦٠ وفود صداء
٢٧٥ وفاة ابن أبي	٢٦١ سرية
٢٧٥ وفاة أم كلثوم	٢٦١ وفود تميم
٢٧٦ السنة العاشرة	٢٦٢ سرية
٢٧٦ سرية	٢٦٣ سرية

صحيفة	صحيفة
٢٩٠ وفود بني سعد بن هذيم	٢٧٦ سرية
٢٩١ وفود بني فزارة	٢٧٧ بعث العمال على اليمن
٢٩١ وفود بني أسد	٢٧٨ حجة الوداع
٢٩٢ وفود بني عذرة	٢٧٨ خطبة الوداع
٢٩٢ وفود بني محارب	٢٨١ الوفود
٢٩٣ وفود غسان	٢٨٢ وفود نجران
٢٩٣ وفاة ابراهيم ابن النبي عليه السلام	٢٨٣ وفود ضمام بن ثعلبة
٢٩٣ السنة الحادية عشرة سرية	٢٨٣ وفود عبد القيس
٢٩٤ مرض الرسول صلى الله عليه وسلم	٢٨٥ وفود بني حنيفة
٢٩٥ صلاة أبي بكر بالناس	٢٨٥ وفود طيئ
٢٩٧ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٨٦ وفود كندة
٢٩٨ شمائله عليه السلام	٢٨٦ وفود أزدشنوة
٣٢٢ معجزاته عليه السلام	٢٨٧ وفود رسول ملوك حمير
(تم)	٢٨٧ كتاب ملوك حمير
	٢٨٨ وفود همدان
	٢٨٨ وفود تجيب
	٢٨٩ وفود ثعلبة

تنبیه

سیظهر قریبا للمؤلف

کتاب

تاریخ التشريع الاسلامي

وهو کتاب حافل بايضاح ذلك التاريخ في جميع ادواره من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان التشريع وحياً من الله في كتابه وبياناتاً من الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته ثم زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين لهم باحسان ثم زمن التدوين وظهور توافع الفقهاء الذين اعترفت لهم الامة بالزعامة مع بيان المذاهب القائمة والمذاهب المندثرة وأسباب ما كان بين هذه المذاهب من الخلاف الى الزمن الذي صار فيه تقليداً محضاً والأسباب التي دعت الى رضا الجماهير الاسلامية بذلك

(يطلب من مكتبة)

عيسى ابابى الحلبي وشركاه بمصر

(بشارع خان جعفر بجوار سيدنا الحسين)

11 OCT 1952

CT 100
100

306 A 17

HUL



2561 100 11

main



0 0 0 0 0 0 2 3 8 3 5

BP 75 K53 1920/c.1

